الاعتذار

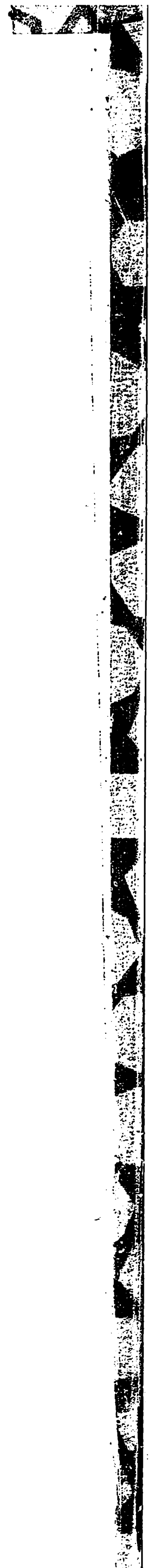
محمد والقرآن

تأليف

جان ديون پورت

ترجمة

عباس الخليلي

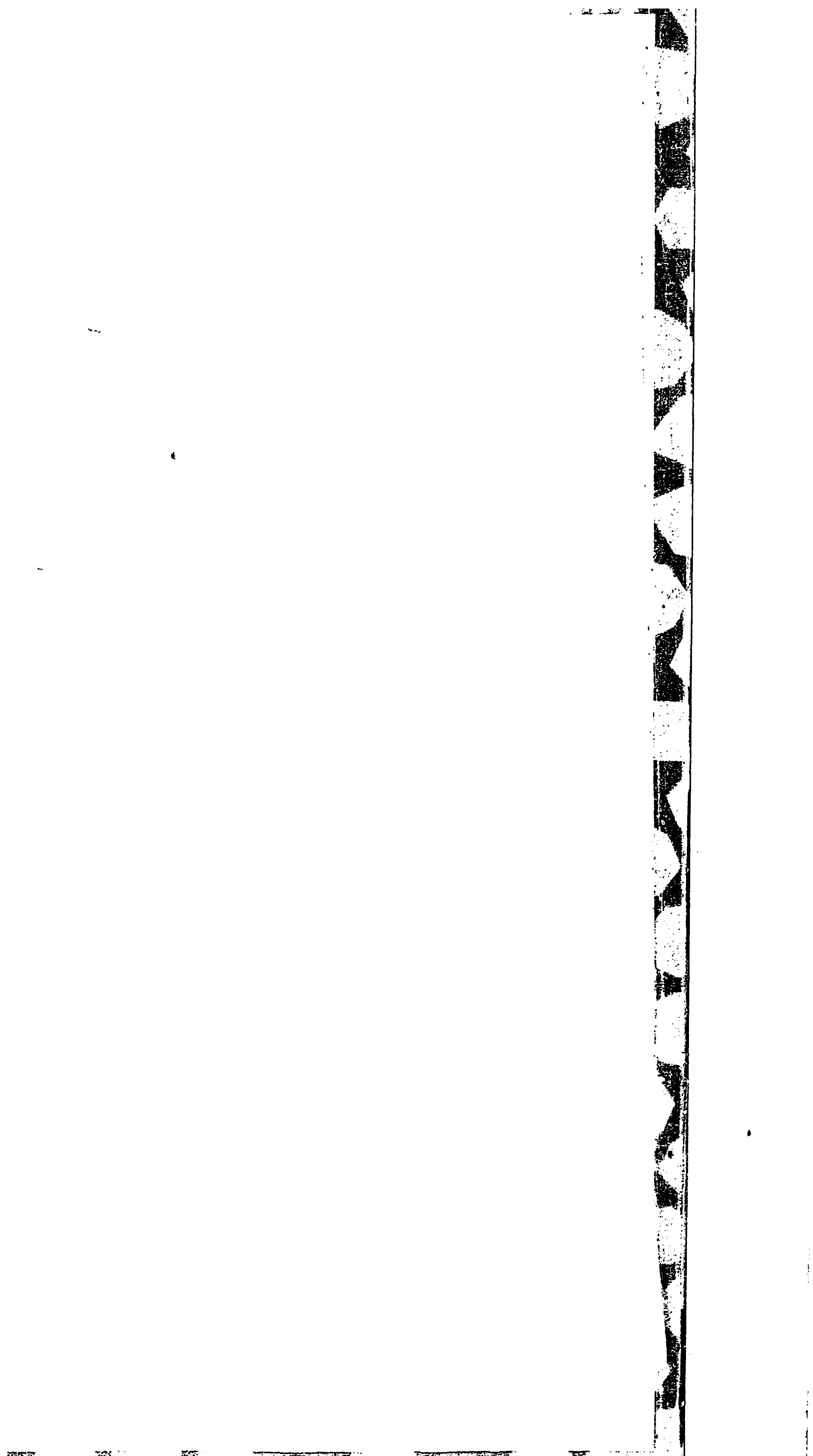
إلى صاحب الجلالة الملك

سعود الأعظم

ملك ملوك العرب والإسلام

هدية من المترجم

عباس الخليلي صاحب جريدة إقدام

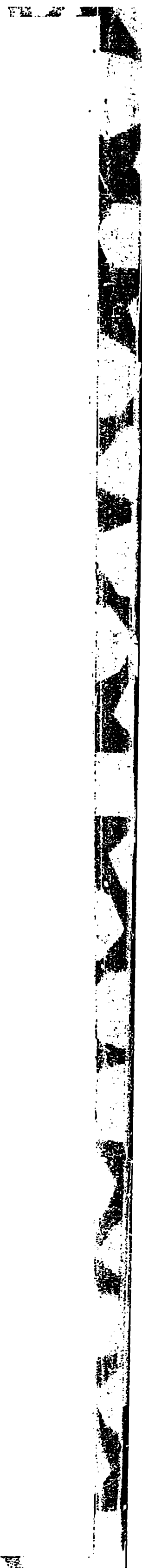


مقدمة المترجم

لقد نصر الله قوم بالاسلام فنصرهم به ومن عليهم بدين علمهم الانسانية والمدنيه وفضلهم على غيرهم من ذوى الاديان فاكمل لهم دينهم واتم نعمته عليهم وهداهم للايمان وقد فاقهم اناس نصروا الله اكثر من المسلمين وهم غيرهم اى انهم لم يسلموا ولكن خدموا الدين احسن من المسلمين انفسهم فبحثو وكتبوا واستدلو وانصفو وعدلو وفى مقدمتهم مؤلف هذا الكتاب الذى يحمله القارى فيمتع فيه النظر وهو العلامة « جان ديون پورت » فاذا كان للعلماء امثال توماس كارليل دين على الاسلام والمسلمين بكتابه «الابطال» فللمؤلف هذا « ديون » اكثر و اعظم على الدين واهله ، علمت ان كتاب الاعتذار ترجم من الانكيريه الى اللغة التركيه والفارسيه فاردت ان اترجمه الى العربية لعلى اودى حقاً للمؤلف قبل حق الاسلام وانى اترك وصف الكتاب للقارى المحترم ليرى فيه ابلغ واكمل واجمل مما اصف والله المستعان

طهران ـ عباس الخليلي

صاحب جريدة اقدام



مقدمة المؤلف

ان علمنا وما وصل الينا من طريق البحث والتحقيق اقل من ان يهديا من ضل عن سبيل الحق والعرفان بحيات اعظم نبى قام بالهدى والصدق لينقذ البشر من الهلاك والهوان الا وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان ما نكتبه اليوم لا يقوم بالرد على قوم عولوا على الكذب والبهتان واتهموا اكبر انسان دعا للخير والفلاح .

والذين حادو عن طريق التوحيد واعتقدوا ان المسيح قد تفرد بالخير والدعوة الى الرحمة والرأفة والصلاح حسدوا محمداً وانكروا دينه الذى علم الناس الخير والحب والاصلاح ولا يجوز للمسيحى المتعصب ان يقضى لواحد دون آخر فلا شك ان الحسد هو الذى يبعث على تفضيل احدهما على الاخر فالمسيحى الاروبى لا يستطيع ان يجرد نفسه من الحب والبغض ويجعل منهما كاتباً مورخاً اومنصفاً شريفاً لا يهمه الا الحق و التاريخ. و الاحرى ان يقوم بهذا الامر كاتب شرقى يقضى بتحقيقه لمصلح قام فى القرن السابع للميلاد فى قارة آسيا وجاء بشريعة سمحاء تصلح حال الناس وتهديهم سواء السبيل وتوصلهم الى السعادة المنشوده فاذا كنا والحالة هذه على ما نحن عليه من اننا نعيش فى اروبا ونعبد المسيح لا نقدر على ان ننصف فنصف هادى الامم بما ينبغى له و نعتقد بانه اعظم واكرم من قام على وجه الثرى بالهدايه فلا بدلنا من ان نقول انه اعظم نبى قام فى آسيا او هو النبى الوحيد الذى تفخر به تلك القاره بالرغم من غيرها . فاذا بحثنا عن تاريخ العرب قبل الاسلام وعن الحالة فى بلادهم ثم قسنا تلك الاحوال بما بعدها اى على اثر الدعوة الاسلاميه وانتشارها نعلم كيف اثر الدين الاسلامى فى قلوب مائة

وستين مليوناً من المسلمين (١) و كيف فعل نور الايمان في تلك القلوب وهم اليوم على ما كانوا علية في اول الدعوة من الاخلاص والايمان فلا بدلنا من ان نعتقد بان الذى دعاهم الى الهدى والايمان هو اكبر واعظم واكرم هاد سار بهم في طريق السعادة والصلاح واذا قلنا ان قيامه بالحق هو صدفة طبيعيه فاننا لانزال في وادى العمى والضلال ولاشك اننا ننكر قدرة الله الابديه في ارسال نبي الرحمة والهدى وهذا مالا يسمح به الانصاف .

ولابدلي في اختتام هذه المقدمه من ان اعترف بعجزى وضعفي عن اداء حق التاريخ في امر خطير يردد نى ويحير نى اكثر مما كنت افكر به فعلى اذا ان اعتمد على من هو خير منى في التنقيب والبحث والتحقيق فانا اشكر لمن استعنت به وعولت عليه حقه في هذا الامر والله هو المستعان .

---

(١) يرجع تاريخ الكتاب الى سنه ١٨٦٩ ميلاديه ففي ذلك العصر كان يعتقد المؤلف ان عدد المسلمين في العالم لا ينوف على مائة وستين مليوناً اما اليوم فان ذلك العدد يزيد على الثلاثمائة و خمسين مليوناً اولا يقل عن الاربعمائه مليوناً على ماقدره بعض الاحصائيين اوعلى ماقيل تخميناً .

الباب الاول

الفصل الاول

حياة محمد (ص)

لاشك فيّ ان خير ما كتب عن حياة الابطال والرجال وكل عظيم في التاريخ هو دون مادونه الكتاب والمؤرخون عن حياة محمد (ص)

كل ما اختص بوصف احواله واخلاقه وعاداته الكريمة التي لايماثله فيها انسان هو ماكتبه المورخون الاسيويون دون غيرهم وفوق هذا كله تاريخ حياته التي امتازت بالاستقامة والنبوغ والثبات الذي يدل على صدقه وايمانه قبال من انكر الدعوة الاسلاميه فقد ولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بلاد سيطر عليها الاجانب من كل مكان ففي شمال شبه جزيرة العرب كانت امپرا طورية قسطنطنينه تستولي على مصر وسوريه وفلسطين وفي سواحل الخليج الفارسي والعراق العربي والقسم الجنوبي من شبه الجزيره قام الحكم الفارسي بتام مظاهره وشمال مكه وبعض سواحل البحر الاحمر تحت سلطة الحكومة الحبشيه المسيحيه ولكن مكه وبعض النواحي من تلك الجزيرة كانت مجرده من سيطرة الاجانب ولها استقلال تام اوما يشبه الاستقلال .

فالدين في تلك البلاد كان تابعاً للسياسة وظاهراً باغلب مظاهرها فالمسيحيه هي الدين الغالب في ارض يقيم بها المسيحيون من الحبشان والمأنويه في بلاد بسيطر عليها الفرس من الايرانين لهاصبغة معروفة وهي

الثنويه من الخير والشر فقد كانت منتشرة فى بعض بلاد ايران وماجاورها وان كانت المجوسيه هى الدين الغالب حتى فى مستعمرات ايران و منها جنوب الجزيره و الوثنية فى البلاد العربيه المستقله غلبت على اهلها بلا معارض سياسى اومزاحم من المتغلبين .

ففى القرون الاولى كانت الوحدانيه فى البلاد العربيه هى الدين الغالب اوالوحيد ومعناها التوحيد و الاعتقاد بان الله خالق السموات والارض هو الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولكن الوحدانيه تغيرت بمرور العصور و آلت الى الشرك وعبادة الجن والاوثان واتخاذ هياكل للنجوم باعتقاد انها هى التى تدبر الامر .

فبنيت المعابد على اساس ذلك الاعتقاد و ان الله اولاداً يدبرون الامر معه تجب عبادتهم اوتقديسهم. ولعل عبادة الاوثان فى البلاد المستقله من شبه الجزيره لم تكن بصورة خاصه محدودة باسم ورسم بل كانت كل امة او قبيلة تتخذ صنماً او اوثاناً يختلف بعضها عن بعض بالنوع والاسم والصفة وطريق العبادة و كثيراً ما كان الناس يضحى بعضهم بعضاً لتلك الاصنام ، وما كان العرب يعتقدون بالمعاد و الثواب و العقاب باختلاف قواعده فالحياة الدنيا كانت عندهم امر طبيعى بسيط والدهر هو العامل الوحيد فى التخريب والوبار فاذا انتهت حياة الانسان انتهى معها كل شىء فلا جزاء ولاحساب ولا ثواب ولانكال فمن اجل هذا كان القتل والسلب والنهب عندهم اهون من كل شىء و القوة هى المعول عليها والغلبه هى الحياة فى جميع شئونها

فمن غلب سلب و من سلب عاش عزيزاً . وقد اثرت هذه العادات والاحوال بالشعوب المجاورة من اليهود و المسيحين و غيرهم ممن اقام فى الاوساط العربيه. فاليهود لاذوا بالعرب من سطوة الروم التى يتبعها الحقد

والانتقام. وتمتعوا بالحريه و متعوا بهابعد الحروب الدينيه و المسيحيون فروا من الاضطها دالنسطورى والمعابد اليونانيه التى سببت الفتنة والشقاق والشقاء فوجدوا حرية الجهل فى العربية الجاهليه اعذب من العصبية القوميه والدينية والنجاة من القتل والنهب و العذاب خيراً من الاقامه فى اوطانهم بين الاعداء من قومهم اوغيرهم.

اما المسيحية فقد كانت البلاء الاكبر والوبال الذى لايطاق فقد كانت الفتنه بين اصحاب المذاهب المختلفه والعقائد الفاسده المدغمه بالخرافات والاوهام قائمة على قدم وساق والنفاق والشقاق آل الى العداء و الافتراق وبلغ فساد الاخلاق الى قتل القوم بعضهم بعضاً واباحة كل شيء حتى العفاف والشرف وبهذه الاحوال فسد العالم المسيحى بين النساطرة والصابئين و ارباب الحكمه اليونانيه وضجت الكنائس الى الله من تلك الفتنه والعداء و غلبت الفوضى على الفرق المختلفه بجميع شئونها واحوالها. وقد اصبحت جزيرة العرب مأمنا للرهبان الذين لايعلمون من الدين اقل حرف يبعث الايمان اويصلح الحال فقد كانوا يعيشون فى بطون الصوامع والجهل احسن متاع يعولون عليه والعمى خير صفة تسوقهم الى العصبيه وتزيدهم جهلا على جهل فبدلا عن الرافة والحنان كانوا يخرجون من معابدهم هاجمين بالسلاح على من لا يعتقد بدينهم فيقتلون ويسلبون ويجبرون من خالفهم على قبول المسيحية فاذا كانت الحالة عند المسيحين كما وصفت فكيف بالحالة عند عباد الاوثان الذين لايعتقدون بوجود رب رحيم يامر بالعدل و الاحسان واذا كان الحب والحنان هو الرائد عند المسيحين قد وصل الى تلك الحال من القتل والنهب والانتقام فكيف بالوثنية التى لاتؤل الى معاد اوحساب وعقاب فى يوم الجزاء وقد شاعت الخرافات بسبب تلك الهمجية اكثر مما

ينبغي فبدلا من ان يعتقد الناس بآله رحيم كريم يعاقب على السوء ويثيب على الحسنى اخذوا يعتقدون بالارواح والشهداء والقديسين على اثر دعوة المسيحيين المملوة بالسخافة والخرافة والجهل والجمود. على اثر الاختلاف بين المسيحيين قامت فرقة منهم بصورة اعجب واغرب من غيرها فقد اتخذت الصور و التماثيل و النقوش بالوانها الجاذبة الكاذبة بدلا عن تقديس المسيح وجعلت للاقانيم الثلاثه رابعاً اوضمت الى التثليث صورة اخرى مندمجة اومندرجة في الصور الثلاثة الاوهى مريم العذراء فقد اعتقدت تلك الفرقه ان مريم هى ملازمة للاقانيم و منضمة الى تلك الاجزاء الثلاثه . والصور الموجوده فى كنائس الاسكندريه وحلب ودمشق هى الشاهد على ضلال تلك الفرقه وانهما كها بالنقوش والاحجار والاوهام.

هذه حالة الاديان فى العالم ان لم نقل فى جزيرة العرب وماجاورها من اختلاف الاديان وشدة العمى والضلال ومـ التاليه الهمجيه من الجهل والقتل والسلب والنهب وقد كان الكل فى كل دين لا يعرف من الدين الرحمة والانسانيه ولايقول بوجود رب عادل محسن منتقم يحاسب على السيئه و يجزى الحسنه بمثلها . كانت الامم لاتفهم من الدين مغزاه ولاتقيم لفلسفة الحياة الاجتماعيه وزناً ولاتتقيد بالشرائع والانظمة والقوانين وان كانت فى الظاهر تدين باديان سماويه وتتبع المرسلين والهداة الى طريق الحق و الحياة فكيف بامة بين تلك الامم الضالة امتازت بضلالها عمن سواها لا تعتقد بالله رحيم او بمعاد وحساب وعذاب تعول على الوثن من الحجر واذا تجاوزت عنه اعتقدت بالدهر ولا تعرف غير الحياة الدنيا التى تموت وتحيا فيها الاوهى الامة العربية الضالة ذات العصبية والشقاء وقد زادها الجهل تعاسة وقسوة و جموداً فقد كانت تهيم فى و ادمن الظلام غلبت عليه الخرافات

والاوهام . وفى تلك الحالة وفى ذلك الوادى ظهر محمد صلى الله عليه و آله وسلم ولاح نورالهدى بين الضلال والجهل والعمى .

ولد محمد فى مكه وقداختلف فى تاريخ ولادته فقد قيل فى سنه ٥٦٠ و٥٧١ و٥٧٢ و٦٠٠ و٦٢٠ والصحيح عندنا على ماحققه العلماء من المورخين تاريخ ولادته فى يوم العاشر من نوامبر سنه ٥٧١ ميلاديه . ولا يهمنا هذاالاختلاف كما انه لايزرى بالتاريخ اوصاحبه فقداختلف المورخون فى ولادة المسيح حتى قررايهم على تاريخه وذلك بفضل رجل رومى يدعى (ديولى سيوس اگزى گواوس) كانت الرياسة اوالسياسة فى مكه و ما حولها موروثة لجد النبى الاعظم من آبائه ثم انتهت اوانتقلت الى طائفة من قريش وهو منهم والكل ينتهى نسبه الى اسماعيل ابن ابراهيم وقد اختلف المورخون والنسابون فى عدد اجداده عليه الصلاة والسلام اى كم كان عددهم من الاب الاول بعدالنبى الى اسماعيل اوكم كان عددهم بين محمد وعدنان جده الاعلى او بين عدنان و اسماعيل ولايهمنا هذاولكن قرالراى على ان بين النبى وبين عدنان لايزيد على ٢١ رجلا ابا وجداً وقد توالت خمس طوائف على رياسة مكه وحراسة الكعبه كلها من قريش وقد كانت الكعبه هى المعبد الاكبر للوثنين من العرب تحج اليه قبائل وشعوباً وافراداً وفيها ثلاثمائه و ستون صنماً بعدد ايام السنه و قد شاع بينهم ان مكه هى اول بيت بنى لعبادة الله بناه ابراهيم وتبعه ابنه اسمعيل فاتمه .

اماالبناء فهواشبه بمعبد « دلفى » فى اليونان من غيره وهو المعبد الذى يقدسه اليونانيون و كذاكان البيت العتيق فى مكه وخير بضاعة يفخر بهاالعرب فى جميع احوالهم هى الفصاحة والبلاغة والشعر والبيان فكم قد

سحروا بشعرهم ومعانيه قومهم حتى جعلوه اكرم شيء يباهى به ويعول عليه فمن اجل ذلك صارت مكه سوقا للحكمة والبيان يحج اليه الشعراء والخطباء والبلغاء من كل مكان ويتبارون فيه و يتفاخرون وتنقل تلك البضائع الثمينه بالافواه والاذان من مكان الى مكان . والذى يزيد مكه فخراً واحتراماً هو تقدم تاريخ البناء على غيره من المعابد والمعاهد فقد بنى البيت قبل هيكل سليمان بتسعمائه وثلاثه وتسعين سنه او بالفى سنه قبل ميلاد المسيح وهذا مايزيده احتراماً وتقديساً عند العرب وغيرهم من امثالهم . وفى جهة الجنوب الشرقى من ذلك المعبد يوجد حجر محاط بالفضه يرتفع عن الارض بقدر اربعة اقدام منصوب فى الجدار وهو الحجر الذى يحترمه المسلمون ويعتقدون انه نزل مع آدم من الجنة والبعض يزعم ان قلب الحجر الاسود هو نقى ابيض و انما اسود ظاهره من لمس النساء المجرمات اوالفاسقات او ان امرأة واحدة مذنبة مسته فاسود بسواد وجهها او ان سواده حصل بلمس المذنبين رجالا ونساءاً او ان القبل من مس شفاه المسلمين و من كان قبلهم هى التى سودته .

اما المورخون من كتاب العرب فهم يعتقدون بالمعجزات وخوارق العادات فى ولادة النبى ويصفون تلك الكرامات بمقالات بليغه واشعار كريمه فمن المعجزات ظهور نور فى السماء فى ساعة ولادته وان نار زردشت التى كانت موقدة منذ الف سنه انطفت فى تلك الساعه وغاضت بحيرة ساوه حين ولادة الرسول الاعظم.

اسم ابيه عبدالله واسم امه آمنه وقد كان خاله منجماً عارفاً بالحوادث فاخبر حين ولادته بانه سوف يكون رجلا عظيماً يؤسس ويدبر امراطورية عظيمه ففى اليوم السابع من ولادته دعا جده عبد المطلب اكابر قومه

الاحتفال بالمولود الجديد و قام بضيافة رجال قريش و اخبرهم ان ذلك المولود سوف يكون رائداً للسعاده وقائداً للعظمه وذلوراً للهدى والايمان ولاجل ذلك سماه محمداً اى محموداً وعظيماً .

محمد صلى الله عليه واله وسلم

وقدمات ابوه قبل ان يتم عامان من تاريخ ولادته وقد ورث من ابيه ناقتين وبعض الصنان وجارية تسمى بركه وقد ارضعته امه حتى مات ابوه فجف لبنها لحزنها على زوجها ففتشوله عن مرضعة تحضنه ولكن كثيراً من النساء زهدن به وبالاجرة التى عينت لحضانته حتى وجدت امراة من سعد كان زوجها راعياً للغنم وامثالها. فاحبته تلك المراه وحملته الى مكانها عند جبل فى الطائف فى الجهة الشرقيه من مكه . وقدرات المرضعة بين كتفيه خالا اسود فاخبرت زوجها به فتشائم كلاهما منه واعتقدا ان الجن قد ختما ظهره فحملاه الى قومه واعاداه لامه . فلما بلغ عمره ستة سنين حملته امه الى يثرب وهى البلدة التى هاجر اليها النبى باسم المدينه ولما عادت من يثرب ماتت فى الطريق و دنت هناك فاثر موتها ودفنها به كثيراً وهذا مايدل على سمحو العاطفه فيه فقد كان كثيراً مايذكر امه او يزور قبرها بحزن لايوصف. وفى السنه السابعه من عمره احسس بثقل الحياة والمهاوراى نفسه يتيماً وهذا الالم هو الذى ذكره حالته حتى وصفها القران وذكره بصورة يتيم و عند ماكان يشتد الالم او تهجم عليه المصائب و الاحزان او يلاقى المعضلات كان يقرا هذه الاية الكريمه « الم يجدك يتيماً فآوى»

ومرت السنون والاعوام على اليتيم الذى فقد امه بعد ابيه حتى سمح الله له بزياة قبر امه حين مر عليه فى سفره من المدينة الى الحد يبيه و كان معه خير اصحابه فبكى عند قبرها وهم يجهلون سبب ذلك البكاء والجزع

فاعلمهم به وقال : اذن الله لي ان ازور قبر امي فقدتذكرت حنانها وسهرها علي واردت ان اجزيها بالدعاء ولكن الله شاء غير ذلك وهذا مايد لنا على مروته وعاطفته الكريمه وقيامه ازاء الحب والحنان و العواطف لها ثمن اكبر واكثر من كل شيء

ولما مات ابوه كفله جده لابيه عبدالمطلب وهو شيخ قومه ورئيس قبيلته ولكنه مات بعد ان بلغ الصبي عامين فكفله عمه ابوطالب الذي ورث الرياسة من ابيه وجعله كاحد اولاده واعتنى بتربيته اكثر مما ينبغي و في ذلك الحين اي عندما كان صبيا امتاز عن لداته و اقرانه بحسن الفكرة والمتانه والخلو والعزلة في زمان كان يلعب فيه الصبيان واللعب هو حالة ضرورية للصبي الا انه كان اعظم واكرم من ذلك و كلما دعاه لداته من الصبيان ليلعب معهم قال : « خلق الانسان لامر آخر هو خير من لعبكم ولم يخلق عبثاً .

ثم انه بلغ الثالثة عشر من عمره فصحب عمه اباطالب وكان تاجراً ذاثروة و فكرة و هو الذي طلب من عمه ان يصحبه معه في سفره الى سوريه (الشام) و قد بانت في سفره هذا علايم الجد و الامالة منه و بعد سنه اشترك في حرب وقعت بين قومه وقوم آخرين وقد كان العرب يعتقدون ان التجارة والحرب هما ضدان فالتاجر لا يقدر على ان يكون جندياً باسلا وكذا الجندي لا يصلح ان يكون تاجراً و لكن محمداً كان يصلح للحرب والتجارة فقد برهن على انه نعم التاجر القادر على ادارة شئون العمل كما انه نعم البطل العالم بفنون الحرب فكانه قد مارس الامرين مدة طويله وذاق الامرين منهما حتى انه في ذلك السفر وفي تلك الحرب نال شهرة عرفه بها قومه فاحبوه والذي زاده شهرة وعظمة هو صدقه وحسن عمله وعدله وانصافه في كل شيء حتى اصبح الصادق الامين وكلما

ازداد عمره واشتد في العمل ازداد شهرة في الصدق والامانه فوثق به كل من عرفه واخذ الناس يطلبون اعتماده ويستغلون درايته وامانته في التجاره وفي غيرها .

وفي سفر كان مع عمه في طريقه الى سوريه (الشام) مر على راهب في دير كان هناك فراه الراهب واكثر من النظر اليه والاعجاب به حتى دعا عمه اباطالب وقال له حافظ على ابن اخيك الشاب هذا من اليهود فانه خلق لامر عظيم وسوف يقوم باعمال لايقوى عليها غيره

والذى يدلنا على صدق ماقاله الراهب هوماحدث للنبى بعدذلك من عداء اليهود وخلق المشكلات له وسد الطريق دون الوصول الى مايروم من انتشار الدعوة وتعميمها وهذامايهمنا اكثر من غيره فقد تفأل الراهب و بان صدقه.

وقد بلغ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من العمر ماابان عظمته ورشده في كل شيء فقد كان قائداً مهيباً و آمراً ناهياً عظيماً في خلقه يحف به الوقار و تزينه الهيبة ، طلق المحيا اسود العينين ذا انف دقيق وذم حسن ازدان باضراس كانها اللؤلؤ محمر الوجنتين جميل الوجه ومعتدل القامه وشعره الاسود في راسه ولحيته يزينه ويزيده حسناً على حسن

ماكلمه احد الا انجذب لابتسامته الحلوه وكلمته الطيبه المنبعثه من صوت رقيق ينفد الى قلب الانسان مقرون بالحب والرأفة والحنان ومشفوع بالصدق والايمان . وقد امتاز بحسن السياسة التى يستطيع بها اكبر قائد ان يقود الجيوش و يسوس الجند كما عرف بالذكاء و الفطنه و سرعة الانتقال وقوة الحافظه وكان عادلا منصفاً بحكمه شجاعاً صريحاً في قوله يدرك كل مايخفى حتى على الاذكياء

اما الذين يشكون بنبوته اولا يصدقون رسالته هم في عمى من جهلهم فلنتركهم و ماهم عليه من العمى والضلال ولنقل ان الذى يدلنا على صدقه هو ثباته واستقامته في دعوته و اصراره على استقرار امره و بث فكرته و هدايته فالامر الذى حثه على الثبات ودوام الدعوه على مافيها من المعضلات هو اكبر من كل مايرام فقد كان ثباته من القوة والعظمة على قدر ذالك الامر العظيم وهو الذى دل على صدق نبوته ومن اجل هذا حمده كل من عرف جهاده و ثباته وقيامه بالحق والصدق.

اما الفصاحة والبلاغه فهما دون ماوهبه الله من تأثير البيان و هداية الانسان الى طريق السعاده وقد اعتمد على البلاغة وجعلها فاتحة الهدى و الايمان فلا يمكن لمن يسمع قوله ان يحيد عن سبيل الحق الا بالجهل والعناد .

وعلينا ان نشفع مقالنا هذا بما كتبه الاستاذ «گيبون» عن محمد صلى الله عليه و آله وسلم فقد قال:

«كان محمد (ص) جميلا والجمال هو نعمة لا يعرفها الامن فقدها و حرم منها مثل قومه فقد امتاز بينهم بحسن و جهه .

وقد كان قبل ان ينطق او يخطب يجذب من حوله ممن احب ان يسمع كلامه واحداً كان اوجماعة ممن يعظهم ويهديهم وهو في حالة اقرب منها الى الامر والحكم من الاستمالة . له وقار وهيبة ، ذوعينين نافذتين في قلوب من يرمقه او يسمع بيانه وله ابتسامة تعمل في نفوس المستمعين اكثر من كل شيء فكانها تامر و تنهى و تنفذ احكامها قبل ان يتكلم ولحيته الكريمه كثيرة الشعر وشديدة السواد . هو بما عليه من هيبة وجمال يمثل مواهبه و يدخلها في قلوب اصحابه ويمزج تعاليمه بارواحهم ومجموع اقواله مشفوع

بكل طيب من كل امريهم قومه ويهجم على شعورهم فيملكه ويتصرف به كيف يشاء فلايسعهم الاالحمد والثناء اوالتهليل والتكبير لما يهيج نفوسهم من القول الحسن والراى السديد و هو في كل احواله ينظر الى الاصلاح القومى العالمى بمايلزم ايجابه اواجتنابه من نظم وشرائع وتعاليم وقوانين تنفع المجتمع الانسانى وتهذب البشر وتصلح حالهم ولا ينكر مااعتادعليه القوم ممالايضر بالحياة اويفسدها وقدكان امام الاغنياء والفقراء يلزم حالة واحدة هى التواضع و الرافة فالكل عنده شرع سواء لاتفاوت بين الفقراء والاغنياء .

وكانت الصراحه فى قوله تدل على انه لايخفى شيئاً عن قومه اوغيرهم ممن يكره اعتقاده اويحبه ويعمل به . آدابه وعاداته ومحاوراته تنم عن وفاء وحب وصداقة للاصحاب وثقة بالاحباب مما يعلمهم الوفاء والحنان . الفطنة والذكاء وقوة الادراك والحافظه اقل اوصافه . عدله وانصافه والقضاء فى كل قضية اومعضلة هوالحكم الصحيح الصريح الذى لايرد ولا ينقص او ينقض. اجتمعت فيه قوتان قوة الراى وقوة العمل اوشدته والاقدام على كل امر شديد .

اما الدعوة الاسلامية وان كانت متدرجة فى انتشارها واتساعها فقد كانت مولودة الراى والنبوغ والالهام مدبرة ومرسلة من الله الذى لايجحدو لايرد امره فهى الامر الذى صدرت به الرساله يؤيدها القضاء وينشرها امر الخالق الوحيد المبدى المعيد .

نشأ ابن عبدالله بين اكرم قوم بافصح كلام و احسن لسان عربى و الذى زاد بيانه حسناً حزمه و سكوته فى اوان يجب ان يسكت ويحتاط .

اما علمه ان لم نقل تعليمه فهو فطرى الهى ولم يدرس عند احد او يدخل مكتباً اومدرسة حتى بصورة بسيطة اعتاد قومه ان يعلموا اولادهم فيها الكتابة والحساب فهو النبى الامى الذى لم يتعلم مايسمى عندنا اليوم علم ادب بمافيه من ابواب وفصول وتعاليم و ربما جهل العرب علم الادب كما وصفناه فلم يتجاوز علم النبى علم قومه فى البساطه ومجمل القول انه لم يكن كتاب عندهم تدون فيه التعاليم والاداب وقد عول العرب على الشعر فقد كانوا يهتمون به ويطبقون بعض امثاله او حكمه على حياتهم الاجتماعيه فيتخذون منه النصائح والتعاليم النافعه ويكلفون انفسهم بالتقاليد الساميه فهم يحفظون القصائد ويتبارون بانشادها و يعملون بتجارب قائلها وعلى انهم حرموا من استاذة ومعلمين بصورة خاصه فقد وجد بينهم رجال كبار يشعرون و ينفقون شعورهم على من اعتقد بتجاربهم و افهامهم و يمكن القول بان مدارسم كانت خيامهم و استاذتهم كانوا لشعراء والعلماء بالانساب والايام والحساب .

ومدارسهم كانت مفتوحة امام كل تلميذ ومتعلم فهى الخيام المرفوعة اذيالها والمفتوحة ابوابها.

فاذا كانت الحالة هذه عند العرب فمن العلم ان نقول بان المدارس و ان كانت خياماً وان الاستاذه وان كانوا شعراء اومحدثين ومسامرين هى وهم الذين اوجدوا علماً وادباً بسيطاً ينتفع به العرب ويباهون به من جهله . مثلا كان اوحكمة اوبيت شعر يصلح الانسان اوالمجتمع الانسانى. اما الذى نسميه نحن الاروبيون علماً فهو يختلف عن ذلك العلم البسيط الذى يهذب الانسان ويزكى النفس ويشحذ الذهن ويوجد العاطفه وهذا مايمتاز به ابناء الشرق ولانجد فيه لنا سهماً فنكون شركاء لهم فى التزكيه والتهذيب

وقد تزوج محمدصلى الله عليه وآله وسلم بخديجه فكان الاحتفال بعرسه عظيماً في ذلك الزمان فقد نحر من الابل اثنين واحضر احسن الطعام وقام بالطرب والرقص غلمان وجوارى خديجه و تمتع الضيوف بالاكل والشرب والغناء والضرب بالدف والرقص وقد كان عمره الشريف في ذلك الوقت لا ينوف على ثمانية وعشرين عاماً اما خديجه فقد كان عمرها لا يقل عن الاربعين سنه على ان اختلاف السنين بين الزوجين كان كثيراً فلم يؤثر في نفسه اقل شيء وقد احب حليلته حباً جما وحرم مما تمتع به غيره من تعدد الزوجات فقد كانت الشريعه تسمح لقومه بذلك

و من الصعب ان نلم بتاريخ حياته في مدة خمسة عشر عاماً اننا و اكثر المورخين نجهل ذلك كما نجهل حياة عيسى عليه السلام مدة اشتغاله في معمل يوسف النجار

وهذه المدة من هذه الحياة الشريفة المجهولة عندنا هي اكرم واسعد وقت لنبى بعثه الله تعالى بالحق فقد مرت الايام عليه و هو يفكر و يسكت و يدرك الحق والايمان و يمتع قلبه به و يتهيأ للرساله والقيام بالواجب لاصلاح المجتمع الانسانى وانقاذ البشر من الضلال وهى المدة التى نزهت الرسول الاعظم مما اعتاد عليه قومه من الشر او الشرك او الاشتراك بالفتنة والفساد فقد سما بروحه وفكره وايمانه عن افعال القوم و آثامهم في جميع احوالهم واستمر تفكيره واستعداده للرساله حتى تم الامر فقام بما امر به من الانذار والهدى .

وقد قيل انه كان في كل سنة ياوى الى غار حرا في الجهة الغربيه من مكه فيقيم فيه شهرا مفكراً وهذا ما يشير اليه الانجيل من التفكير والسكوت والعباده وهو ما يوصف به الانبياء والقديسون فمثل هذ التفكير والسكوت

لابدان ينهض بالبعث والرساله ويؤثرفي صاحبه احسن اثر للقيام بالواجب بقوة من الاعتقاد الصادق والايمان والاعتماد على الله تعالى وعلى ماذكره احد الكتاب شارحاً به حياة الرسول الاعظم فقد مرت عليه ستة شهور كان لايستقر فيها على حال ولايهدأ له بال فقد كانت فكرة البلاغ هي التي تقلقه حتى تمت وكملت الرساله

اما الذى يلزم ان نحققه من حالاته و صورة البعث في جميع ادواره واحواله اكان رؤيا والهاماً اوبعثا روحيا و جسمياً اومايشبه ذلك مما لانضرح به فهو صعب علينا اما الذى لايشك به احد هو تلقى الوحى و زمانه فعند نزول الوحى كانت تعتريه حالة يتغير فيها لونه وتنكمش صورته ولعل تلك الحاله تشبه اليقظه بعد النوم وفي الشتاء وعند اشتداد البرد كان يعرق حين ينزل الوحى كما يعرق في الصيف و يتساقط من جبينه قطر العرق وقد قيل انه اذا كان راكباً ونزلت عليه آية كانت تعتريه تلك الحاله الى حدانها توثر في الناقة التى يركبها اوالبعير فيجثوالبعير حتى يتم الوحى وربما شهد من راى تلك الحالة باضطراب البعير واضطراره الى التخلص منها كانه في الم اوضغط شديد .

وقد كذب من نسبه الى الصرع وهذا الافتراء شاع عمن تأثر بالعلوم اليونانيه فجعل الوحى الكريم مرضاً عصبياوثورة جسميه وتبعه المسيحيون المتعصبون فزادو في الطين بله و اتهموا خير انسان بعث ليتم مكارم الاخلاق بالصرع والتهيج العصبى ليضلوا قومهم ويزيدوهم جهلا على جهلهم وبهذه الاباطيل يستغلون العصبيه في المسيحيين فيحثوهم على عداء محمد (ص) وانكار رسالته وهدايته فلوانهم نسبو حالة الرسول الى الم روحى يعتريه عند الوحى ويشتد لما يلاقيه من جهل الناس وضلالهم لكان خيراً لهم ولكن

شاءالله ان يفتضح الكاذب ويهلك الجاهل وتفعل العصية المسيحيه باهلها ما يزيدهم جهلا وضلالا ودين المسيح ينهى عن مثل هذه الاكاذيب والتهم و يامر بالرأفة والمروة والعدل فلتكن هذه الصفات اقرب للاعتراف بحق محمد عليه الصلاة والسلام .

ولما كملت له اربعون سنه كان ملتحفا فى بعض ليالى رمضان بعباءة وقد ارق وقلق فى تلك الليله فكانه سمع صوتاً يناديه باسمه فلما اخرج رأسه من الكساء راى نوراً فدهش حتى اغمى عليه فكانه رأى فى تلك الحاله ملكاً يشير الى هذه الكلمه : « اقرأ » ولم يكن يقرأ .

ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم . فلما افاق قرأ تلك الايات فنزل من الجبل وهو يشتد عزماً فاعتزل فى الهضاب وهناك تمثل له جبريل فقال انك رسول الله والله اكبر

وليعلم كل من ينكر هذه الحالة انه يجوز لكل من يعتزل ويفكر و يبحث عن الحقيقه ان يتمثل له اوان يتصور صورة ذهنيه فيراها نائماً او واعياً مغمى عليه اومنكراً مستغرقاً بالفكرة والايمان . وامثال هذه الحاله تعترى كل انسان رجلا اوامرأة ولها امثلة وحكايات لايهمنا ذكرها ولا نشبه النبى الاعظم بمثلها فالحق اوضح من ان يوضح . و كل ماذكرناه من حالات نزول الوحى لايتجاوز الاحتمال فلنترك الاحتمال والبحث فيه لمن يشك او يتعصب كما انه لايهمنا انزل عليه جبريل بالوحى وقرأ له الملك الايه ام لم يكن ذلك وانما يهمنا ويهم العالم الانسانى لاالاسلامى وحده ان نقول ونعتقد بان محمداً مرسل من الله يعتقد هو نفسه انه نبى مبعوث للامم ونعتقد نحن ان انصفنا انه صادق بدعوته مؤيد من عندالله مؤمن برسالته

وقائم بواجبه فی نشر بلاغه وهداية الخلق الى طريق الحق .

ووفى صباح اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان قصد محمد زوجته خديجه وهوملتف بكسائه وكانت حالة الوحى على ماهى عليه من الاضطراب فقال لخديجه صبى على ماءاً بارداً ولما فعلت وسكن حدثها بما حدث من الوحى ودعاها للايمان فلم تشك به ولم تتاخر فكانت اول مسلمة وهذا مايزيدنا تصديقاً فان تاثير النبى فى زوجته بالحب والحنان هو الذى جذبها الى الايمان وتلك صفة اختص بها حتى صدقته بكل ماقال وهو الذى كف عن اتخاذ زوجة اخرى لاجلها كما كانت العادة او الشريعة تسمح به وتحث عليه فهى اكبر منه سناً و هو اجمل منها و مع ذلك كله احبها وعاش معها بالصدق والايمان فدل ذلك خديجه على ان زوجها يمتاز بالصدق والحق والايمان فهو صادق فى كل شىء وقد عاشت معه زمناً و احاطت بكل شىء خبراً فما خفى عليها من صفاته ومكارمه شىء ولم تعهد به اقل مايوهم الشك فصدقت رسالته (١) ثم ان علياً قبل الدعوة وآمن بها وهو ابن عم النبى وكذا زيد وهو غلام كان عربياً مملوكاً فاعتق ثم ابو بكر و هو احد رجال قريش وكان ذا سعة ومال فكان اسلامه سبباً لقبول الدعوة واعلان دين جديد والذى يجب ان نشير اليه و نوضحه هو اسلام اقربائه فقد عده اعدائه من المسيحين نقصاً وعيباً وهو عندنا كمال و وفخر اذ ان الاقرباء هم ادرى باحوال القريب فبما انهم وجدوه صادقاً واميناً ولم يشك احد منهم بصدقه وعفته وامانته فعلى رغم اعدائه ممن يخلقون العيوب ظلماً وبهتاناً نجد ايمان اقربائه دليلا آخر على صدق الدعوه وكرم الاخلاق « وانذر عشيرتك الاقربين »

---

(١) قال سيل فى كتابه : ماعلمت ان احداً انكر ايمان خديجه بمحمد او تباطئها عن قبول الدعو وذلك ثقه منها بعفته و ايمانه

ولم تمض على دعوته الاولى مدة حتى قام بالدعوة الثانيه فقد احتفل بسراة قومه و اخبرهم بنبوته فلم يلبه احد بل اعرضوا عن الحق و تمادو في الضلال .

ولم يكتف بالدعوة الى التوحيد وابلاغ رسالته بل هدد من حضر بتحطيم الاصنام واخبرهم بوجوب اعادة دين ابراهيم و احياء ماسلف من الوحدانيه فلم يلق منهم اقل اعتناء بل قابلو تهديده باشد مايمكن وقالو عليك بالسكوت فالزمه ولاتعد ماقلت على احد . ولم يكن قومه الاقربون باقل من غيرهم عنفاً وتمرداً فقداشتدوا وشدوا عليه بكل قوة ولكن عمه ابا طالب وان لم يكن مومناً به على ماقيل فرض على نفسه الذب عن ابن اخيه فحماه بكل قواه واستمر على ذلك غير خائف ولاملوم

وقد قضى بعد ذلك عدة سنين في غاية الصبر على البلاء من عداء قومه والبغضاء واشتد الامر عليه وعلى من امن به فغلب الشقاء على اصحابه وامتحنوا بكل بلية وقسوة ثم ان قومه عرضوا عليه ازاء الدعوة مالاوشاناً في الرياسة على ان يتركهم وشانهم من عبادة الاصنام ولايكلفهم برفضها فابى عليهم وقد نزلت عليه الايات ننقل بعضها هنا:

تنزيل من الرحمن الرحيم . قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله و احد فاستقيموا اليه واستغفروه و ويل المشركين . الذين لايؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون . قل انكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواءاً للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين . و اما

ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم. لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم .

اما الذين انكروا رسالته فقد طلبوا منه بينة واعجازاً على صدقه فكان يقول :

انما جئت لاهديكم لالاريكم اثراً من خوارق العادات والذى يبشركم او ينذركم لايعتمد الا على دعائه فان انكرتم ما انا عليه من الهدى والايمان فليكن هذا القرآن في بلاغته و آياته البينات آيته وبينة لكم و ان جحدتم فاتوني بمثله او بعض آياته وهذا ماكان يعجزهم ويفحمهم و يردهم على اعقابهم عمياً وصماً ولو قدرو لجاؤا ببعض مااراد اوقابلوه بمثل ماانزل عليه من الايات المعجزات .

ولا يجدا حد دليلا على ان محمداً عزز رسالته بغير الصدق والحق فان (دكترين) رسالته مفعمة بالادله والبراهين والبلاغة التى ميزته عمن سواه وكانت الدعوة في اول امرها تمتاز بالايمان والشوق الى الواحد المنان فقرنت بالدليل وحسن البيان .

وفي الحقيقة ان الدعوة في جميع اطوارها كانت مشفوعة بالتضحية والايمان والتفاني في سبيل الحق .

لابد لنا من ان نشير الى مانسب اليه من الايات وخوارق العادات على انه كان عليه الصلاة لايعتمد على مثلها بل ينكر كل شيء يميز دعوته عن البلاغه ولا يتخذلها من المعجزات غير الصدق والايمان وقد امتاز عما نسب اليه بالبساطة و بيان الحقيقه واننا لناسف كثيراً على زوال تلك الحقيقة التاريخيه التي تجرد حياته من التكاليف و الاوهام و تجعلها مثل حياة

القديسين والمسيحيين المحفوفه بأباطيل التاريخ واكاذيبه من المعجزات فحياة محمد اكبر واوضح مما يصفون و هو اعظم ممن يحتاج الى تلك الاقوال والقصص والاباطيل

وفي الحقيقة الفرق بين حياته الحقيقية كما ذكرها القرآن المجيد و بين تلك الخرافات التى اعتمد عليها الكتاب هو الفرق نفسه بين ماجاء في الانجيل و ماصاغته الاباطيل فكثيراً ماحكى « يونان تورا گيبون » في كتابه « سقوط اوزوال رومه » قصصاً عن المسيح لايعتني بها اهل الحق فقد كذب عباد المسيح على محمد والاسلام اذقالوا و كتبوا واتهموا و كذبوا بان « طائراً داجنا كان يقع من السماء على محمد فيسر اليه في اذنـه الوحي » .

وقد نقل هذه القصه الى العربيه الكاتب « گروتيوس » ولما اراد الكاتب «يوكوك » ان يترجم الكتاب الى العربيه سال «گـروتيوس » عن اسناده فاعترف ان سند هذه التهمه مجهول في التاريخ ولايعلم له العرب اصلا ولا سنداً .

والذي يدل على اتهام المسيحيين محمداً هوانهم حذفوا هذه الحكاية من خمسة كتب مترجمه الى العربيه لئلا ينكرها المسلمون فيفضحونهم بكذبهم ولكنهم اثبتوها باللغة اللاتينيه ليستهزأ بها المسيحيون فيعدون آيات محمد ومعجزات الاسلام هي مثل تلك الاباطيل وهذا بعيد عن الحق والعدل والانصاف .

ولما رأى ابوطالب ما اصرعليه القوم من العداء لمحمد و الانتقام للاصنام اخذ ينصح لابن اخيه بان يترك دعوته ويركن الى السلم و يهدأ

فاجابه النبي فقال :

والله لوجعلوا في يميني الشمس وفي شمالي القمر واجتمعت على قريش لتصرفني عن الحق لماحدت عنه وسكت عن الدعوه والبلاغ .

وقد دعاقومه مرة اخرى فهيأ لهم لبنا وذبح كبشاً وقدمه و انذرهم ثم بشرهم بان لمن تبعه و آمن بالله كثيراً من خزائن الارض تزيدها السعادة الابديه والثواب زيناً على زين واجراً اخر معنوياً يقترن بالملك والثروة والرفاه .

ثم سألهم هل فيكم او منكم احد يعينني على حمل ماعلى عاتقي من الرسالة والبلاغ لاجعله وزيراً ومشيراً فيكون مني بمنزلة هرون من موسى ويخلفني بعدي فلم يجبه احد ولم يلبه غيرابن عمه علي بن ابي طالب فقد قال :

« يا رسول الله انا اصغر القوم وفي اعينهم ادق ساقاً واعظم بطناً من كل احد وعلى كل حال اجيب دعوتك واقبل بلاغك واومن بالله وبك و اعينك على ما انت عليه .

ولما سمع محمد من علي تلك الكلمه قام اليه وضمه الى صدره و اثنى عليه وقال :

هذا اخي ووزيري :

بدات دعوة محمد في مكه وازداد عدد من امن به فكان ياوى الى جبلين هناك احدهما الصفا والاخر «ابوقبيس » وربما ذهب الى جبل « حرا » وكان يقرأ ما نزل عليه من القرآن على قومه وفي ذلك الحين آمن به عمر وهو الداعدائه واشدهم قسوة واضراراً ولكنه كان فتى مستقيماً وجلداً .

وكانت «امينه» اخت عمر قدآمنت بدين محمد وقدبلغ اخاها ذلك فاخذ سيفه وهجم عليها فانتثرت اوراق الصحف من يديها فجمعتها حرصاً على كرامة القرآن فاختطفها منها عمر عنفاً فوقعت عينه على بعض الايات فراى فيها ما يكفيه للهداية والايمان فآمن بعد ان ضرب اخته و جرحها .

«جاء فى التاريخ الاسلامى انعمر قدبلغه ايماناخته وزوجها فى حين كان احدالاصحاب يفقهه من آمن فى بيتها فاخذ سيفه وطرق الباب فخافه من كان هناك فاخفى نفسه ولكن عمرسمع بعض الايات ففهم بلاغةالقرآن واقبل على اخته فخافته و لكنه اخبرها بانه قدآمن فخرج اليه من كان يفقهها فتعلم منه وذهب من حينه الى النبى (ص) .»

فزال غضب عمر و بدلالعداء بالايمان فذهب الى محمد و كان فى جبلالصفا يبشر و ينذر و يتلوالقرآن داعياً للايمان فلما رآهالنبى صاح به «من اين جئت ياعمر؟ هل جئت ليسقط عليك سقف هذالبناءفيجعلك نسياً منسياً»؟

فاجابه عمر انما جئت اليك مومنا بالله و برسوله عارفاً بالهدى والايمان .

ولما راى القوم منقريش ان محمداً يتابع الدعوه ولا ينثنى عن الحق مصراً على الانذار والدعاء زادوه عداء وشدةوقابلوه بالظلم والعدوان . ثم فتشوا عن المؤمنين فى كل مكان وحين فاساؤ اليهم بماقدرو اعليه من انواع العذاب والضغط فاذن لمن تبعه بالهجرةالى مأمن يلتمسونه وكانت بلادالحبشه خير مكان يصان بهالايمان ويستريح المؤمنون من اعدائهم فهجروا .

وكانت الهجرة الاولى فى السنه الخامسه من البعث والرساله وقد بلغ
عدد من هاجر الى الحبشه ثمانين رجلا وامراة تبعهم بعض الاطفال ذكوراً
واناثاً فتلقاهم النجاشى ملك الحبشان بالحب والحنان و صانهم عن الظلم
والعدوان بكل قوة الى ان بلغ اعتنائه بضيوفه ان وصل اليه وفد من قريش
يطالب برد من لجأ اليه فابى وحمى المهاجرين باحسن ماينبغى وقد ادعى بعض
المورخين من المسلمين انّ النجاشى قبل الايمان واسلم .

الفصل الثاني

وفى السنة الثانيه من البعث و الرسالة كثر اصحابه وازدادوا قوة فازداد اعداؤه شدة وغلظة واذاء أوتتبعوا من آمن به بكل ماستطاعوا من الضغط والعنف والصدو الطرد والفرد والمصيبة العظمى هى موت عمه ابى طالب الذى كان يحميه و يرد عنه الاعداء بكل قوة ويمنع حماه وينصره فلمامات ورث ماله اعداء محمد من الاقرباء فاشتدوا عليه و زادوه عداء الى ان بلغ ضغطهم عليه انهم كانوا يرمونه حين الصلاة بكل مالا ينبغى ان يذكرو يسيئون اليه والى اصحابه من المؤمنين كل الاسائه فى غاية التعصب والجهل والهمجية التى غلبت عليهم فحادوا عن طريق الحق والرحمة والانسانيه و ازدادت مصائبه عليه الصلاة بموت خديجة التى كانت تشترك معه فى الحياة ويستشيرها ويستعين بها فى كل شىء فقد توفيت وهى واضعة راسها فى حجره فانطفى بموتها سراج بيته و خمدت جذوة الحياة الداخليه و كانت مدة عشرين عاماً اكرم زوجة تساعده على كل معضلة وتعينه على الحياة وعلى انها بلغت من العمر ما يذهب بنضرة الشباب و جمال الوجه فقد صبر عليها كما ذكرنا واكتفى بواحدة و متعها بالوفاء والحب كما ينبغى له ولها.

توفيت خديجه و دفنت فى الشمال الغربى من مكه وقد زار قبرها الرحالة المعروف «بوركسهاردت» وقال عنه انه يزار الى اليوم وقد ذكر انه نقشت على الحجر من قبرها آيات بينات بالخط الكوفى من قديم ولم ير اكثر مما ذكر.

و قد كان النبى محمد عليه‌الصلاة يذكر حياة خديجه و يثنى و يترحم عليها فى كل حين حتى آخر ساعة من حياته وقد هاج وفائه هذا و ثنائه عليها ضرتها الشابه عايشه و هى اجمل و احسن واعز نساء النبى فقالت له :

« الم تكن خديجه عجوزاً و قدرزقك‌الله خيراً منها زوجة شابة وجميلة» !

ولكن‌النبى المرسل على مافيه من المروة والفتوة والوفاء قال لها «لاوالله . ماوجدت مثلها امرأة فى‌الحب والحنان فقد آمنت بى فى‌زمان هجم به على الاعداء بالكفر والاستهزاء والظلم والعداء وعلى تلك‌الحالة كان‌الفقر لايقل عن مصائب الحياة ومشكلاتها فقد اغتنى واعاننى على كل معضلة .

ولما اشتدالعداء والاذاء خرج‌عليه‌الصلاة مع‌زيدالى الطائف الذى يبعد عن مكه ستين ميلا و كان هناك‌العباس احد اعمامه. وعند ماكان مقيماً فى‌الطائف دعا ثلاثة رجال من‌اهل البلاد الى دينه ولكنهم رفضوه وآذوه كماكان يؤذيه اهل مكه وقد عادوه و ضغطوا عليه وهددوه بان يخرج الى بلاد غير بلادهم فلم يجدهناك من يساعده على نشرالدعوه او على‌الاقامة مدة‌التجائه و قدهجم عليه الرعاع فرموه بالحجارة ورشقوه و اضطروه‌الى‌الخروج و شيعوه بالشتم والرمى‌حتى‌انتهى‌الى‌جبل كان هناك فعادوا عنه واستراح عند كرمة اوى الى ظلها ثم استعاد قوته و استعان بالايمان فقصد مكه كماكان ولما قرب منها ارسل الى رجل كان يعرف بالرافة والانصاف ولم يكن موافقاً لقومه على ايذاء محمد فاستجار به و استعان بفضله وهو مطعم‌بن عدى فقبل ذلك منه وامر اولاده واتباعه من

قومه ان یحملو سلاحهم ویدخلوا به الکعبه فرکب القوم و جاؤا به حتی دخل البیت وقبل الحجر الاسود وذهب الی داره محاطاً بالرجال .

وبعد شهرین من وفاة خدیجه تزوج بامرأة تسمی «سوداء» وکانت ثیباً وفی وقت یقرب من ذلك الزمان اقترن بعائشه بنت ابی بکر الشابه الجمیله وکان لزؤاجها اثر فی الصداقه بینه وبین صاحبه .

و قد ذکر انه علیه الصلاة اتخذ من بین خمس عشراو ثلاث عشر امرأة احد عشراو اثنی عشر زوجه فی مدة حیاته بعدخدیجه وهذا الذی جعل الکتاب من الاورببین بان یحیدوا عن طریق الصواب فینسبون النبی الی مالا یصلح من الاحوال و یکثرون بذلك الاقوال من حب النساء وغیره .

ولا نعتقدان تعدد الزوجات کان مخالفاً للشرائع و الاخلاق فقد کانت الشرائع عندالعرب قداجازت ذلك وقررته والشریعة الاسلامیه تقول به وان کان عندالاروبیین ممقوتاً اومنکراً ولایهمنا هذا ولا نقیم له وزناً بجمیع احواله وصفاته .

ولایسعنا الاالاعتراف و الشهادة للنبی بانه اقتنع بزوجة واحدة من السنة الخامسة والعشرین من عمره الشریف حتی بلغ خمسین عاماً فهو فی طول هذه المدة ما ازداد علی واحدة فی حیاته و شبابه وقد بلغ عمره حین وفاته ثلاثة و ستین عاماً ولم تلد له خدیجه ذکراً فیمکن القول بانه کف عن ان یزیدعلیها بسبب الولد فاذاکانت الحالة هذه فی صبره علی زوجة واحدة هی اکبرمنه سناً ایجوز ان یقال انما دفعته الشهوه العیاذ بالله الی اتخاذ عدة زوجات اختلفن بالسن والحال والجمال من ثیبات وابکار ؟ انها لمدة طویلة مقرونة بالشباب والقوة فقد بلغت خمسة

وعشرين عاماً صبر فيها محمد على زوجة هي اكبر منه بخمسة عشر عاماً و هو اقدر على ان يتخذ غيرها لتلد له ولداً ذكراً يرثه وهو معذور بذلك عندها وعند الناس وربما جازلنا ان نقول بانه انما اراد في آخر عمره من تعدد الزوجات ان يولد له الولد المامول و تلك الامنية حثته على ذلك وعلى كل حال .

قد كان للدين والاخلاق اثر لاينكر ظهر في النساء والتجائهن اليه واعتمادهن على مروته و كرمه في حمايتهن و الاحسان اليهن و نخص منهن من فقدن الرجال فصرن ايامى كما اثبت ذلك التاريخ في ازدواجه بمن قتل زوجها ولم تكن شابة حسناء

وفي الاشهر الحرم حيث تحرم الحرب ويبطل الضغن والعداء وتزدل الشحناء يحج الى البيت كثير من الناس من مختلف الانحاء بلاخوف في كل حالة لا يخشى عليها من القتل اوالثار والانتقام اوالقيام ازاء عمل يسلب راحة الزؤاز والحجاج ففي تلك الشهور التى تحتفل بها القبائل والشعوب وتقصد الكعبه بالتهليل و الفرح و السرور قام النبى بنشر دعوته و اغتنم ورود اهل يثرب مع من حج فدعاهم الى الاسلام فاسلموا ولما عادو الى المدينه اخبروا قومهم واهل بلدهم بذلك الدين الجديد وشرحوا لهم فوايده وما جاء به من العدل والاحسان و كانت الرقابة التجاريه بين اهل يثرب و مكه شديدة في تلك الايام و اهل مكه هم اعداء الاسلام فبذلك العداء اتخذ اهل المدينه ديناً ينكره اهل مكه و يكرهونه فاحب اهل يثرب ما كرهه اهل مكه والرقابه هي التى نشطتهم على ذلك فاهتموا بالاسلام كما ينبغي له .

وبعد اثنى عشر عاماً من رسالته اخبر قومه بليلة المعراج وانه

صعد الى السماء على « البراق » يقدمه جبريل و نزل فى بيت المقدس كما جاء في القرآن .

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا الى اخر الايات. اما القصة فهى كما ذكرت :

كان محمد عند زوجته عايشه فسمع الباب يطرق فقام الى خارج الدار فراى جبريل ومعه « البراق » وهو حيوان قد وصف بهذه الصفة و ان كان رمزاً اوخيالياً. له وجه كوجه الانسان واذنان كاذنى الفيل وجيد كرقبة البعير وجسم كجسم الفرس وذنب كذنب البغله وحافر كحافر الثور و هوابيض كاللبن يفوق البرق بسرعة جريه .

وفى تلك الحالة نشر له جبريل جناحه السابع وحمله مع البراق على ذلك وادخله المسجد الاقصى وهناك لقى ابراهيم وموسى وعيسى و سلم عليهم وصلى معهم وخاطبهم بالاخاء (اى ان جبريل عمل ذلك كله) ثم خرج ومعه النبى فوجد سلماً من النور اوالبرق فصعدا عليه وقد شد جبريل البراق و ربطه بصخرة حتى يعود فصعد من سماء الى آخر سبع سماوات (كما وصف ذلك « دانتى » فى قصته التى اقتبست ونمقت) . فكان جبريل يقدم الملائكة و يعرفهم فبعضهم كالناس لهم صور كالبشر و بعض كالطيور لهم اجنحه و قدر اى ديكا كبيراً واكبر مما يوصف ابيض ناشراً جناحيه وعنده كثير من الحيوانات يشفع بعضهم لبعض .

ثم صعدا حتى وردا حديقة اومحلا فيه شجرة طوبى وهناك الحديث الجنه ولذتها وما سواها ولتلك الشجرة ثمر كبير كثير يكفى جميع البشر

قوتاً ولذة ثم صعدا حتى وجدا سداً مانعاً يحول بين من يفنى عمن يبقى ابداً حيا سرمداً وهذا السد هوالفاصل بين السماء والعرش اوالكرسي وكان عند شجرة طوبى ملك ينتظر قدومهما وهوالذي عين مكان محمد بين صفوف الملائكه الكرام الذين يسبحون و يهللون و يحمدون الله .

ثم ان محمداً عليه الصلاة تقرب فوصل الى مكان يبعد عن الجلالة بقاب قوسين اوادنى وهناك راى كلمة مكتوبة بالنور وهى :

لا اله الا الله محمد رسول الله

فجعلها شعار دينه و كانت هناك آيات و كلمات اخرى لايذكر منها شيء الا ان الله تعالى امر عباده باقامة الصلاة في يوم خمسين مرة ولكن موسى راى ذلك امراً شاقاً على الناس فاوصى محمداً بان يشفع لامته فيقلل الصلاة الى عشرها فمن اجل ذلك صارت الصلاة خمس مرات وقد قبل الله شفاعة نبيه وقد فرح جبريل بهذه الشفاعه وقبولها ثم عادا الى مكه كما خرجا منها اول مره وفي بيت المقدس استوى على البراق فركبه وعاد الى داره .

اما المفسرون فقد اختلفوا في مدة المعراج فقد قال بعضهم انها اقل من طرفة العين فان النبى لما عزم على الصعود احس بسقوط جرة كانت هناك فحين سقطت مديده عليه الصلاة فرفعها بسرعة بحيث لم ينسكب الماء منها فكانت مدة المعراج على ماذكرنا تفصيلها اقل من سقوط الجره رفعها .

اى انه ذهب وعاد وراى ماراى فى زمان سقطت فيه الجره و قبل ان يمس راس الجرة الارض اويسكب منها الماء عاد الى مكانه فرفعها

و اعاد ها الى موضعها دون ان يراق منها حتى قطرة واحده

فللمعراج اوالسفر الليلى قصص و حكايات كثيرة صاغها الخيال او التصور الدينى ومنحها جلالا وعظمة فى الوان مختلفه وقد اختلف المسلمون فى المعراج هل كان عروجه عليه الصلاة جسمياً اوروحياً او خيالياً و همياً لايتجاوز التصور اوهو رؤيا بسيطة وقد زعم البعض انه ذهب بجسمه الى بيت المقدس وصعد بروحه الى السماء وقال الاخرون بل سما بروحه وجسمه الى العالم الاعلى والاعتقاد الاخير هو الشائع والظاهر ان النبى لم ينكر ذلك اوينهى عنه .

وفى سنة المعراج كما ذكرناه وهى السنه المعروفة بالقبول اوالعام المقبول حج الى مكه اثنا عشر رجلا من اهل يثرب فالتقى بهم الرسول فى (العقبه) وتعاهد وامعه بالايمان على الايمان وقد سمى ذلك الحلف عهد النساء لالان النساء اشتركن فيه او كانت توجد فيه امراة بل لانه كان يشمل امر النساء فان النبى نهى فيه عن الزنا وقتل الاناث و كذا السرقه وكل حرام اعتاد العرب اباحته وقد كان العرب الوثنيون يقتلون بناتهم (**ولا تقتلوا** اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم) (**و اذ الموؤدة سئلت . باى ذنب قتلت**) فقد حرم ذلك على المسلمين وعاهد عليه من حج من اهل يثرب فى العقبه وعلى جميع احكام الاسلام حلالها و حرامها فلابد لمن عاهده من اهل يثرب ان يمتثل امره الذى لايخالف العدل والعقل .

ولما شاع حديث المعراج وبلغ اهل المدينه احب اهلها ان يطلعوا على الخبر تماماً فارسلوا منهم عدة اثنى عشر رجلا كفود يبحث عن الحقيقة ويطلعهم عليها فكان الوفد فى طليعة المسلمين من اهل يثرب علمهم النبى دين الاسلام وفقههم فى الدين وامرهم ونهاهم و بشرهم و انذرهم

فعادو الى مدينتهم وجدوا بنشر الدعوه حتى آمن اكثر اهل البلدة ولما بلغه عليه الصلاة خبر اسلامهم واقبالهم على الدعوة عزم على ان يهاجر من مكه ويقيم بين المسلمين والذى حثه على ذلك رياسة ابى سفيان فى مكه بعد ابى طالب وابوسفيان كان الداعدائه و قداستاجر رجال من قريش جمعاً من الرعاع لقتل محمد فقدازداد قوة وعظم شانه بينهم حتى اخذيزاحمهم فى جميع أحوالهم وقد احس عليه الصلاة بما نصبوا له من اسباب القتل فخرج هووصاحبه ابوبكر ليلا من مكه وقد خلف ابن عمه عليا فى مكانه ملتحفاً بكسائه الاخضر ونائما فى فراشه موهماً انه هو محمد فلما هجم عليه الرعاع علمو ان الذى بات فى مكان محمد هو الشاب على و تلك المروة والفتوة التى بلغت من التضحيه غايتها جلبت له الرحمه فكف عنه القوم اكراماً لتفانيه فلم يمسوه بسوء وقدنجاهو كما نجا ابن عمه.

وقداوى محمدوصاحبه ابوبكر الى غار فى جبل ثور قريب من مكه فاختفى فيه مع رفيقه الذى اعتمد على ابنه و ابنته فى تفحص الاخبار و التجسس لهما وحمل الزاد ومايلزم للحياة وقد مرعليهما ثلاثة ايام و لما احس ابوبكر بالخطر والهلاك قال كيف يمكننا ان ننجو من هذه البلية و التهلكه ونحن اثنان لااكثر فاجابه النبى ان الله ثالثنا وهوالذى يحرسنا ويحفظنا .

اما الرعاع الجناة فقد تبعوا اثرهما حتى وقفو على الغار ولكن راواهناك حمامة تحضن بيضها ونسج عنكبوت لم يتخرق اويتغير على ما قال من يعتقد بالمعجزات وخوارق العادات .

فايقن الرعاع انه لم يدخل الغار احدفذهبوا الى ناحية اخرى يفتشون عنهما وبعد ذلك خرج محمد وصاحبه من الغار واخذا طريقاً غير الطريق

العام فوصلا الی یثرب وتبعهما علی بعد ثلاثة ایام و هذه هی الهجرة الثانیه وقعت فی سنه ٦٢٢ میلادیه فی زمان خسرو پرویز ملك ایران وفی السنه الثالثة عشرة للبعث والرسالة .

وکان عمره الشریف حین هاجر الی یثرب قد بلغ ٥٣ عاماً

وقد احتفی واحتفل به اهل یثرب و تبازوا فی ضیافته و التبرك به فی کل شأن و سموا یثرب « مدینة النبی » ووضعوا زمام امورهم فی یده فکان له الامر فی کل شی وهناك اتخذ جذعاً یرقی علیه کالمنبر فکان یخطب ویدعو للایمان ویلعن الاصنام والازلام ویسفه احلام الوثیین فکان یسمع ذلك منه کل من مر علی یثرب ویتلقی الحجاج والتجار اخباره بالاعجاب فینقلونها الی مکه ویصفون النبی کملك مطاع بین جنده و قومه فهو یفوق الاکاسره والقیاصره عظمة واحتراماً و الناس یدخلون فی دینه افواجاً ویطیعون امره ویعملون باحکامه رغبة لا رهبة وکان الدین الاسلامی فی ذلك الوقت لایتجاوز العلم و الحکمة و الموعظة الحسنه فکان من اللازم ان تبنی قواعده علی اسس العمل وان تطبق احکامه علی اصول العبادة ففرض الصلاة فی اوقاتها و عین اتجاه الناس نحو جهة من السماء ای انه عین و بین القبله وفی هذا الوقت بنی المسجد فی غایة البساطة والسذاجه بلا تکلف او زخرف وکان محمد بنفسه یعمل ویبنی و یساعد العمال و البنائین وکان من اللازم دعوة المؤمنین للصلاة فی اوقاتها وانبائهم بان وقت اداء الفریضه قد حان فقرر الاذان و امر به وهو ان یرقی المؤذن محلا رفیعاً فیعلن بکل قوة وصوت ان وقت الصلاة قد حان فهلموا ایها المسلمون للقیام بما وجب علیکم وقد سمی هذا الاعلان اذاناً وهو هذا :

الله اكبر ، لااله الاالله ، محمدرسول الله ، حي على الفلاح الله اكبر، لااله الاالله.

والكلمات تكرر لتاكيد الاعلان فقامت المنائر بعد ذلك كما قامت المنابر هذه من العيد ان بعد الجذوع و تلك من الحجاره بعد التلول.

وقد صار النبي وهو الآمر الناهي في كل شيء ملكا للدنيا والدين و اميراً للجيوش واماماً للصلاة و قاضيا عادلا للترافع و الاختلاف وفي كل احواله كان يعتمد على الوحي والإلهام فيحكم بما انزل عليه ويطيعه كل من التف حوله وآمن به في غاية التفاني.

وفي الحقيقه ان العظمة قد بلغت فيه الى حد ان كان كل شيء عنده ولديه مقدساً يتبرك فيه كل مسلم فما كان يمس شيئاً او يجلس في مكان الا واحترمه المؤمنون وتبركوا به وقدسوه وعظموه وهو على هذه الحاله كان لايزال يفضل البساطه على كل مظهر من مظاهر العظمه وقد اخبرت عائشه عنه انه يقوم في بيته بكل شؤن الحياة فيوقد النار وينظف الدار و يرقع الازار ويقنع بالخبز والتمر من الطعام واذا اهدى اليه احد لبناً او عسلا لايابى ا كله وكان يعتني بالامور الروحية الاخلاقيه والنظم الاجتماعيه اكثر من الشئون السياسيه الماديه.

كان على تلك الحال حتى اخبر بان اباسفيان قفل من الشام في الف راحلة من الابل يحميها ٥٩٠ حارس من اهل مكه ممن اشتهروا بالنجدة والبسالة وقوة الباس فعزم النبي على ان يجعلها فاتحة فوزله وللمؤمنين فيخرج بعدة لاتزيد على ٣١٣ رجلا و معهم ستون بعيراً و فرسان وقد فاتتهم قافلة التجارة لحذر من يقودها و سهره على حفظها ولكن وقعت الواقعه بين اهل يثرب واهل مكه الذين هاجوا وبادروا الانقاذ متاعهم و

حفظ القافله ممن قصد ها .

ولما صاروا الى محل يدعى بدراً وفيه بئر تستقى منه الماره طلعت عليه مقدمة الجيوش من اهل مكه ولكن اهل المدينه كانوا فى غفلة عن عددهم وعددهم فاحس النبى بانه لايقوى على حربهم الا بالايمان فقام بدعاء ابان فيه الحق. و برهن على ان الوثنيه لابدان تفنى و تزول وقال بحماس دينى شديد وهو رافع يديه الى السماء .

اللهم ان لم تنصر هذا الدين فانك لاتعبد بعد هذا ابداً

اللهم ان كان ماوعدتنا حقاً فانصرنا على الوثنيين .

ثم ان قومه خافو و اضطربوا و حدث بينهم شجار يدل على الرعب وانهم لايقدرون على حرب اهل مكه فصرخ بهم النبى وصاح ان الله معنا وان الملائكة ينصرو ننا وهذا جبريل يصيح ويعلن الظفر فمن قتل منكم يدخل الجنة و قد فتحت ابوابها للشهداء ومن ظفرو انتصر يعيش سعيداً ثم انحنى فاخذ شيئاً من الحصى ورمى به العدو وصاح

« شاهت الوجوه » فحمل اهل المدينه بايمان و حماس فانتصروا على اهل مكه و تم الامر لهم و غنموا الشيء الكثير من المال و السلاح وقد قسم النبى ماغنموه بالسويه والعدل و كانت واقعة بدر اول الفتح الاسلامى فقد عظم امر المسلمين بعده وهابهم اعدائهم وذاع صيتهم فى البلدان . اما ابو سفيان فقد اشتدت عدا وته للاسلام بعد حرب بدر حتى كانت سنه ٦٢٤ ميلاديه فقاد ثلاثة الاف وهجم على المدينه حتى دنا منها بمسافة لاتزيد على فرسخ و نصف فرسخ و كان عدد المؤمنين لايزداد على التسعمائه و الخمسين فى مكان يسمى احداً .

فاحاط جيش قريش بالمسلمين بنصف دائرة تشبه الهلال و كان خالد بن

الوليد وهواشجع فرسان العرب يقودالفرسان فهجمواعلى المسلمين ولكن محمداً اتخذ خطة للدفاع ابان فيها حزمه و احتياطه فانكسر جيش المشركين فى اول الامر و تضعضع القلب و فر الكفار و تبعهم المسلمون يقتلون و ينهبون وقد غلبت عليهم اطماعهم فاهتمـوا بالنهب و السلب و تركوا الحرب فكر خالد مع الفرسان من الجناحين على المسلمين وهم غارون فكسرهم وهجم بعض المشركين على النبى واصابه سهم وتبع السهم حجر اثر فى فمه و كسر اسنانه فصرخ خالد قدقتل محمد . . . . فالقى الرعب فى قلوب المسلمين و فروا دون ان يشعروا بكذب ماقال خالد و خلافه وقد دافع على ابن عم النبى عنه احس دفاع بانت فيه شجاعته و ايمانه وتفانيه دون الرسول ومن اجل تلك الشجاعه زوجه النبى بابنته فاطمه الحسناء و المسلمون يعدون اربعة نساء فى العالم لايباريهن احـد بالتقوى و هن امراة فرعون و مريم العذراء و خديجه الكبرى و فاطمة الزهراء.

وبعد سنة من زواج على بفاطمة فرض الله على الناس صيام شهر رمضان وفى تلك السنه طلبت منه بعض القبايل ان يرسل اليهم من يفقهم فى الدين فارسل اثنين من اصحـابه و لكنهما ماوردا حتى قتلا بصورة منكرة .

وكان اليهود لاينفكون عن العداء والقيام فى وجه النبى فى كل حين وحال ولايزال النبى يداريهم بالحلم والعفووالصبر وفى ذلك الزمان بلغ الايمان من المسلمين ان حرم الله الخمرة ونهى عن شربها وقداطاعه المؤمنون بلا جدال .

فبتلك الطاعه و الايمان بلغ الاسلام اعلى مراتبه مـن الشرف و

الاخلاق والاصلاح حتى ان الاعداء هابوه و احجموا عن الهجوم على من يعتقد به و ان كان المسلمون محصورين بين المشركين من كل مكان .

وقد اضطرت قبايل قريش ومن والاهم الى ان يتحدوا مع اليهود لحرب النبى ولكن الاسلام كان يعلوويزداد علواً بفضل نبى كريم الهمه الله الصبر والايمان والثبات فادام جهاده مستنصراً بالله غير هياب ولا وجل فاعلن هدايته و نشر لواء العدل وحارب الظلم والكفر و الفساد بكل قوة روحيه موهوبة من الله ومشفوعة بالصدق والايمان .

وقداصبح عداء المشركين وسهرهم على حرب النبى لايؤثر على الاسلام ولايعرقل سيره فقد كان النبى يغزوا من حوله من الكفار ويعود بالغنايم مضفراً فمن تلك الغزوات غزوة بنى قريضه وهم من الطوائف اليهوديه المعاديه للاسلام فقد ابادهم الرسول .

وهنا لابدلنا من ان ندفع بعض التهم و نشرح القصة التى سببت الاتهام من اعداء المسلمين كما هواليوم شائع بيننا وهى ان العاده كانت عندالعرب ان يتخذوا لهم امهات او ابناء يشتركون بالارث شرعاً سواءاً فمن قال ان فلانة هى امى تكون له اماً فترثه و يكون لها ماللامهات ومن قال ان فلاناً هو ابنى يرثه ويكون له ماللاولادفلما راى ذلك النبى عمد الى زوجة من كان يدعى ابنا له وهو زيد فتزوج بها لتكون حجة وقدنسخ ماكان قبل الاسلام عملا كما جاء به القرآن .

كان محمد يحب اويحترم الفتاة زينب فزوجها من ربيبه زيدالذى احبه كما احب زوجته ولكن زيدا كان يكره ذلك الزواج وقد سعى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان ينصح لـه بان يمسك زوجه ولكن

زيداً ابى فطلق زينب وقد بكت وشكت اليه سوء حظها وانكسارها بين النساء فاراد ان يجبر ذلك بما يقوى عليه فتزوج بها و اكرمها بزواجه فافتخرت بذلك وهدأت وعدته خيراً من الزواج الاول وهو فى الحقيقه خير من كل شىء

اما النبى فكان يصعب عليه ان يقنع العرب بذلك لان العادات و الرسوم كانت لاتزال مسيطرة على النفوس غالبة على العرب ولكنه راى من الواجب ان يعلن ذلك و ينقض تلك العادات و يعمل به لئلا يتجنبه العرب فيكرهونه و تكون العادة الجاهليه هى الغالبه على النفوس .

وفى احدى الغزوات التى انتصر بها النبى كانت عايشه زوجته معه فتاخرت لقضاء بعض حاجاتها فاتهمت بانها كانت تتصل باحد الشبان ولكن جمال عائشه ودمعها وفصاحتها وفوق هذا كله الصدق قدبرأها و نزهها و جاء الكتاب بذلك منزهاً و مؤيداً فحد النبى من اتهمها بثمانين ضربة بالسوط .

استنصر اليهود الذين كانو يعيشون حول المدينه باعداء الاسلام فى مكه من قريش فخفت اليهم القبايل وقصد المدينه ولكن النبى اعتبر بحرب احد وفرار المسلمين فاخذ يفكر ويدبر فاستشار اصحابه فاشار عليه رجل فارسى يدعى سلمان وقال كنا اذا احاطت بنا الخيل ولا نطيق الدفاع عن بلد نقيم فيه حفرنا حوله خندقاً و الكلمه معربة من لفظ « كندة » الفارسيه .

هجمت جيوش العرب على المدينه فاقام الها جمون مدت فسدت فيها حالهم وشاع بينهم الخلاف فعادوا كماجاؤ ايائسين من الفتح و كانت تلك الواقعه فى سنه ٢٦ ـ ٦٢٥ ميلاديه سميت بيوم الخندق .

وقد تبدلت الحال فآل الامر من الدفاع الى الهجوم فقام محمد عليه الصلاة بعدة غزوات فاز بها جميعاً وانتصر، واباد اليهود وفتح قلاعهم ومنها قلعة خيبر و لما دخلها حدثت له حادثة تدل على شدة انتقام اليهود ولا بدلنا من ذكرها وهى على ماقيل :

كانت فتاة يهوديه هيأت جدياً سميناً طبخته وقدمته الى النبى عند العشاء فلما تناول منه اول لقمة احس بالشر فصاح ان الطعام مسموم لا ياكل منه احد ولكن احد المسلمين كان قد تناول منه مايكفى لتاثير السم فاضطرب ومات من وقته فاحضر النبى حجاما وامره بحجامة كل من اكل من ذلك الطعام فخف اثر السم و نجاهو ومن اكل معه ثـم انه دعا الفتاة فاقرت بجرمها وقالت انك قتلت ابى واخى وزوجى فاردت ان انتقم منك .

ثم انى فكرت بهذا انك ان كنت نبياً تدرك ان السم قـد دس فى الجدى وان لم تكن تاكله فتموت ونستريح منك ويسعد اليهود بموتك فامر النبى بقتل الفتاة اليهوديه فقتلت ولكن السم اثر فى جسم الرسول الاكرم فكان اثره يعود عليه من وقت الى آخر.

اما حربه وهجومه على اليهود فقد اضطرهم ان يستسلموا ويطيعو بلاشرط اوعهد وهذا مازاده قدرة وسيطرة وانتصاراً

وقد آمنت به قبائل العرب و كثير من احزابهم وكـان الايمان منبعثاً من تلاوة القرآن وحفظ آياته وتاثير بلاغته فى النفوس وتعاليمها فى النظم الاجتماعيه وسبل المعيشة والحياة

اما الكعبه وقد كانت قبلة كل مسلم والحج اليها غاية امنية المؤمنين فقد صارت مطمح النظر وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يؤيد تلك الامنيه ويعد المومنين ويمنيهم فكان فتح مكه التى عاش فيها النبى ولقى

مالقى فيها هو الامنية الكبرى فقصدها زائراً ومعتمراً بلاحرب ولكنه وجد العراقيل في الطريق فتغلب عليها و افلت الكثير ممن تبعه و صبر معه الف رجل.

وقبل ذلك صار له فى مكه من يلم بالاسلام ويعتقد به ويميل اليه وقد اتفق ذلك الميل مع الرعب و الهول الذى غلب على اهل مكه فلم يجدو بدا من ان يسمحو ا للمسلمين بالحج فيدخلون البيت احراراً زائرين معتمرين وتعاهدوا على ذلك بصورة متفق عليهاو هذه شروطها او بعضها .

١- تعقد الهدنه بين المسلمين واهل مكه لمدة ثلاثة اعوام

٢- للعرب الحريه التامه فى التحاقهم بمحمد اوالمكيين.

٣- لابد لمحمد ومن تبعه من المسلمين ان يغادر و امكه بعداداء الحج اوالعمرة

٤- يجوز للمسلمين ان يزوروا الاماكن المقدسه

٥- لايجوز للمسلمين ماداموداخل مكه ان يحملوا السلاح ولتكن سيوفهم اذا اضطروالحملها مغمدة.

٦- يقيم المسلمون فى مكه ثلاثةايام وبعدها يضطرون للرحيل ولا يحق لهم ان يكرهوا احداً على الاسلام اواتباعهم .

و كانت تعد هذه المعاهده اكبر اسباب النجاح لمحمد و على انه لم يقم فى البيت اكثر مما قررته المعاهده بانه لمااستلم الحجر الاسود ولبى ربه بصوت عال مفعم بالرهبه والايمان اوقع الزلزال فى الاصنام التى بلغ عددها ثلاثمائه وستين صنماً فكانه هدمها وحطمها منذ صاح بها عند البيت الحرام .

الفصل الثالث

في السنة التاسعه للهجرة النبويه قدمت عليه الوفود من كل مكان ودخل الناس في دين الله افواجاً وقد رد على كتابه النجاشي ملك الحبشه مجيباً ومعترفاً برسالته و متحببا اليه :

« انا اقر بوحدانية الله و اشهدان محمداً رسوله . كتب الى رسول الله خاطباً بنتي « ام حبيبة » فلي الفخر ان ازوجها به وان اعطيها اربعة الاف من النقود الذهبيه»

وفي تلك الايام اتخذ محمد لنفسه خاتما نقش عليه «محمد رسول الله» وهذا الشقل اوالختم كان يختم بـه مايكتب للملوك و الامراء يدعوهم الى الاسلام فاول كتاب كتب لاول امير هو كتابه الى امير اليمن وقد صحبه بكتاب الى ملك ملوك العجم خسرو پرويز ولكن خسرو بقر الكتاب وشقه والقاه وامر اميره في اليمن ان يصده عن الدعوه اويقطع رأسه و يرسله اليه و لما اخبر النبى بما فعل خسرو دعا عليه فقال « بقر الله بطنه ومزق ملكه »

وما مضت مدة حتى بقر الله بطن خسرو بيد ابنه وعلى اثر استجابة الدعاء اسلم امير اليمن ومن تبعه فابقاه رسول الله على امارته وحاله في اليمن و قد ذكر مؤرخو العرب انه عليه الصلاة كتب الى ملك الروم « هروديوس » ودعاه الى الاسلام فاحترم كتابه و وضعه تحت و سادته و ارسل سفيراً مع هدايا ثمينه الي النبي وقد اقبل الامراء من كل جانب على الاسلام .

اما الذى سبب النجاح فهو كرم الاخلاق وان اقترن بالسيف والقوه فقد كان بليغاً فصيحاً قوى الحجة متواضعاً ذاهيبة و وقار وتأثير روحي تنقل اخباره واحاديثه من فم الى اذن من كل مكان وزمان و تسير اخباره بسرعه وتنتشر دعوته و كانت كتبه كلها وعد ووعيد .

وكان يجزى على اقل عمل با كثر مايقدر عليه ويعظم الأجر لمن يقوم بامره وبما ان اوامره كانت تصدر عن مبدأ عظيم ثابت مؤثر مقتدر كان الناس يقبلون عليه ويثقون بمواعيده ويصدقون اقواله .

ولما استولى على مكة واتسع ملكه و شاع سلطانه ارسل رسولا الى سوريه فالقى القبض عليه بامر من شرحبيل الملك العربى النصرانى التابع «لهرقليوس» وقتل الرسول صبراً

ولم يكن قتل الرسول امراً عظيماً الا انه عداهانة و ذنباً لا يغفر يجب القصاص عليه والانتقام ممن تجرأ عليه

فارسل النبى جيشاً بلغ عدده ثلاثة الاف ممن عرف بالنجده و البساله وقد شجعهم ووعدهم بالجنه انهم رزقو الشهاده ثم اوصاهم بالتقى وان يكفوا عن الظلم ان هم غلبو ولا يسلبو الا ماحق لهم و ان يحذرو دمع البرىء ودم المظلوم ثم قال :

. اياكم ان تنقمو من اناس عبد والله و اعتزلوا فى الصوامع و تركوا الدنيا على القفا فهم الرهبان حقا واياكم ان تؤذ و النساء و ترعبوا الاطفال وترهبوهم ثم عليكم بالكف عن الشيوخ والضعفاء فهم على وشك السير الى الاخرة وترك العالم وزخرفه ولاتهد موابيتا ولا تفسدو اطعاماً ولا تقلعوا شجرة يستظل بها الناس في الشام ولا تخربوا مظاهر الحياة بما فيها من جمال اوقوة اوفائدة .

وكان عدد الاعداء يبلغ المائة الف و لهم بأس شديد و سلاح وتجربه فلما وقعت الحرب بينهم قتل الامراء من المسلمين واحداً بعد آخروهم على مارتبهم وامرهم رسول الله زياد وجعفروعبدالله يقوم الواحد منهم بعد الاخر .

فكان زياد اول قتيل يقدمهم ثم اخذالراية بعده جعفربن ابي طالب وكان شجاعاً فقتل بحال لاينسى فقد قطعت يمينه فاخذ الراية بشماله و قطعت شماله فاخذ الراية بزنديه والدم يسيل من يديه المقطوعتين وقد جرح خمسين جرحاً كل واحد يكفي لقتاله فقطع اربااربا فكان الفخر كله له .

واما عبدالله فقداخذ الراية بعد جعفر وصاح باعلى صوته الى الامام

اما الفتح والشرف واما لشهادة والجنة . !

فرماه احدالاعداء بسهم قضى عليه فاخذ الراية خالد وهو حديث الاسلام فكسرت في يده تسعة سيوف كان يدافع بها عن الرايه واحداً بعد آخرفكان ثباته قدحير العدو بل قهقر هم فمن اجل هذا لقبه الرسول «بسيف الله» واغتنم خالدانـدحار العدو فكف وعاد مغتنماً العودة والسلامه وقد نقض قريش العهد فقد ساعدوا اعداء النبي عليه فاوجب ذلك الغاء المعاهده بينه وبينهم .

وقد جهز النبي جيشالايقل عدده عن عشرة الاف وقصد مكه ولكن احدالمنافقين ارسل جارية له الى قريش لتخبرهم بما عزم عليه الرسول الاكرم فاحس علي بذلك فركب فرسه وتبع الجاريه حتى اخذ ها ولكنه لم يجد معها كتاباً على انه علم به وايقن وقد انكرت هي ذلك واصرت على انكار ها فحارفي امرها فشهر سيفه على رأسها و هددها بالقتل

فخافت واقرت واخرجت الكتاب من ثوبها الطويل وكان ملفوفاً بذيله فكان ما كتب كذا .

من هالب بن باطن الى اهل مكه . سلام عليكم ان رسول الله قصد كم بجيشه فتاهبوا وخذوا حذركم وسلاحكم »

وقد ساق محمد جيشه بغاية السرعه حتى انه لما دنا من ابواب مكه ما كان احد من المشركين يفكر بهجومه او وصوله . فحصر مكه من كل جانب و كان راكبا بعيره الذى احبه او ناقته التى عرفت باسم القصوى فدخل مكه غالباً و فاتحاً فجى اليه بابى سفيان و عرض عليه الاسلام فقبله وصان به نفسه .

ثم ان محمداً دخل الكعبه وطاف بها سبعاً واعلن شعاره :

لا اله الا الله

محمد رسول الله

ثم انه عطش فاقترب من بئر زمزم واستقى منها و تذكر عليها ما سلف من البلاء فى سبيل دعوته .

ثم انه حطم الاصنام والقاها وامر باخراج ما تحطم منها و تطهير الحرم وقرأ سورة الفتح على من حضر هناك ثم سمع المؤذن يؤذن فدعا الناس للصلاة ثم احاط به الناس من كل صوب و مكان فصاح بهم ما تريدون منى فاجابوه بغاية العجز و التضرع « نريد ان تكون لنا ابا باراً »

فاجابهم :

اذهبوا برحمة من الله و احسانه .

وفي ذلك الوقت غارت قبايل هوازن و قريش لاصنامها المحطمه فثارت يقودها ابالق فى شعب حنين الذى يبعد عن مكه بميلين و اعتدوا للحرب فاتحد المسلمون كلهم وكانو اثنى عشر الفا عشرة الاف جاؤا مع النبى والفان ممن اسلم فى مكه واعتقد الكل انهم سيبيدون المشركين الثائرين انتقاماً للاصنام وهم اقل منهم عدداً ولما اقترب الجمعان هجم المشركون بحماس شديد و رشقوهم بالنبال فتقهقر المسلمون و فروا ثم ثبتوا وانتصروا وهذا ماسبب اهتمام النبى بايجاد جيش معد للحرب يقوده امراء اقوياء عارفون بالحرب و احوالها فقام هو بنفسه بذلك الامر وقاد الجيوش و هجم على الثائرين حتى ابادهم .

ثم ان هوازن بعدما غلبت جنحت للسلم وقبلت الاسلام و قد اسر منهم ستة الاف اسيرو اغتنم منهم ٢٤ الف فرس و اربعة الاف بعير تصلح للركوب و كثيراً من الفضه ولما حان وقت تقسيم الغنائم جاءت وفود القبائل ورسلهم واستجارو بالنبى وتضرعو وبكواواخبروه بذلهم وفقرهم بل بهلاكهم ان لم يرد عليهم ما اخذ منهم فجمع النبى المسلمين و خاطبهم بمثل هذا القول «ايها المسلمون .

ان اخوانكم ندمواعلى عملهم واستجارو ولاذوبى لاطلق اباءهم و امهاتهم وابنائهم وارد عليهم اموالهم ولم يسعنى ردهم فان رضيتم بذلك فانى راض به وربما كان بينكم من يابى ذلك فليقل كلمته ولكن اعدكم جميعاً فى المستقبل القريب ان تغنمو اكثر واثمن من هذا كله .

فلما اتم خطبته غلب الصمت على المسلمين فلم يعارضه احد ولم يعترض عليه على انه جعل لهم الحرية فى القول والعمل .

فرد جميع ماغنم واطلق كل من اسروتم الامر كما اراد هو عليه الصلاة والسلام .

فغلب العدل على الظلم وعم السلام وانتشر الاسلام كما يرام و كان بين امراء العرب الذين و فدو اعلى النبي رجل من اهل اليمن يدعى مسيلمه فاسلم وكان منافقا فادعى النبوة في بلاده و كتب الى محمد عليه الصلاة ماهذا مفهومه :

« من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض بيننا نصفان نصف لى ونصف لك » .

فاجابه محمد صلى الله عليه و آله وسلم

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يرثها من عباده من يشاء .

وفى السنة العاشره للهجرة بعث علياً الى اليمن داعياً للاسلام و مبشراً فبلغ حيث شاء و اسلمت قبيلة حمدان فى يوم واحد فاقبل اهل اليمن على الاسلام الابعض القبائل فقد ابقت على دينها و اعطت الجزية فانتشر الاسلام وعظم امره وعلا شانه واستقرت احكامه فى حياة محمد عليه الصلاة حتى توفى بعد ذلك و على ماذكرنا يممكننا ان نقول :

هذا النجاح كله يرجع الى عظمة محمد و علو شانه و نبوغه الحربى فقد جمع بين الفتح و الا صلاح وقد كان فى ادارة الشئون يمثل شيوخ القبائل ذوى العقل والرأى والتجربه ومع هذا كله فقد كانت صفاته الكريمه واخلاقه الساميه هى التى قادت الناس الى طريق الهدى و الايمان واذاقسنا ماكان عليه العرب بتلك الفضائل التى اتصف بها النبى علمنا ان العفة والطهاره والتقوى والعدل والمروة قد امتازت فيه عن افعال

قومه و ليس الامر كما يزعم المسيحيون اليوم انـه انحصر بالتقوى بل كانت امور اعظم ودواع اكبر و اسمى فهى النظم الاجتماعيه والشرايع والقوانين الصالحه للحياة والتى تكفل السعاده للناس فقد جاء بوجوب القصاص الاانه يجب ان يكون قدثبت فى المحاكم و صدرعن حكم قطعى نهائى لامردله وقدنهى عن القصاص بلاحكم فهواشبه بالانتقام منه بالعدل والقصاص بهـذه الصفه أى بحكم الشريعـه فى محكمـة صالحه مختصه قداقام العرب واقعدم فهم كانوا يقولون بالثار ويقومون بالانتقام لابالعدل و قدازال تلك العادة الجاهليه بحكمته و عدله بناء على هذا نقول ان ـ الاسلام هوفوق هذا كله جذب قلوب العـرب وعلمهم الحب والحنان و عرفهم بمصلحة المعيشه والنظام الاجتماعى اكثر مما اثر فيهم روحياً فعلموا انه الدين الوحيد الذى يضمن السعاده و ينظم الحياة فانتفعوا به وقرنو الفائدة العائدة من قوانينه الى الغنائم التى حصلت بفضله فهودين السعادة مادياً و واديبا .

فكان شعار المسلمين هذا الذى جبلو عليه وهو : اماالغلبه والفتح والنصرة لدين الله وفى سبيله واماالموت لتوحيده وتكبيره وهذه امنية كل مسلم ومسلمه فعمدوا الى التضحيه والتفانى فى سبيل الحق و فازوا .

اما القوة والغلبه والعز المقرون بالثروة والغنيمة التى تحصل من الجهاد واما الجنه التى تتبع الشهاده والجمع بين خير الدنيـا والاخره هواحسن وا كرم واقرب للسعادة فكانت هذه الفكرة المنبعثه من الايمان هى التى جعلت المسلمين كالموج المتلاطم ها ئجا ومائجاً بالتفانى والاقدام على الموت اوالحياة الابدية فى الـدارين ولما طهر الاسلام البلاد العربيه من الو ثنية وعبادة الاصنام قام مكانها الدين الحنيف فعم وعظم و ثبت فقبل العرب

ومن تبعهم هذا الشعار وهو :

لا اله الا الله محمد رسول الله

وكان ذلك الفاتح الظافر العظيم وهو النبى الكريم كانه قد فرغ من جزيرة العرب او احتقر شؤنها فاهتم بفتح سوريه ليحررها من بقية الحكم اليونانى او الرومى ففى سنه ٦٣٩ ميلاديه اعلن الحرب وتابع الجهاد وحرض المسلمين على الفتح و ذلك فى زمان تنضج فيه الاثمار وتحصد الحبوب و هو الفصل الذى يشتد فيه الحر فى بلاد العرب الى حد يذوب فيه الحصى فلا بد من ان يتخذ للحرب عدة تكفى مدة طويله وفى ذلك الوقت زاد المسلمون طاعة وايماناً واتكالا على الله الذى كانوا يعتقدون ان كل ما يامـرون به هو منزل من الله يوحى به الى عبده و رسوله فيامرهم بذلـك ولابد لهم من اطاعة امره وقد ذاقوا حلاوه الطاعه وغنموا من اعدائهم ما رفه حالهم واحسن معيشتهم فاخذ وا يزدادون طلبا للنعمه كلما ازدادوا ايماناً وتسليماً فالامر لله ومن الله وهو القوى العزيز .

وقد كمل الجيش الاسلامى فصار الجند الذين تحت امره عشرين الف راجل وعشرة الاف فارس بالسلاح التام والعدة والطعام . وقدمر هذا الجيش العظيم الذى بلغ عدده ثلاثين الفا على جدران المدينه ساكتا صامتا متاهباً ولكن السير كان صعبا والحر شديداً والطريق بعيدا لا يفكر فيه احد الا و تشائم من عاقبته ولكن الله الذى نصر دين محمد قد شاء ان ينصره فـى جميع ـ الاحوال فكان الفتح نصيب ذلك الجيش بلا حرب تذكـر اوشقاء ينكر فاسلم كثير من العرب المقيمين فى سوريه وتبعهم اخرون ابقوا على دينهم و اعطوا الجزية وكان العدل شعار ذلك الجيش فاقبل عليه من ظلم والذى ايد الاسلام و نصره و بث الدعوه فى كل مكان بلا صعوبة و شقاء هو ما جاء

به الاسلام من حرية الاديان والرافة بمن خالف الدين واتخاذ العدل را ئداً و قائداً فاثر ذلك بمن كان خائفاً فاسلم او اعطى الجزيه و حافظ على دينه و ماجاء به الاسلام هذا ماورد في القران من الايات البينات :

«فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله انا ومن اتبعني وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أ اسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد .

نجاح محمد في امره كان مشفوعاً بالرحم والرافة والمروة والانصاف فقد ابقى النصارى على دينهم واخذ منهم الجزيه و هي شيء قليل وقد رجع الى المدينه يتبعه الظفر وتؤارزه الرحمه وقد ملأ قلوب الناس حباً واستمال اعدائه فمالوا اليه وعرفوا دينه فقبلوه برغبة .

وقد حدثت له حادثة في ذلك الزمان اثرت في النفوس اشد تاثير و بدلت الاحوال في نظر من تبعه حتى ان المسلمين غالوا به وجعلوه فوق كل احد و عدوا تلك الحادثه اثراً سماوياً عظيما اختص به النبي الذي اثر في السماء والارض وتصرف بالعالم العلوي كيف شاء وهي وفات ابنه ابراهيم البالغ من العمر سبعة عشر عاماً وهو ابن ماريه القبطيه التي بلغ عمرها ٦١ سنه (لم يتجاوز عمر ابراهيم ثلاثة على ماذكره المؤرخون) وعلى اثر موته حدث كسوف الشمس فاعتقد الناس ان الحزن عم السماء والارض وان الرسول الاعظم هو المسيطر على السماوات والشمس والقمر والنجوم ولكن النبي كان اكرم من تلك العقائد الخرافيه والاوهام المضلة فقدد عاقومه عامة وقال لهم :

ايها الناس . الشمس والقمر والنجوم هي مخلوقة مثلكم تعبد الله و ما كسوف الشمس اوخسوف القمر لامر يتعلق بحياة احد اوموته فدعوا

الاباطيل واعبدوالله وحده .

وهذا مايدل على نبوته الصادقه و عظمته الحقيقيه و استغنائه عن خرافات القوم وهذاهوالحق والصدق فى كل احواله .

ومن ذلك الوقت اشتغل الرسول الاعظم بضيافة من يردويفدوهداية من اراد ان يتفقه بالدين ويتعلم القران ويقر بالاسلام وفيه نظم الحكم الدينى الذى لابدله من ان يعم العالم فيجب ان تتخدله اسباب تلائمه وان يعتمد على قواعد سياسية واصول للحكم العالمى وادارة شؤنه .

والذى يجب ان نلفت النظر اليه هو ما عمله النبى عليه الصلاة للدين الاسلامى من احترام قواعده ومبانيه فكانه قد احس ان عمره الشريف اخذ يتم وقد دنت وفاته والقوم حديثوا العهد بالاسلام ولايكفيهم ما فرض عليهم من الاحكام الدينيه الاان يؤيدها بالعمل وان يكون هو بنفسه قدمثلها و احكمها واقامها فاخذ يعلم المسلمين كيف يجب ان يحترموا المسجد وان يقيموا العبادة ويطهروا انفسهم ظاهراً وباطنا ويعظموا شعائر الله كماينبغى ويؤدوفريضة الحج فى مكه باحسن وجه يرام من تعظيم شعائر الاسلام فاخذ عليه السلام بطرف من ذلك واغتسل وطهر ثيابه وحلق راسه ودخل المسجد وطاف به سبعاً واستلم الحجر الاسود وقبله ثم خرج بهدو وطمانينه واقدام ثابتة ومشية هادئة وقصد الصفا ومن هناك وجه وجهه الكريم نحو الكعبه وصاح باعلى صوته :

الله اكبر ـ لااله الاالله ـ لاشريك له ـ العزة والملك له ـ الحمدلله ـ لااله الاالله

ثم ذهب من الصفا الى المروه وعمل بها ماعمل قبل فى الصفا وفى جميع المناسك ثم نحر وحرر واطلق ٦٣ عبداً فى سبيل الله و علم المسلمين

كيف يجب ان يعبد الله وان يقام للرأفة والرحمة ماينفع الناس ويعزز الانسانيه ويخلصها من الشقاء

ثم انه رجع الى المدينه وعزم على ان يكمل الدين بمايلزم من قواعد واحكام ويتم شؤنه وهو ذو فكرة ومرة يتبعه الاصلاح ويحف بـه العدل و الانصاف اين ما ذهب وكيف مافعل وعلى كل حال فانه فكر فى جميع الاحوال وجعل لها شرائع وقوانين واحكاماً لايضل بعده من عمل بها واتبعها ثم انه مرض وحم وكانت الحمى شديدة ولكنها لم تصرفه عن عمله فكان يدعو من احب ويامر وينهى وقد بلغ من قوة الفكر والعمل انه جهز جيشا عظيما ليغزو سوريه امر عليه عمر (الصحيح اسامه ـ المترجم) واخذ اللواء بيده فعقده وبركه ودعا له بالنصر والظفر وهو فى كل هذه الاحوال كان يقاسى اشد الالام وقد صرخ يوما من شدة الوجع فقال : ان السم الذى سمتنى به اليهوديه قد اثر فى قلبى اسوأ اثر فانى احس بان عروقى اضطربت وتقطعت وان قلبى زال من مكانه

وكان قبل وفاته حتى فى اقصر مدة لاتتجاوز ثلاثة ايام يقيم الصلاة فى المسجد ويؤدى الفرائض فى العبادة وكان لشدة مرضه والمه يتوكأ على متن خادمه ويسحب رجليه من الضعف وفى اخر امره كان لايقوى على الذهاب الى المسجد فاصر صاحبه الاول وهو ابو بكر ان يقيم الصلاة بدلا عنه فاقامها ثم انه حضر المسجد وهو فى حالة تشغله عن كل شيء وتشغل السلمين به توجعاً له واسفاً عليه وبعد ان صلى جلس وخطب وقال :

ايها الناس ، ان كنت ضربت احدكم فليقتص منى و هذا متنى و ظهرى بين يديه او كنت شتمت احداً فليرد على ولينطق فى هذا المجتمع او كنت اخذت مال احد منكم فلياخذه من قليل ماعندى وليضا عف حقه

وانی مستعدلان اؤدی ماعلی من کل شی فقام الیه رجل وقال لی علیك ثلاثة دراهم فادها فامر النبی باداءها وقضی دینه .

ثم قال : «انی اری الحیاء فی هذه الدنیا اکرم من ان استحی عندالله فی الاخره .

وکانت فاطمه ابنته تاتیه وتجلس عندفراشه فی المرض الذی توفی فیه فتبکی وتنتحب فیقول لهاعلام تبکین یافاطمه : الاترضین ان تکونی سیدة نساء العالمین ؟

ثم انه اطلق واعتق کل غلمانه وقرب اقربائه وهم یبکون فقال لهم انی اوصیکم بعدموتی بالذی یجب ان تعملوه فاذامت فغسلونی و کفنونی وضعونی فی قبری ولیکن قبری فی محلی هذا الذی انافیه فاذافعلتم ذلك وانتهی کل شئ فاذهبوا حیث شئتم و شاءالله .

ثم سکت برهه وقال بعدها :

اعلموا ان اخی جبریل هواول من یصلی علی ثم یتبعه اسرافیل و میکائیل والملائکه یصلون علی جمیعاً فاذاتم ذلك و انصرفوا فادخلوا انتم وصلوعلی واطلبوالی رحمة الله التی وسعت کل شیء فاذاحزنتم علی فلا تجزعوا ولا تصرخوا وتضجوا وتکثروا العویل والویل فانکم بذلك تقلقونی وتحزنونی بعدموتی .

ثم اغمی علیه وبعد برهة افاق فقال : «علی بقلم وقرطاس لاکتب لکم کتاباً لن تضلوا بعدی»

فقال عمر وهوقابض علی القران هذا هوالکتاب الذی لانضل بعده

ثم انه قال . یارب اعنی علی الضنی ثم اغمی علیه . قالت عایشه کنت عند النبی فی ساعة قضی فیها نحبه و هوواضع راسه فی حجری ففتح عینیه و اثبت نظره فی سقف البیت و بصوت مضطرب ولکنه مفهوم و مسموع قال : رب

اغفرلی ذنبی .

یااخی وصاحبی جبریل‌انی انتظرك فی‌العالم الاعلی» ثم انه لفظ روحه وودع نفسه مطمئناً .

توفی‌محمد (ص) فی‌الیوم الثالث عشرمن‌شهر ربیع‌الاول ای‌اول‌یوم من‌السنه الحادیة عشرة للهجرة فی‌سنه ٦٣٢ میلادیه وکان‌عمره‌الشریف یومئذقدبلغ الثالثه والستین وفی‌مدة ٢٧ عاماً من‌اخرعمره‌کان نبیا وله فوق ماللانبیاء من‌صفات وملکات وهوذو ایمان حقیقی لامراء فیه . و اننا لنسخر من‌القول بان‌نعشه الشریف بعدموته علق‌بین صخرتین‌کبیرتین بل قددفن فی‌التراب ودفن بعده‌ابوبکروعمر عن‌جهة الیمین‌عند قبره .

اماوفاته فقداحدثت حیرة واضطراباً وشکاً فکان‌هذاالسؤال لایزال یختلف بین الاقوال هـل یموت بموته دینه الحی وذلك الکلام المعجز البلیغ ؟

فقال عمراو اجاب علی‌ذلك‌السئوال : ان‌محمداً لم‌یمت وانما صعد روحه الی السماء مع موسی و عیسی وسیعودالینا و یعیش بین‌المؤمنین .

فقال‌ابوبکرلعمر :

هل‌هذا القول‌لمحمدام لله‌تعالی ؟ ما کان محمـد الابشراً مثلنا و قدمات‌کما نموت کلنا ولکن‌الله هوالحی السرمدی .

وکانت امام ابی‌بکر هناك معضلات جمله فقرأ علی‌المسلمین بعض آیات‌القرآن‌کهذه‌الایه(ومامحمدالارسول قدخلت‌من‌قبله‌الرسل‌أفان‌مات اوقتل انقلبتم علی‌اعقابکم‌ومن‌ینقلب‌علی‌عقبیه فلن‌یضرالله شیئاً) فاقنع کل من‌اجتمع‌حوله .

وخلفه بعده‌اربعة علی‌هذا الترتیب :

ابوبکر وعمروعثمان وعلي

ولابدلنا من ذكر هذه الكلمه بان السيف الذى شهره محمد على الكفار و نصر به الاسلام كان لايزال مجرداً او باتراً بيدخلفائه حتى ملكوا بهقسماً من اسيا واروپا وافريقا واسقطو امپراطورية عظيمة بسقوط ملوك فارس والروم .

وكان اللواء بيد عمروخالد وكثير من الامراء الذين اشتهروا بالفتح والجهاد حتى ملكوا ايران وسوريه وفلسطين و مصر و سخروها سريعاً فى مدة اثنى عشر سنه فبلغ عدد البلدان المفتوحه ستة الاف مدينه و قريه واربعة الاف معبد و كنيسة وجعلوها مساجد يعبدالله فيها واضا فوا اليها الفا واربعة مساجد بنيت جديداً للمسلمين و باسم الاسلام حتى وصلوا الى افريقيه وملكوا مراكشى ومصر والاسكندريه و بلغوا اروپا و تمكنو مـن فتح اسپانيا (الاندلس) فما كانو ينفكون عن الجهاد وتسخير البلاد وماقعدهم عن الفتح شئى .

وقد تلقى الكتاب والمؤرخون مواهبهم ومكارمهم الفكريه كلها من البحث والتنقيب عن حياة ابن عبدالله (ص) الذى جاء الى هذا العالم بنور الايمان واليقظة الفكريه والبركة العلميه العمليه الاسلاميه فقد اتحف المسلمين بكرم الاخلاق الساميه وعلمهم الادب والتواضع والحلم فقد كان يتواضع للصغير والكبير ويعرض عن اللغو ويغضى ويحلم ويصبر على مر القول و فحشه من كل احد حتى جذب قلوب الناس بتلك الاخلاق الموهوبة من الخلاق واحبه من عرفه حباً كثيراً واخلص له وآمن به وبما جاء من الله ثم انه كان اميراً وقائداً قادراً مدربا عارفاً ومجربا شجاعاً على ما كان فيه من كرم النبوه وشرف الرساله وهو وان كان امياً لايكتب ولايقرأ فقد كان له من الذكاء مايعجز خصومه ومحاوريه بكل شيء ويغلب عليهم اكثر من

كل عالم وكان يملك بذكائه النافذ وفكره الصائب قلوب اصحابه ويتصرف بها كيف شاء

وقد كان على قوة بلاغته وفصاحته وحجته يفهم قومه بغاية البساطه ماأراد ان يلقيه عليهم ويؤيد ذلك وقاره ووجهه المحبوب البشاش ذوالهيبة والسكينة والجمال فكان الكل يحبونه باحترام ويحترمونه بحب يتفق مع بلاغته وهيبته وعلى قدر ماء جاء به من الحب و الحنان .

فكان العالم والجاهل و الصديق والعدو عند صحبته وتأثير كلمته شرعاً سواءاً منجذبين اليه ومصدقين .

وهو وان كان على ماكان من الرقه و العاطفه الكريمه والمروة و الرافة والتواضع فقد كان يحتفظ بكل شئون رسالته ولايرضى باحتقارها اوابتذالها فقد كان عظيماً بنبوته كما كان متواضعاً بخلقه وصابراً على الشدة كما كان محافظاً على سكينة الانبياء ووقار المسلمين وقوة المبلغين الصادقين وعلى ماكان عليه من حلم وهيبة و وقار وجد ورزانة فقد كان يعمل مالا يقدر القلم على وصفه من الاعمال المنزليه وغيرها كاعمال الفلاحين ولا يكتمها عن اصحابه واقربائه بل يظهرها ويحث على العمل بامثالها ويعدها ضرورية للحياة مازالت تلك الاعمال والاشغال ملازمة له حتى بعد ان ملك جزيرة العرب وسخر البلاد .

وقد كان يخصف نعله بيده ويرقع ثوبه الخشن الصوفي ويحلب العنزة ويوقد النار وينظف البيت بالمكنسه وغيرها وبالجمله كان يعمل ويزرع و يحلب ويجلب و يطبخ ويوقد ويفرش وطعامه بسيط للغايه يكاد ينحصر بالتمر ولكنه ربما جاء باللبن والعسل لضيوفه وشرفهم بعنايته و كرمه. و كان اذا سافر اوغزا يحمل قطع الخبز اليابس ويقسمها بالسويه فلايجعل

لنفسه اكثر مالخادمه .

واكبر دليل على كرم اخلاقه ورافته وعلو همته وصدق عزيمته و حبه للانسانية ونظره للاصلاح العالمي و فضله على البشر كلهم و قوة ايمانه هوانه لما مات لم يكن عنده اقل مال وايسر ذخيرة و كانت صناديقه كلها فارغه (ماعرف له حتى صندوق واحد . المترجم)

وقد نظر العلامة الكبير توماس كار ليل الى هذا النبي بعين العدل والانصاف واثنى عليه بمالا نقدر على تركه فلا بد لنا من نقل قول الاستاذ كار ليل الذى حسب النبي سيد الابطال من الانبياء وجعله مثالا لبطولة المرسلين الصادقين من اولى العزم و غيرهم واليك بعض ما قال على سبيل المثال :

قال كار ليل (فى كتابه الابطال ـ المترجم)

« كان ابن الصحراء (اى النبي) ذا قلب واسع ونظر لامع نافذ و روح اجتماعى عظيم ، له افكار كثيرة غير فكرة واحده وهى حب العظمه والانانيه .

يالله اى روح كان له عظيم فى كل احواله ومطمئن بالايمان ! كان شديد الايمان قوى الاراده صادق القول فكان الطبيعه (الله) جعلته فى مقدمة من عشق و اخلص وجد وصدق وثار لبث دعوته باخلاص وايمان . وفى زمان كان الدعاة يعلنون شعائر جمة ظاهرة خادعة كان الرجل (النبي) يكره ان يدثر بالشعائر الكاذبه و يستر ماهو عليه من الصدق والحق .

كان فى شغل شاغل من روحه وحقيقة امره و صدق دعوته .

وكان سر الوجود مع ماتجلى فيه من العظمة والجلال لامحالا لامعاً

له مكشوفاً مرئيا وظاهراً كالنور الساطع فما كان العمى والضلال في تلك الاحوال بقادر على ان يكتم عنه سر الجلال ولم تكن البدع والخرافات المضله تستطيع ان تستر عنه الحقيقة فلما راى سرالوجود و عرف الحق صاح

انا موجود بوجود الحق و الحقيقة

و هذالذى يسوقنا الى القول بان ما قاله هوالحق والصدق وانما جاء به انما هوامر سماوى الهى لاغير ،

فكلمةمثل ذلك الرجل (النبى ص) هى صوت خرج من قلب الطبيعة ولا بدللناس من ان يستمعوا اليه و يجتمعوا حوله فان لم يستمعوا ذلك النداء الا لهى الحقيقى فكل صوت بعد ذلك يذهب مع الرياح ولا ينبغى لاحد ان يسمع فيهتدى ولكنه صوت الهى يهدى الى سواء السبيل »

كانت للرجل (النبى ص) افكار جمة هاجت فيه فى كل مكان و زمان فى السفر والحضر والسياحه والتجاره فكان يسال نفسه : من انا و اى شئى انا ؟ وما هذالمحيط العظيم الذى ليس له بداية ولانهايه ونحن نسميه عالم الحياة والى اين ينتهى وماالموت والحياة وما الذى يجب علينا ان نعمله او نعتقد به وانا بنفسى ماذا اعتقد وباى شئى اعمل ؟»

فكان يسال الصخر فى جبل حرا و يسال النجوم التى تلمع وتلوح على رأسه حتى انه سال الحصى والرمال والرياح والجبال فلم تجبه .

السماء الزرقاء وما فيها من الكواكب اللامعه وكل مافى الطبيعه من جمال وبهاء وهيبة وعظمة امسكت عن الجواب و عجزت عن الرد الا ان روحه العظيم الملهم من الله او بالاحرى ان يقال روحه الذى حل به ذوالجلال وملكه وانزل عليه وحيه هوالذى اجابه فقال لااله الا

الله وهوالسميع المجيب الذى حل بروح ذلك البطل العظيم .» (انتهى ما نقل عن كارليل)

كان محمد (ص) معتزلا متخذاً غار حرا منزلا فلما قام دعاعشيرته الاقربين .

كان محمد (ص) عربيا اميا فجمع قبايل العرب الجائعة العاريـة الحافيه والف منهم امة عظيمة قويه ذات اخلاق ساميه وفضائل ناميه وفى مدة لاتزيد على ثلاثين عاماً غلب العرب على امپراطـورية قسطنطنيه و ملكو سوريه والعراق ومصر وايران واباد واملوك فارس فامتدت فتوحهم من الاقيانوس الاطلس الى سواحل بحيرة قزوين ونهر سيحون وفى مدة اثنى عشر قرناً سادوالعباد وملكوالبلاد ولم تنقطع سيادتهم عن ممالكهم عدا اسپانيا والاسلام اليوم وفى زماننا هذا هوالدين الوحيد فى سواحل بحيرة قزوين (الخزر) من اسيا وفى مركز افريقا ولا يزال منتشراً او ثـابتـاً .

نعم ان محمداً هوالبطل الذى جاء بالايمان وهوالذى دعاالى الدين الحنيف الذى قضى على دين زردشت وشتت اتباعه فى كل مكان و هو الذى غلب على دين الهندوس واثر كثيراً فى الدين البودائى فى نهر« كنك وهوالذى نازع المسيحيةهناك فغلبها فهو ينتشر بسرعه وهى لاتزال جامدة واقفة او متقهقرة وهوالذى انتزع منها نفوذها وتاثيرها فى اول الامر فغلب على المسيحيين فى مصر وافريقا وسلب مستعمرات الروم منهم و سيطـر عليها حتى بلغ جبل الطارق وجاوزه فدخل المسلمون اسپانيا (الاندلس) وملكوها وبلغوا نهر «لوار» وهى اسپانيا التاريخيه التى ضعضعت امپراطورية رومه وارعتها والاسلام هوالذى دخل بلاد الروم الجديده وفتح قسطنطنيه بالسيف والايمان .

واليكم بعض قصيدة الامام شرف الدين البوصيرى المعروفه بالبرده
(ترجمها المؤلف الى اللغة الانكليزيه فاحتفظنا بها عيناً ـ المترجم)

محمد سيد الكونين و الثقلين
و الفريقين من عرب و من عجم

نبينا الآمر الناهى فلا احد
ابر فى قول لا منه ولا نعم

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته
لكل هول من الاهوال مقتحم

دعا الى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيين فى خلق و فى خلق
و لم يدانوه فى علم ولا كرم

و كلهم من رسول الله ملتمس
غرفاً من البحر او رشفاً من الديم

و واقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم او من شكلة الحكم

فهو الذى تم معناه و صورته
ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم

منزه عن شريك فى محاسنه
فجوهر الحسن ، فيه غير منقسم

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
و احكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم
لم يمتحنا بما تعى العقول به
حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم
اعيى الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب و البعد منه غير منفخم
كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة و تكل الطرف من امم
و كيف يدرك فى الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه انه بشر
و انه خير خلق الله كلهم
وكل آى الى الرسل الكرام بها
فانما انقلبت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن انوارها للناس فى الظلم
اكرم بخلق نبى زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر مبتسم
كالزهر فى ترف و البدر فى شرف
و البحر فى كرم و الدهر فى همم

كانــه و هــو فــرد فى جلالته

في عسكر حين تلقاه وفى حشم

لاطيب يعدل تــرباً ضــم اعظمه

طــوبى لمنتسق منــه و ملتثم

دعنى و وصفى آيات لــه ظهرت

ظهور نــار القرى ليلا على علم

آيات حق من الرحمن محدثــة

قديمــة صفــة الموصــوف بالقدم

لم تقترن بزمان و هــى تخبرنــا

عن المعاد و عن عــاد و عن ارم

دامت لدينا ففــاقت كل معجزة

من النبيين اذ جاءت ولــم تــدم

قــرت بها عين قاريهــا فقلت لــه

لقد ظفــرت بحبل الله فــاعتصم

ان تتلها خيفة من حر نار لظى

اطفأت نار لظى مــن وردها الشبم

كانهــا الحوض تبيض الوجوه بــه

مــن العصاة وقــد جاؤه كالحمم

و كالصراط و كالميزان معدلــة

فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم

لا تعجبن لحسود راح ينكرهــا

تجاهلا و هــو عين الحاذق الفهم

قدتنكر العين ضوء الشمس من رمد

و ينكر الفم طعم المآء من سقم

يا خير من يمم العافون ساحته

مشياً وفوق متون الانيق الرسم

ومن هوالاية الكبرى لبمعتبر !

ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

الباب الثانى

الفصل الاول

القرآن

القرآن من القرآة اوكل شيء يقرأ وينطق به.

ويسمى «الكتاب» او «كتاب الله» او «الكتاب العزيز» او «الكلام الشريف» او «المصحف» او «الفرقان» ومعنى هذه الكلمه هومايفرق بين الحق والباطل.

يعتقد المسلمون ان القرآن صدر وحياً من الله وهو ابدى لايزال و غير مخلوق (يختلف المسلمون فى خلق القرآن. المترجم). ويقولون انه ملازم لذاته سبحانه وتعالى وهو الدليل المعجز الذى لايماثله شيء على نبوة محمد (ص) لان بلاغته لاتبارى فتم الاعجاز بذلك على صحة البعث والرسالة.

ويدعى البعض ان المصحف نزل تماماً من اول الامر وفى الازل قبل كل شيء فقد كان مكتوباً قبل البعث على لوح ازاء الكرسى فهو اللوح المحفوظ وفيه كل امر صدر اويصدر من ذات الجلاله من الاول الى الاخر من الازل الى الابد.

ويعتقدون ان اول ماخلق الله هو اللوح و هو حجر ثمين كبير للغاية ثم خلق القلم وهو لؤلؤة يشع النور من شقه والنور هو المداد و الملائكه الكرام هم الكتاب يثبتون مايقول الناس او يعملون ومن ذالك اللوح

المحفوظ نزلت نسخة مع جبرئيل الى السماء الاول فحملها كحامل الوحي فانزلها في شهر رمضان وفي ليلة القدر ولكنه تدرج فانزل الوحي في مدة ٢٣ سنه كلما اقتضى الزمان اوالامر من الله الى نبيه محمد وفي اخر حياته عليه الصلاة عرض عليه مرة واحدة في مصحف مرصع بالاحجار الكريمه وملفوف بالحرير.

وعلى ماقيل ان بعض السور نزلت مرة واحدة كاملة غير متفرقه ولكن اكثر القرآن نزل اجزاء وآيات وحيا والهاماً فكتبه كتاب الوحي سورة فسوره ثم ان جبريل جاء بجمعه مصحفاً حسب تعليمه وترتيبه .

و الذى نزل اول مره باجماع المسلمين بلا اختلاف هو هذه الايات الخمسه .

اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم .

فحين ما كان النبى ينطق بالايات يكتبها ويثبتها كاتب الوحي ثم يفقهها ويحفظها المسلمون و كثير من المومنين كانوا ينقلون الايات من الالواح المكتوبه بيد كتاب الوحي ولكن من كان يحفظها اكثر .

فمتى مانزلت آية حفظت اوكتبت بلا تاريخ او ذكر شان نزولها ولهذا كان تاريخ النزول والوحي مجهولا عند اكثر المسلمين.

وينقسم القرآن الى مائه واربعة عشر قسمة غير متساويه فكانت تسمى فصلا اوسورة والعرب يجمعون السوره على «سور».

وهذه الفصول اوالسور لم ترتب على عدد الايات او الجمل فتكون متساوية متوازيه واسماء السور يتبع ماجاء فيها من اسم شخص اوقصة او امر آخر والغالب تسمى باول عنوان اوآية وردت فيها .

وقد يكون لكل سورة اسمان وهذا مااختلف فيه الكتاب الذين نقلوالسور من لوح الى آخر .

وقدنزل بعض السورفى مكه وبعضها فى المدينه فمن اجل هذاسمى البعض مكياوالاخر مدنياً

و كل فصل اوسورة يشمل كلمات وجمل يسميها العرب آيه والإيه هى كل اعجاز يخرق العاده و يعجب و يبهر

و بعد كل عنوان او اسم للسوره يبدا باسم الله غير السورة التاسعه (سورة برائة وسورة الغضب)

والمسلمون يعتقدون ان بلاغة القرآن هى المعجزة الوحيدة التى تفوق احياء الموتى مثلاوان ماجاء به موسى وعيسى من الايات كان ينحصر بزمانهما وبلاغة القرآن تعم كل الازمنه فهى ابديه وبهذا السبب محت كل آية لكل نبى قبله .

والقرآن من حيث الادب و البيان هو خير آية للشرق الذى عرف الادب فاحبه فهو ليس بالشعر ولكنه خير من الشعر فله قافية ووزن وسجع وهذا الفن فى الشرق مطلوب من عهد بعيد .

والاجماع على هذا ان القرآن الكريم نزل بلغة قريش و هى اكرم وانجب قبايل العرب معروفة بالادب وقل ماخالطه من بعض اللغات العربية غير القرشيهٔ .

والقرآن هو عنوان الادب العربى وفوق كل ادب عند العرب وفيه الاستعارات والتشبيهات الحسنه وان كان بعضها يحتاج الى الشرح و الحل والتفسير ولكنها غزيرة المعانى محكمة المبانى رفيعة المغازى وقدايدهذا «گوته» الشاعر الالمانى الشهير فقدقال

يرى القارى ان القرآن في بادى الامر ثقيل المعنى ولكنه سرعان ماينجذب الى مافيه من حسن وبلاغة تسبى الافهام وتلعب بالعقول و الاحلام.

وفى حياة النبى محمد (ص) كان القرآن لايزال اوراقاً متفرقة مبعثره ولكنها محفوظة عند الكتاب.

قام ابوبكر بعد النبى بالخلافة فجمع مانزل من القرآن و كتب على السعف او الجلد او العظم او اكتاف الغنم و كذا مانقلته السن الحفاظ فصيره مصحفاً مجلداً ولماتم استنساخه وجمعه اودعه عند حفصه بنت عمر احدى زوجات النبى امانة ليكون المعول عليه ويكون النسخة الاوليه الاصليه لاخلاف فيها.

فلما انتهت الخلافة الى عثمان وانتشرت نسخ اخرى من النسخة الاصليه طابقها الحفاظ والقراء بما حفظ اوجمع فى المدن الاخرى او بين المسلمين فوجد و فيها اختلافاً فاعتمد عثمان على نسخة واحدة جمعت فحفظت و امر بابادة النسخ الاخرى المختلف فيها و ذلك فى سنة ثلاثين هجريه.

ويجب ان نعلم منزلة القرآن وعظمته عند العرب فقد نزل فى زمان ارتقت البلاغة فيه اعلى درجة فى الشعر والخطابة والقول والمثل والبيان وقد فاق كل فصاحة و بلاغة كانت فى ذلك الزمان وقد قال احد العلماء المحققين من المسلمين فى ذلك:

« ان آية القرآن واعجازه فى انسجامه و سلاسة الفاظه و تنسيق جمله وحسن بيانه وبلاغة عباراته ولطفه و رقته بحيث انه يجذب قلب كل قارىء حتى الاعجمى الذى لايعى فهو يقدر على ان يميز بلاغة القرآن

عن غيره ويفهم ان الجمل هى احسن واعذب من كل عبارة فى غيره باى لغة كانت فكل جملة فى القرآن تشع وتلمع فى ذاتها كانها ياقوتة صافية لامعة فالايات فيه كانها كواكب درية اوسرج موقدة تضيى للبعيد والقريب فهو لما نزل حارت فيه الافهام واشتبكت عليه الاحلام حتى عجز كل اديب عالم اوبليغ خطيب عن ان ياتى بمثله اويباريه»

والقرآن فى ذاته كان خيراية تدل على صحة رسالة محمد و بعثه وقد صرح القرآن بدعوة كل من يدعى البلاغة و الفصاحة فى ذلك الزمان الى السباق والمباراة ليخرج كل بضاعته اويجلب كل جواده للرهان فعجز الكل عن ان ياتوولو بسورة واحدة من مثله

وقد قيل ان «لبيد» ابو ربيعه وهو من اهل اليمن واحد اصحاب المعلقات السبعة التى علقت فى الكعبه . قد استهل قصيدته و هو جاهلى و ثنى بهذا البيت .

الا كل شيء ما خلا الله باطل

و كل نعيم لا محالة زائل

وقد عجز الشعراء عن ان ياتوا بمثل القرآن حتى نزلت سورة برائه وعلقت فى الكعبه كما كانت تعلق القصائد فلما قراها « لبيد » قال ماهذا الاالوحى والالهام الذى او حاه الله » فآمن بذلك الوحى و قبل الاسلام ولابدلنا من ان ننقل بعض تلك الايات التى سببت ايمان لبيد واسلامه و اعترافه بانها هى الوحى الاسمى البليغ الذى لايبارى.

« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك و بالاخرة هم يوقنون . اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

ثم قال تعالى بعد ذلك عن الكافرين:

« **مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما اضائت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لايبصرون . صم بكم عمى فهم لايرجعون . او كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين .**

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير .

امالذى يؤثر على نفوس العرب وقلوبهم فهو الوحي و الالهام الذى نزل في القرآن وبينه محمد (ص) باحسن مايمكن من الكلام البليغ (بينه الله - المترجم) وقد تنوع النثر والسجع فيه باحسن الانواع حتى انه يمتاز بحسنه عن الكلام العادى خصوصاً في وقت يصف الله تعالى جلالته على عرشه يفعل مايشاء ويحكم مايريد ويصدر الامر الاعلى والنهى ويرسل الشرايع وينشر الاحكام والقوانين .

فاذا قرأ القارى في القرآن بعض الايات التى تصف الجنه و نعيمها وتمثل لذتها وحسنها وراحتها الابديه ينتعش لذلك كانه يراه بعينه او يذوقه اويلمسه ثم اذا انذر بالجحيم والعذاب وهول المحشر الاكبر تمثل له اشتعال النار وشدة حرها واحراقها كل شيء

يحترم المسلمون القرآن غاية الاحترام ويقدسونه كما ينبغى له و يحتفظون به ولايمسونه الا وهم طاهرون متطهرون واحتفاظاً وحرصاً على كرامته لئلا يمسه غيرطاهر يكتبون على جلده هذه الاية الكريمة :

« **لايمسه الاالمطهرون** »

يقرؤن القرآن بكل احترام واحتفاظ وطمأنينة ولايعلقونه الاعلى

اعلى صدورهم واجسامهم واذا مسوه ولمسوه اوحملوه و فتحوه لأبدانهم من ان يقبلوه واذا سافروا حملوه معهم كرقية لهم اووقاية من البلاء والشر ويعلقون بعض آياته على اعلامهم ويكتبونها على الالوية بالذهب ويرصعونها بالاحجار الكريمه ولايودعون القرآن اوآياته اوما كتب على الاعلام عند غير مسلم فلا يمسه الا المطهرون من كل دنس شرك اوغيره.

و القرآن هو اول مايعول عليه فى التعليم عند المسلمين ففى كل مدرسة لابدان يبدأ به او يعلم كله او بعضه ابتداءاً ثم يكمل تدريجاً فهو القانون الوحيد والمثل الاعلى لتعاليم الحياة والقضاة يقسمون ويحلفون به وعلى كل مسلم ان يتعلمه اويلم به اويعمل بقانونه ويقرأونه كل يوم فى المساجد اوفى كل مكان يسعهم ان يقرأوه .

وربما اجتمع القراء فى مسجد فاتفقوا على قراءته جمعاً وربما رتب القراء ثلاثين قارئاً كل واحد يقرأ جزءاً منه .

تسمع القراء يرتلون ويلحنونه بعد اكثر من الف ومائتين سنه مرت عليه (زمان المؤلف ـ المترجم) و الملايين من المسلمين يستمعون له وينصتون مطمئنين هادئين يلذ لهم كل شيء فيه ويعلمهم السعادة والحياة وربما قراه البعض من علماء الاسلام اكثر من الف مرة او آلاف مره .

والقرآن هو الامر الناهى الوحيد او المعلم النافذ تعليمه للحياة فهو يامر بعبادة الله وحده لاشريك له واطاعة اوامره و نواهيه و اجتناب الشر والعمل بالخير وحب الناس والمسالمه والاخاء و اجتناب الخمر و اتخاذ البصر قاعدة للسلامه والحلم والوفاء وحب الخير بجميع احواله وتعميمه بين البشر.

وهو لايترك اوامره و نواهيه بلا اجراو جزاء فالخير للخير اكرم

ثواباً واحسن جزاءاً والعذاب للشر والبلاء اعظم نكالا ووبالا.

وفى القرآن احكام تبين وظائف المسلمين و ترتب اعمالهم فقد صرح فى الصلاة فى خمسة اوقات وامر بصيام شهر رمضان واداء الزكاة اى ان المسلم يجب ان ينفق واحداً من كل اربعين قسم من ماله على من يستحق حتى العدو اذا كان جائعاً ولو كان وحشيا اوغير داجن.

وقد اكد محمد (ص) الصلاة وامر باقامتها وجعلها عموداً للدين او مفتاحاً للجنة وقد صرح عليه الصلاة بان ديناً لاصلاة فيه لايرجى الخير منه اوفيه.

اما الطهاره والتطهير فهى لازمة ضروريه ولا تتم الصلاة الا بها فهى المقدمه اللازمه للصلاة

قال سيل (SALE) فى مقدمة رسالته :

لاجل ان يعمل المسلمون بما امروا فى امر الطهارة ويواظبوا عليها فقد روى عن النبى (ص) انه قال :

بنى الدين على اساس الطهاره فالطهاره هى نصف الدين وهى مفتاح الصلاة ولا صلاة بلاطهارة واذا اردنا ان نزيد ايضاحاً فلابد لنا من نقل قول الغزالى فقد قال

للطهارة اربع درجات. الاولى هى تطهير الجسم من الدنس . الثانيه تطهير الجسم من الرجس و ارتكاب المعاصى الثالثه تطهير القلب من الشهوات الضارة والرابعة تطهير النفس من كل مايمكن ان يحيد بالانسان عن الله فهى الاخلاص والخلاص من الارجاس والوسواس .

فالجسم هو غشاء القلب ولا يكفى تطهير الغشاء حتى تنفذ الطهاره الى القلب واعماقه فتطهر النفس فى جميع شئونها مع الجسم فى وقت واحد

ولاتقوم الطهارة الماديه بلاطهارة معنويه ولا تتم الابالتجرد من الهوى ومن هذا يظهر لناتماماً كذب كتاب المسيحيين الذين يتهمون المسلمين بالطهارة الظاهرة الخادعه و يزعمون انهم انما يعتمدون علـى تطهير انفسهم من الارجاس بالماء والظاهر عنوان الباطن فاذا توضأ المسلم اعتقد انه تخلص من الذنوب والمعاصى وهذا افتراء ظاهر على المسلمين

ولا تنحصر تعاليم القرآن بالوظائف الدينيه و الاخلاق فقد قـال « گيبون »

بين الاقيانوس الاطلس ونهر «كنك» تعيش الامم المسلمه وتعتمد على القرآن لاكانه كتاب فقهى بل هو القانون التاسيسى والقانون القضائى المدنى والجزائى وعلاوة على ذلك هو القانون المالى وبه تصلح الشئون الماديه والمعنويه وتدبر امور البشر واحكامه وقواعده ثابتة الهيه ابديه وبالاجمال القرآن هو القانون الاساسى وبه العمل وعليه المعول فهو مجموعة قوانين دينيه ، اجتماعيه ، مدنيه ، تجاريه ، عسكريه ، قضائيه ، جنائيه وجزائيه .

و هذه المجموعه من القوانين النافعه تعين وظائف الحياة اليوميه مادية كانت اومعنويه فمن الطهارة الحقيقية اوالمجازيه الى المعيشة ومن حفظ الصحه الى تزكية النفس ومن الحق العمومى الى الحق الفردى ومن الاخلاق الى الاداب ومن الجزاء فى الدارين الى الثواب والاجر فيهما معاً ومن الانذار بالعذاب والتخويف بسوء العاقبه الى البشاره .

ومما ذكرناه يعلم الفرق بين الانجيل والقرآن على ماذكره وشرحه «كومب» فليس فى الانجيل فقه او قاعدة فقهيه تنفع الحياة بل كلما فيه هو قصص و حكايات ترغب الانسان للخير وتحثه على التضحية والتواضع

وحب الانسانيه واحترام العواطف وليس فيه اصل منطقى اوبرهان يجمع بين الخير والحياة ويطبق المعيشه على العواطف ويرتبها اوينظمها ويجعل لها احكاماً تدل على النظم الاجتماعى .

وليس القرآن كالانجيل جاء لمعنى دينى لاغيرفقال بالعباده وبين شئونها واهمل الحياة فقد جاء القرآن بالتعليم السياسى الاساسى ووضع للملوك رسوماًواصولا لايحيدون عنهاورتب الحياة بجميع شئونها السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديه احسن ترتيب وجعل لكل شان قانوناً .

فماهناك امرمادى اوادبى يتعلق بالحياه وشئونها فى جميع الازمنه و الاحوال الاوقد وضع له القرآن قانوناً يدبره ويصلحه وينظمه احس تنظيم ينطبق على الحياة الماديه والمعنويه .

وقد نظرمحمد عليه الصلاة الى الفساد فى تسلط العلماء الروحيين من المسيحيين فاراد ان يحذر المسلمين منه ولا يجعل الدين الاسلامى العوبة الرؤساء الدينين مثل النصارى و كهانهم فلا يقضون بما شاؤا ولا يلعبون بحياة المؤمنين حسب اهوائهم واطماعهم فقد جعل القرآن حاكما يهتدى به العالم والمتعلم ولايضل من اتبعه عامداً اوغافلا فهو امام المسلمين وحكمه صريح فى كل حين.

وقد خص النبى الدين بالعواطف الانسانية بان يعمل بها الانسان بحسب وجدانه وميز العباده عن المعيشه فللانسان ان يعبدالله ويفكرويقيم الفرائض الدينيه وهو مسئول عندالله و ربما اشترك الدين الاسلامى مع الدين المسيحى بامور العبادة فهى الرابطه الوحيدة بين الانسان و بين الرحمن ولكن الفرق بينهما عظيم فقد نظر الرسول الاكرم الى الوجهتين و فصل بين العابد والكاهن فالمؤمن المسلم لايحتاج فى عبادته الى القسيس

والراهب ولكن المسيحى لاينفك عن الكاهن وهذا مايدل على ان العقل الاسلامي هو الذى يصلح للحياة حتى فى امور العبادة و تجريد ها عن الرؤساء الروحيين لئلا يفسدوا على الانسان حتى الرابطه بينه و بين خالقه .

قال الموسيو «رنان»

لايوجد رجل عند المسيحيين اقل قدراً من الرهبان و القسيسين من المسيح نفسه ولا يوجد عدو للدين المسيحى اكبر و اشد ضراً من الكاهن الذى يسيطر على الناس باسم الدين ويدعى حمايته و وقايته من الاعداء و هو الدهم واشدهم عداء وضرراً على الدين واهله .

ثم قال «رنان»

ماا كثر الالقاب عندالرهبان على انهم يحصرونها بكلمةواحدة هى الاخاء فخطاب بعضهم للبعض هو « الاخ »

وقد حصر المسيح لقبه بالمعلم و سمى الله اباً وقد تجرد الاسلام من الاوهام فلااخ ولا اب ولاابن وكذا قداستغنى عن الكهانة وما ولدت من القديسين فكل مسلم يمكنه ان يقوم بذاته وان لايعتمد على الكهان والعلماء الروحين فانما الدين عاطفة بين الانسان و خالقه لاتحتاج الى سماسرة .

والعلماء الروحيون عندالمسلمين هم علماء الحقوق والقوانين لان القرآن وهوالمصحف الدينى الوحيد ليس الا مجموعة شرائع و قوانين و قواعد للحياة الاجتماعيه و السياسيه والاقتصاديه و بتلك القوانين تصلح الحياة والعلماء لايحق لهم ان ياخذوا اجراً على الفتوى ولاان يتكلو على . الامور الدينيه فيعيشون فيها وبسببهاولا يجوز ان ياخذو الاعشار لنفوسهم

عوضاً عن قيامهم بالشرايع ولهم ان ياخذو بالمائه اثنين و نصف من الاوقاف وما حبس على المساجد والغالب يعيشون باكتسابهم اومن فوايد اموالهم واملاكهم الخاصه .

علماء الحقوق وخدام الشرائع اوما نسميهم نحن الدكاترة يعقدون للفتوى مجالس ربما شابهت مجالس الروحيين في الكنائس الانكليزيه و اذا اختلفت عن الكناس الانكليزيه فبهذا تختلف انها لاتماثل الكنائس في الاختلاف اى لايوجد اختلاف عنه المسلمين في ما صرح به الدين.

ان اعتقاد محمد (ص) كان مجرداً عن الشك والترديد والابهام فقد كان خالصاً صريحاً منزهاً عما يشوبه من سوء الظن او الريب والقرآن الكريم اعظم واكرم شاهد على التوحيد.

وقد قام الاسلام على هذا الاساس المتين ان مايولد ومن يولد لابدان يموت و ان ماقام وارتفع لابدان يقع و ان مافسد لابدان يزول فاذا كان هذا حقاً لابدان تبطل عبادة الانسان للانسان اوالاعتقاد بتاثير النجوم او تدبيرها اوعبادة الاصنام لانها فاسدة بائدة فانيه ولابدان يعبد الحي الدائم القائم الذى لايفنى فهوالله تعالى شانه

اماايمان محمد واستدلاله الناشى عن ايمان حقيقى وثورة فكرية اصلاحيه هو الذى دعا الى عبادة وجود ازلى ابدى غير محدود فليس له شكل ولا يحويه مكان كما لايخلو منه مكان وليس له ند ومثل وشبيه وشريك ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً لاتدركه الابصار ولاتحيط به الافهام وهو يدرك الابصار ويحيط بكل شيء

وجوده ضرورى بذاته وكل شيء قائم بوجوده ومنبعث من مشيئته و نا شيء من حوله وقوته وارادته .

فهذه الصفات اوالمعتقدات قدجاءت فی هذه السورالکریمه (۲و۷۵ و۷۵) و اوحیت الی محمد و جرت علی لسانه وحیاً والهاماً فاعتقد بها اصحابه و آمنوا بها واجمعوعلی انها هی الحق الصریح فان فسروها فانما تفسیرهالایتجاوزالصور الریاضیه فی ازدیاد الشرح والایقان فهو کاشکال ریاضیة لایتخلف فیها اثنان وکل حکیم اوفیلسوف اومن یعتمدعلی الفلسفه وقواعد ها یمکنه ان یقول بما جاء به محمد و ان یطبق جمیع اصوله و قضایاه علی الدین الاسلامی ویزداداعتقاداً علی ماهو علیه من الفلسفه و احوالها .

الله تعالی موجود فی کل شیء والدلیل علی وجوده هو آثاره الطبیعیه المشهوده فی کل زمان و مکان و اسم جلالته مکتوب بالایمان فی قلب الانسان .

حریة محمد (ص) والبساطة و الصراحه فی کل شئونه انتقلت الی خلفائه علماً وعملا اماالوحی والالهام فقد ختم به ولم یبق شیء منه یحق لمن بعده ان یرثه اویدعیه فالوحی والالهام کان من زمان آدم علیه السلام الی خاتم النبیین وقد تم بذلك القرآن .

ان محمداً (ص) علم اصحابه و من اسلم معه بان یحترمو دین المسیح (فی سوره ۷ـ و ۱۰ من القرآن) و ان یکرمو النصاری و امة عیسی ومن العجز ان لایستمد علماء المسیحیه من القرآن بما جاء فی عصمة مریم العذراء وطهارتها وقدسها وعفتها .

لقد ضل النصاری ومن اتبع المسیح مدة ستمائة سنه وکان یمکنهم ان یهتدوا فی هذه المدة فقد ادعوا انهم یقتدون بالمسیح ولکن مازالوا علی ضلالهم وغفلتهم فقد اهملواتعالیم من اقتدوا به

ان موسی وعیسی کلاهما بشر ابنبی یاتی بعدهما وقدجاء فی الانجیل (المحمود الاحمد) پاراکلیت وهوالروح القدسی الذی یهدی الی الحق او یریح الخلق وقد طبق هذا الوصف الصریح علی محمد خاتم النبیین وحبیب اله العالمین والحق انه یحصر بهذا النبی ولامراء فی هذا الوصف الحقیقی الذی ینطبق علیه تماماً .

والحق هوماذکرناه ان القرآن یصرح بوحدانیة الله ورسالة محمد خیر انبیائه الذی اختاره للبلاغ والهدایة .

وهذا هو کلما عرفه المسلمون من القرآن وهواول قاعدة من اصول الدین فالتوحید والنبوة همارکنا الاسلام وقاعدتا الدین والقرآن هوسند الرسالة وآیة البعث ودلیل النبوة

قال محمد (ص)

لما فسدت عقاید النصاری واتخذ وا التثلیث مکان التوحید وزال ایمانهم بعث الله لهم نبیاً (ای محمد) یهدیهم و یعلمهم الکتاب والحکمة ویعید التوحید فمن اجل هذا عد المسلمون انفسهم موحدین وحسبو النصاری مشرکین علی حد قول المتعصبین منهم فمن اتخذ لله ابناً ووزیراً اومشیراً صارمشرکا فالمسلمون لایعلمون لله شریکافقد جاء فی القران(فی السوره ٣) ماهذا معناه .

یااهل الکتاب من النصاری والیهود لاتعبدوا الاالله ولا تقولوا الا الحق فالمسیح ابن مریم ماکان الا رسولا .

فآمنو بالله و رسله و اترکوا التثلیث و البحث فیه و اجعلوا للبحث حداً

الله احد . لم یتخذ صاحبة ولا ولداً ولا یجوز ان یعبد غیره او

يشرك به احد .

ان اكبر امر جاء فى القرآن هو توحيد الاديان الثلاثة فى ذلك الزمان فقد كانت تكادان تنحصر بالثلاثه . و قد دعا محمد علماء تلك الاديان ليضعوا احداً لبحثهم ويجمعوا الادلة من الجديد والقديم على اقامة التوحيد ومعرفة الثواب والعقاب وموازين الحياة والمعاد وما يحصل من المواعظ وما يجب ان يعمل به و ان يجمعوا على دين واحد جاء به محمد وعليهم ان يقتدوا به ويهتدو ويطيعوه و يعترفو برسالته فهو الرائد القائد الهادى المرسل لجميع الامم فى جميع العالم .

بناء على هذا فان الحكمة فى القرآن و اكبر بشارة جاء بها هى الوحدانيه واحياء التوحيد الذى قال به محمد فقد جاء فى القران ماهذا مضمونه :

محمد رسول الله وخاتم النبيين (اى به ختم الانبياء والرسل فلا نبى بعده) وانما قال هذا ليعلم الناس ان التوحيد ليس له قبل ولا بعد فلا بداية بلا توحيد ولا نهاية بغيره.

وان الدين واحد لايجوز ان يختلف فيه اثنان اى لاينبغى ان يعبد غير الله اويشرك به وربما تغيرت الشرايع و فسدت قوانين الحياة فعندئذ يرسل الله الانبياء مثل موسى وعيسى ليهدى بهم الناس وينجيهم من الهلاك والضلال وهم خير الانبياء من اولى العزم ثم ختم الرسل بمحمد الذى هدى به الامم ومامحمد الارسول جاء بدين ابراهيم حنيفاً اى انه لم يوجد اويبدع ديناً جديداً وقداوحى اليه بواسطة جبريل فقدجاء متمماً ومؤيداً ومصححاً للدين الحنيف وتوحيد الاديان وعبادة الواحد الديان .(فى سورة ٢-٣و ٦-١٩-١١-١٢-١٦-٣٧)

وقدجاء فی الاخبار ان القرآن نزل علی محمد مکتوباً علی جلد ضحیة فدی بها اسماعیل ابراهیم اذجعلها قرباناً وقد حلی القرآن بالذهب والاحجار الکریمه ونقش علی الحریر اوزین به (لانعلم لهذا الوصف اصلا ینطبق علی الحقیقه - المترجم) وقد زعم النصاری او کذبوا اذقالو ان القرآن الفه و لفقه رجل یهودی فارسی (ایرانی) احد علماء الدین الیهودی الروحیین و اعان محمدا (ص) علی القران رجل نصرانی نسطوری یدعی ابوالقیس کان یقیم فی بصرا من بلاد الشام . وهذا الافتراء کان قدیماً حتی انه شاع فی عهد النبی ومن اجل ذلك نزلت الایات فی الرد علیه (فی سوره ١٠-١٦١١-٢٥)

وقد صرح القرآن بلامراء بوجود معبود حی احد ازلی ابدی ولم یترك شیئاً یدل علی الریب والتردید انظروا (سوره ٢- ٣ - ٤ - ٥ - ٦-٧-١٨- ٣٤ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٠ - ٣٢ - ٥٩)

والله تعالی لم یلد ولم یولد ولم یکن له نظیراو شریك او شبیه (سورة ١١٢) هوخالق کل شیء (سوره ١٦ و١٧) رحمن ورحیم (سوره ٣ - ٥ - ٦ - ١٠ - ٤٠) وهوالحافظ حتی من لم یشکره وحارس کل احد (سوره ٣ - ٩ - ٦٣) و هو الغافر التواب لمن یتوب عن ذنبه ولو انه جحده (سوره ٢٥ و١١٠) و هو ولی یوم الدین و الحاکم العادل فی القیامه (سوره ٢ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ٢٢) وهو یجزی کل احد بما عمل ان خیراً فخیر وان شراً فشر.

ای انه یثب ویجزی المجاهدین والشهداء والصدیقین علی اعمالهم (سوره ٢٢) ولهم السعادة الابدیه اما وصف القرآن للسعادة الدائمه والنعیم الخالد فهو وصف یعترف به کل ادیب ان لایماثله کلام بلیغ مهما تکلف العلماء و

الشعراء واجهدوا انفسهم بانشائه البديع فكل احد يدرك اللذة فى بلاغة القرآن وما جاء به من الوصف الكريم للنعيم ولا يقدر احد على ان يقيس به بلاغة الكتاب والشعراء والخطباء فهو من الاعجاز لا يشابه شيئاً مهما بلغ من البلاغه انظروا (سوره ٤ - ٧ -١٣ - ١٥ - ١٨ - ٣٢ - ٣٥) ثم العقاب لمن اساء واجرم فهو وصف الجحيم وهو العذاب ويوم الحشر وشدة الجزاء وحرارة النار والفزع الاكبر (سوره ٣٧ - ٣٨ - ٤٥ - ٥٢ - ٥٥ - ٧٦ ٨٨) والايمان يجب ان يكون الاعتقاد بالله تعالى شانه بانه اكبر واعظم وارفع بيده كل شيء وهو الذى يدبر الامور وهو على كل شيء قدير (سوره ١٥ - ١٦ - ٢٣ - ٢٩ - ٣٢) وكذا (سوره ١٣ و ١١٤)

والقرآن يصف الملائكة ولكنه ينهى عن عبادة الملائكه والانبياء (سوره ٣) ولكل انسان ملكان موكلان به يراقبان اعماله (سوره ٣٥) امـا الجن فهم اعداء البشر (سوره ٣٥ - ٣٦ - ٣٨) و المسلمون يعتقدون بوجود الجن فمنهم شقى ومنهم سعيد وللجن والملائكه درجات يختلف بعضهـا عن بعض و يجب على كل مسلـم ان يؤمن بمحمد و يعتقد انه رسول الله ولكن ليس له ان يميزه عن البشر فهو بشر مثل الناس الا انه يوحى اليه .

انما الجهل دعا اعداء الاسلام للقول بان القرآن ما وفا بمكارم الاخلاق فالذين يدعون ذلك ينكررن الاصول ايضاً و الـذى حثهم علـى انكار فضائل القرآن فى الاخلاق او فى القواعد هو التعصب لا غير . فمما لاشك فيه هو تهذيب الاخلاق فى القرآن والدعوة الى ترك الفسق والفجور و الفحشاء والانهماك باللذات المحرمة (سوره ٤ و ١٧) وكذ الربا فقد نهى عنه (سورة ٢) ونهى عن الخيلاء والبخل والغرور (سوره ٣ - ١٧ و ١٨)

والكذب و الافتراء والتهمه (سوره ١٠٤) والطمع (سوره ٤ و ٣٣) و النفاق (سوره ٤ و٦٣) والشهوات والحرص على زخارف الدنيا (سوره ١٠٠ و ١٠٢) فقد نهى عن امثال هذه الرذائل ودعا وحث على الفضائل وامر بالانفاق (سوره ٢ ـ ٣ ـ ٣٠ ـ ٥٠ ـ ٧ـ ٩٠)

الاخاء والانسانيه وحب الناس (سوره ٤ـ ١٧ ـ ٢٩ ـ٤٦) الشكر والحمد لله (سوره ٥) الوفاء (سوره ٥ و١٦) الاخلاص و طهارة الضمير (سوره ٦ ـ ٢٣ ـ ٨٣) العدل (سوره ٥ ـ ٦) البر باليتامى (سوره١٣و٩٠) وابناء السبيل (سوره ٨٠) التقوى واجتناب قول الزور (سوره ٢٤ـ٢٥) تحرير الرقاب وفداء الاسراء وعتق العبيد (سوره ١٣ و ٩٠) الصبر على الشدائد (سوره ٤٦ و٣ و٤٧) الرضا و الطاعة والتسليم (سوره ٣) البر و الخير والاحسان وحب البشر (سوره ٢٨) العفو عن الزلات والتجاوز عن الخطيئات (سوره ٣ ـ ١٦ ـ ٢٤ ـ ٤٣) الاحسان حتى لمن اساء (سوره ٢٣) .

كل هذه نصائح ومواعظ اخلاقيه تمتاز عن غيرها بانها لاتكون طمعاً في العزة بين الناس اولا جل الرياء بل هي امور نفسيه حسية تجلب رضالله ورحمته فهي خالصه لله كامور العبادة اللازمه للحمد والشكر على منه واحسانه .

والقرآن كما بينا قبل هذا لاينحصر بمجموعة قوانين دينيه محضه ولا يختص بالعبادة دون غيرها بل هو يشمل قواعد الحياة ووظايف المجتمع الانساني ويوضح سبل المعيشة للمسلمين كما ان التوراة في اسفارها الخمسه تبين لليهود وطرق الحياة والقرآن ينهى عن اتخاذ اكثر من اربع زوجات (سوره٤) ولكنه يعين تكاليف الاربعة وشرائط الجمع ويحصرها بالعدل

(فإن خفتم الاتعدلوا فواحده) (سوره٢و٦) و كذا وظائف الزوجين وما ينبغي لكل واحد قبال الاخر (سوره ٤) حتى انه قد صرح بارضاع الطفل وعين مدته (سوره٢) وكذا الايامى (سوره٢) والصداق و العلايق الزوجيه (سوره ٢و٤) وكذا مدة اعادة الزواج وعدة الطلاق وزمان الافتراق وما ينبغي للزوجين اذا بانا اواذا رجعا اواذا وقع شيء اخر بينهما والفرق بين الطلاق الرجعي والخلعي وما يجب ان يعملا به بعد الطلاق الثلاثي فقد بين وصرح و اوضح و قرر و اثبت كل ذلك بلا مراء اواهمال . (سوره ٢ ـ ٤ ـ ٦٥).

و هكذا في الارث والوصاية والتكفل والولايه وكل عقد وامر يمس الحياة اويتعلق بالممات فقد اشارت تلك السور التي ذكرنا و فصلت كما شاء الله وبلغ رسوله .

ثم انه نهى عن الكذب و شهادة الزور و انذر بالعذاب لمن يفعل ذلك وشد دالوعيد واثقل النكال في المعاد (سوره ٥ و ٩) و كذا السرقه (سوره ٥) والقتل (سوره ٢ـ ٤ ـ ٦ ـ٦ ـ ٢٥) وقتل الابناء والبنات و وأدهن (سوده ٦و١٧) و الزنا بالاقرباء و غير الاقرباء اى بالمحارم من المحارم من النساء اوبغيرهن. وامر بالعفة والتقوى والحياء ونهى عن تركها (سوره ٤ـ١٩ـ٢٥)

وهنا نرى ان محمداً (ص) ما اكتفى بان يكون نبياً مرسلا فصار هادياً موضحاً سبل الحياة شارعاً عارفاً بقواعد الاجتماع علم الناس كيف يجب ان يعيشوا و يسكنوا وياكلو وماينبغي لهم في كل شأن من شئون الحياة ووضع لهم اصولا وقوانين وحدوداً وموازين تبين لهم الرشد من الغي و تضمن لهم السعادة و السلامه و الرفاه و مما ينبغي ان نشير اليه

هو ان تلك القوانين و الشرائع راجت و شاعت بعد الهجرة و بعد فتح مكة .

والقرآن عندالمسلمين اكثروا كبرمنه عندالمسيحيين من الكتب المقدسه احتراماً وتكريماً وتعظيماً وقل مايرى مثل ذلك الاحترام من النصارى لكتبهم المقدسه.

ففى هذالكتاب (القرآن) كل مايجب من العقائد الدينيه و امور العبادة وقواعد الحياة و شرائع الاجتماع و القوانين المدنية والعرفيه و وظائف الناس الاجتماعيه من كرم الاخلاق والعدل والرأفة والانصاف ولم يغادر كبيرة ولاصغيرة الا ذكرها واحصاها .

اما العقايد التى اكتسبها المسلمون من القرآن فهى تكاد تنحصر بامرين احدهما الايمان وثانيهما العمل.

الايمان هوالاعتقاد بالله و الملائكه و نزول القرآن وحياً و كذا الاعتقاد بالانبياء والمرسلين والمعاد والحساب وباطاعة امرالله فى كل شىء مما صرحت به احكامه.

العمل هو اقامة الصلاة (مع كل مايلازمها من الطهاره وامثالها) و ايتاء الزكاة والصيام والحج .

ولاجل ان يعلم الفرق بين الدين الاسلامى والدين المسيحى نشير الى هذه المسئلة وهى ان علماء الدين المسيحى يسيطرون على المؤمنين به وسبب السيطرة هو شدة ايمان المستمسكين بالدين من جهة وفلسفة الدين نفسه من جهة اخرى فانه ينفك عن الاخلاق .

فالاخلاق فى الدين المسيحى على حده اما الاسلام فهو بعكس ذلك فان العقائد السياسيه والاصول الاجتماعيه و القوانين الحياتية و

كل شيء يتعلق بالحياة الدنيا مادياً وادبيا لاينفك بعضه عن بعض لابدان يتبع اوامر الدين الاسلامى ونواهيه علماً وعملا وبالعمل يظهر الفرق بين المسيحية والاسلام فالرجل المسلم يتلقى جميع احكامه فى جميع احواله من كلمة « الاسلام » التى تشمل الايمان و الوطنيه و السياسة و السنة و التعاليم الضروريه و الاخلاق و تعم جميع الشئون الحياتيه المـاديه والمعنويه.

يوجد فى القرآن الكريم مسئلتان هما فى الحقيقة اكبر كل شيء احديهما تعظيم ذى الجلاله حيثما ذكر فاذا ذكر اسم الله فـى اى محل لابدان يجل اسمه و يعظم و يقدس و الثانيه هى المحافظه على الكرم و العفه والاخلاق فى جميع القصص و الحكايات فلا يوجد فى الحكاية ما يزرى بكرم النفس بل بعكس ذلك هى مثال الطهاره والصدق و الايمان والشرف فلايوجد فى القرآن مايحتمل الوهن والنقص و هو منزه غاية التنزيه عن التصحيح و التهذيب و الاصلاح فاذا قرئى القرآن لا يعترى القارى مايخجل السمع و البصر بل حتى الخيال فهو الكمال كله فى الادب والدين .

فمثل هذا الدين الذى اسس على قواعد القرآن وخير دعائمه التوحيد والايمان هو صريح بدعوته واضح المحجة وظاهر الحجة لم يترك لتوحيد الله اقل ريب .

والله الذى يوصف فى القرآن علاوة على الحكمه والبحث المنطقى الفلسفى بانه علة العلل والسبب والازلى قبل الازل هو المدبر الوحيد للكائنات بلاشريك اومشير اووزير و هو قائم بذاته لايدرك و هو ذومرة دائمة الحركه لا تنفك عنه ولا بداية لها ولا نهاية عاملـة بذاتها و

متحركة بنفسها .

والاسلام منزه عن الاختلاف ولايكلف المؤمن التعبد فى امور الدين والحياة بل يجعله حراً فى رايه وتفكيره و معرفة دينه و معبوده و يسند كل شيء الى العقل السليم فكل ماقبله العقل فهو دين وماحكم به الشرع فقد حكم به العقل وبالعكس ولا اكراه فى الدين ولايجوز لمن امن به ان يعتمد على فكرة بسيطة جامدة غير مقبولة او معقوله فلا يحق لا حد ان يجبر اخاه على الخروج عن طريق العقل والحق اوان يبقى هوجامداً مقلداً غيره فى الاوهام تعبداً وتسليماً بل يجب عليه ان يفكر ويبحث و يحاور و يستدل وينبذ شيئاً ويقبل آخر معتمداً على فهمه وعقله وادراكه لاعلى الكاهن بناء على هذا فالاسلام يخالف المسيحيه من هذه الجهة اذانه لايقبل عبادة القديسين والشهداء وآثارهم العتيقه ولايقدس الصور والنقوش والتماثيل حتى انه لايسوى عبادة الاهام والخيالات التى يزعمون انها وراء الطبيعه و ينهى عن العزلة و الرهبانية و الانفراد بالدير كماانه لا يرضى بغفران الذنب من انسان لانسان اخر كما يفعله القسيسون و الرهبان من العفو عن المجرمين ومحو ذنوبهم فقد جب الاسلام ما قبله من الخرافات و الاوهام .

فلا عجب اذا غلب الدين الاسلامى بما فيه من فوائد على الدين المسيحى وغيره من عبادة الاصنام اوالكواكب كما غلب الدين المجوسى والصابئى و اليهودى فقد قال بان الدين هو التفكير الصحيح الناشى عن الفعل السليم فى كل ماخلق الله والنظر بالفهم اوالبصر الى احوال الشعوب والامم وطبيعة الاشياء والبحث عن الحكمه بجميع صنوفها فى جميع الكائنات والذى يحصل من السير والتفكير يطبق على امور الحياة فالذى يقبله العقل

هوالدين نفسه والذى ينكره يبعد عن العقل السليم .

و اليكم بعض الاشارات عما جاء به الاسلام على اساس القرآن الشريف .

الاسلام لايرضى بتفتيش عقايدالناس فى‌اى دين دانوا به و ليس له ان‌يبحث عن معتقداتهم ولايجازى احدا بما هو عليه من خلاف للعقائد الدينيه ولايكره الناس على ان‌يدينوا به اجل ان الدين الاسلامى يعرض على‌الناس وتشرح فوائده ولايجبر احد على اتخاذه ديناًوقد صرح‌القرآن بهذا فقد نزلت هذه الايه

« لا اكراه فى الدين قدتبين الرشد من الغى »

وقد اعلن وصرح بهذه الايه :

« ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من‌آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون »

و الاسلام لايفرق بين المسلمين وغيره ممن غلب على‌بلاده اوامره فالحياة بين الناس شرع سواء و قدامتاز عما قام به الغالبون و الفاتحون من‌اول العالم فقد خلص الامم المغلوبة على بلادها من تكاليف الامـراء الفاتحين التى لاتطاق وجعل‌لهم‌الحق‌فى‌الحياة والتصرف‌بالمعيشه والحريه فى الدين قبال‌الجزية فهى‌الضريبه‌لحراستهم وصيانة‌حياتهم وضمان‌حريتهم فى جميع‌احوالها .

وقد قضى‌الاسلام على عادة الجاهليه فى‌قتل الاطفال و وأدالبنات. ثم ابطل بيع الاملاك والحقول مع الغلمان اى‌لايحق لاحدان يبيع ضيعة بمن فيها من‌الغلمان الفلاحين وغيرهم اوغيرها . فقدكانت العاده ان يباع الفلاحون‌مع مزارعهم .

العدل فى الاسلام يعم المسلمين و غيرهم من الشعوب فلا ميزة للمسلم عن غيره فى الدين والعدل هو بنفسه فوق كل شيء فالمسلم والذمى فيه متساويان يتمتعان به بلا فرق بين غالب او مغلوب او مالك و مملوك .

اما الضرائب فى الاسلام فقد خف حملها على اهله وغيرهم من سائر الشعوب التى لاتدين به ولكنها تلوذ باهله فقد جعل الضرائب فى اكثر انواعها و الوانها عشراً وهى الزكاة وقد حرر التجارة من جميع ما يمنع سيرها ونموها واعجب من هذا انه لم يكلف علماء الاديان الروحيين على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم بالضرائب كما كان يكلفهم حكام السوء ويضغطون على الكنائس و اهلها باخذ الاموال التى لايطيقون اداءها وقد تطورت ضرائب الديانه المسيحية وازدادت حتى محاها الاسلام فلم يبق منها القليل والكثير على تطوره وثقله

اما العهد الذى يكلف به الذمى فيكاد ينحصر بكلمات يسيرة يعيش تحت لوائه آمناً حراً فى دينه ومعاشه ويعد العدو الذى فاه بتلك الكلمات صديقاً معاهداً .

اما الختان فهو امر صعب على المسلمين فى ابتدائه وربما كان صعباً حتى اليوم وعلى انه امر ضرورى لم يصر عليه الاسلام ويشرح فوائده باكثر مما بين وبلغ وعلى كل فهو سنة (سنة ابراهيم) :

فللقرآن من حيث انتشار الدعوة الاسلاميه وجهان احدهما البلاغه وتأثيرها فى الاسماع والاذهان من حيث المعنى والمبنى ونفوذها فى النفوس وتاثير الاخلاق على اهل الذكاء وذوى العقول من العرب فى نفى الخرافات والاوهام ودعوتهم الى سواء السبيل وترك عبادة الاصنام وقد اعان على ذلك

دين مواطنيهم من اليهود والنصارى فانهم كانوا يسخفون احلام الوثنيين وقد جاء القرآن بدين جديد مجرد من الخرافات قائم على عبادة الله .

والوجه الثانى للقرآن هو شرح اووصف سايرالاديان فى جزيرة العرب المعروفة عند اهلها لتقاس بالدين الاسلامى فياخذ النـاس احسنها ديناً .

و هنا وجه آخر اوامر هوفوق الامرين يتجه الى العمل و نحوه فالمؤمن الذى يدين بالاسلام لابدله من ان يطبق اعماله على اوامره ونواهيه اى ان يكون مومناً بالعمل والعلم معاً فيجعل الشرائع والقوانين الاسلاميه ميزاناً للحياة التى يجب ان يقوم بتكاليفها فتكون اعماله الحياتيه مشروعه ومرتبة على القواعد الاسلاميه .

بعض الكتاب ممن يرومون ان ينقصوا من الاسلام كيله ويخسروه يدعون ان ماجاء به الاسلام من الوعد والجزاء فى وصف اللذات و جعلها جزاءاً للمؤمنين انماهواغواء اوحث وتشويق على قبوله والاقبال عليه وهذا مردودعندنا وعند كل منصف ذكى يعتمد على الحقيقة فان محمداً (ص) ما جاء بالغواية والخدعه بل قام بالهدايه والحق ونطق بالصدق و صرح و اخلص ولم يعول على الغش او التزوير ولم يقم الاسلام كما قام الدين المسيحى اوكما هو عليه اليوم من صور الاخلاق الخادعه ولا يقاس الدين الاسلامى بالدين المسيحى من هـذ الوجه الظاهـر بالتقوى و المنطوى علـى غيرها .

اما تعددالزوجات والتمتع باكثر من امرأة فقدكان امراً شائعاً فى جزيرةالعرب حتى كاد ان يكون ضرورياً ملازماً للحياة فاذا قال به الاسلام فانما جاء بحرية للشرقيين تلازم حياتهم ولاتنفك عنها فجعل لذلك حداً

ومنع الفحشاء التى كانت ملازمة لحياتهم وحدد الزواج ونظمه و نهى عن الفسق بالاقرباء وصرح بذلك حتى عدد من لا يجوزان يفجر به فان الناس كانوا همجاً ياتون اقرب النساء اليهم رحماً فقد نهى عن ذلك وحرمه وعاقب عليه وجعل لمن يفعله اشد الجزاء و العذاب والنكال و على هذا كله فلم يجز للذى يتخذا كثر من زوجه الا اذا كان غنياً عادلا قادراً على ذلك وان لم يعدل فلا يجوز له غير الواحده

اما تكاليف المسلم وفرائضه التى يجب ان يقوم بها فانها ترجح على الشهوات واللذات والذى يقرء القرآن من المسلمين يحس بنزول الرحمه و البركه ويمس التقوى بيده فيجعلها حرزاله وحارساً من الذنوب

و من الصعب ان يقوم نبى او موجد دين جديد بوظائف رسالته قبال امة اوامم ضاله لاتزال تحيد عن الصواب و تركن الى الخطأ فى كل امر تمكن من نفسها الباطل فاعماها عن الحق وقد تمكن الرسول الاكرم من هدايته فساق الشعوب الى سبيل الهدى و وضع لها رسوماً و علامات لاتضل بعدها فاستقامة الدين الاسلامى انما بينت على تلك القواعد والاحكام والاصول وهذا البناء قدتم بماجاء به القرآن من شرائع و تعاليم توافق الحياة الماديه والمعنويه .

فالايات البينات التى رسمت للمسلمين طرق العبادة علاوة على انها تضمن تهذيب الاخلاق فهى فى نفسها مقبولة نافذة راسخة فى نفوس المؤمنين لا يحملونها بل يعملون بها دائمين على قبولها حارصين على القيام بها فالصيام فى اليوم الطويل والحج و صعوبة الطريق والصلاة و تكاليفها من الطهاره و الغسل و الوضوء و اداء الزكاة و اجتناب الخمرة التى نهى

عنها القرآن و امثال هذه انما هى امور بل شرائع و قوانين و تعاليم للمسلمين توجب عليهم القيام بها وادائها وتنهاهم عن المعاصى ويذكرهم التزامها جميع اوامر القرآن و نواهيه فيعملون بما امر به و ينهون عما نهى عنه .

وقد قيل ان التجارة فى الشرق هى العامل الوحيد لانتشار الاسلام فى الشرقى الاقصى فى القـرون الوسطى و الحقيقة سبب انتشاره هـو القرآن نفسه و ما فيه من تعاليم مقبولة عند العقلاء نافعة للحياة.

اجل اذا ان التجار المسلمين نزلوا بين الشرقيين و نشروا الدعوة حتى قبلها الامراء والسلاطين ولما كان دينهم لايفى بامور الحياة وشئونها ورأو القرآن وافياً شافياً اقبلوا عليه كما فعل اهل (ماداكا) فانهم قبلوا الاسلام بغاية البساطه والسلام وكذا سلاطين (ترنات) و (تيدور) فقد اسلموا مع من اقبل على الاسلام وآمن بالله ورسوله.

ولما غلب المغول وملوكهم على بلاد (كجرات) و (كنداهر) و (كامبى) وكثير من البلدان اقبل الناس على القرآن و آمنو و قبل ذلك كانوا يخشون الاسلام واهله ويخافونهم اشد الخوف.

ولما دخل البرتقاليون بلاد الهند رأو الاسلام فيها كانه درة بين الخزف اذ انه هو الدين الحنيف بين خرافات الهنود واوهامهم فقد كان لامعاً ممتازاً هادياً ونافعاً .

فقد قالوا ان « زامورين » اوالاحرى ان يقال ان الامبراطور الذى جعل « كاليكوت » قاعدة ملكه هو قبل دخول البر تقالين بسة مائة سنه قبل العرب المسلمين وادخلهم بلاده ومتعهم بحنانه وايمانه اذ انه دان بدينهم

رغبةلارهبة والملك « سارامايير بمال » آخر ملوك تلك البلاد ركب سفينة عربيه وحج الى البيت واقام فيه معتكفا

ومن الجهل ان ينسب الى محمد (ص) شدة الغضب والانتقام والنكال والحقيقة انما قام بشدة على الوثنيين لاغير ليبيدهم بكل قوة فقد كانوا يصرون على جهلهم ولا يقبلون الهداية ممن جاء بها منقذاً من الهلاك والعمى .

ومن الظلم ان يقال ان الاسلام قام بالسيف لاغير والذى يدل على عدم اكراه الاسلام هو بقاء المؤمنين بكتبهم على دينهم واخذ الجزية منهم فهم اربعة فرق لاغير.

النصارى واليهود والمجوس والصابئين لم يجبر واحد منهم على الايمان بالسيف اوبغيره فقد ساغ لهم البقاء على حريتهم فى الدين بشرائط مصرحه ومعروفة .

وقد حدد الاسلام اهله وقيدهم بشئون قلما يتركونها ويستعملون الشدة والقسوة اويتعدون حدودهم بالمبادرة الى ظلم غيرهم من اهل الكتاب ومن جاورهم اوعاهدهم

فاذا وعدوا اوفو واذا عاهدوا اقاموا على عهدهم الاان يحدث ماينقض العهد وقلما نقضوا العهد عمداً واذا اردنا ان نقيس شر الفاتحين من المسلمين واظلمهم و اشدهم قسوة بغيرهم من النصارى الذين كانوا يطيعون اولياء الكنيسه فى رومه والقسطنطنيه فلا بدلنا ان نعترف بان النصارى اشد قسوة وانتقاماً من المسلمين فلو ان امراء المسيحيين وملوكهم كانوا مكان امراء العرب والترك من المسلمين لفعلوا مالا نقدر على شرحه وبيانه ويدلكم على هذه القسوه هو قتلهم ابناء دينهم فان النصارى اقتتلوا وكان سبب

حربهم وقتالهم خرافات لاتهم الدين فقضى بعضهم على بعض بقسوة يخجل عن ذكرها التاريخ .

قال الموسيو (جوريو)

« الحق انه بين ماوقع من ظلم العرب للنصارى و ظلم النصارى بعضهم لبعض لايقاس فان البابا واتباعه ظلموا المؤمنين المسيحين اشد ظلم وقتلوهم اسوأقتل ويوم (سنت بارتلوميو) وفاجعته المشهوره التى سفكت فيها الدماء هو اشدو اعظم واسوأمن جميع ايام العرب فى جميع حروبهم و انتصاراتهم على المسيحين فيوم واحد للمسيحين بعضهم على بعض يدلك على ان القسوة والشقاء قدبلغا اضعاف كل ايام المسلمين فى كل الازمنه فلنترك اذاذلك الضغن الذى علمنا ان نتهم المسلمين بالقسوة والشدة وانهم اذاغلبوا خيروالمسيحين المغلوبين احدامرين اماان يقتلوا انفسهم وينتحروا واما ان يقتلوا بيد العرب الفاتحين وهذا كذب ظاهر بعيد عن الصحة والحقيقة . ولا بدلنا من القول بان ظلم البابا و همجيته وسفكه لدماء الابرياء لايقاس بهجوم المسلمين وتسلطهم على المسيحين واذا انصفنا قلنا ان غلبة المسلمين فى فتحهم وانتصارهم لاتتجاز التواضع الذى اوصى به المسيح وبينه واكده فالمسلمون فى هجومهم قد عملو بانجيلنا اكثر من غيرهم بل اكثر من البابا ولنفرض ان دين محمد (ص) ليس بالدين الروحى تماماً اليس الاسلام هو الهادى الى طريق الحق والسعاده وهوالذى خلص الحياة من الاوهام والخرافات وهوالذى نشر العلم والعرفان وابان الحقيقة وجردها فى حين سقطت فيه المسيحية غاية السقوط وانحطت تعاليمها و اخلاقها وظهرت بصورة مكروهة تخجل منها الانسانية ويبغضها البشر وقد بلغ السقوط الى حدان المسلمين الفاتحين كلما مرواعلى فرقة من فرق المسيحين وجدوها

اشدضلالا من غيرها واكثر تعصبا وجهلا واقرب للباطل ولم يجد واحداً اوجماعة من النصارى سلموا من الفساد اوبقوا على بعضه فلم يزدادو وقدحق للمسلمين في غلبتهم ان لايحترموا ديناً امتزج بالفساد واستحال فساداً .

و ممالاشك فيه ان موسى بعث الى قومه من بني اسرائيل خصوصاً لا الى غيرهم عموماً وقدجاءت شريعة موسى بحرمان غير الاسرائيلين من الانضمام الى ال يعقوب كما ان كتبهم قدشكت في جواز دخول غير الاسرائيلين وانه يمكنهم ان يتمتعوا بالخيرات والبركات التي تخص ال يعقوب .

وهذاما اعترض عليه الانجيل وخالفه فقد ساوى بين جميع الطبقات بلا ميزة اورجحان ولكن المؤمنين بالانجيل لما الفوا الى السلاطين والامراء ودخلو قصورهم واختلطوا بهم تركو البساطه و السذاجه و عدوا انفسهم فوق اخوانهم واستغلوا قوة الملوك لاحقادهم وشرعوا بالعداوه و الغرور والحرص والطمع والكبر و عمهم الفساد في كل شيء و اصبحوا احزاباً يحارب بعضها بعضاً بالاقلام قبل الحسام فشاع الفساد وزال الاعتقاد بالرافة والمروه و السعاده والسلام وعم الظلم و بان من الرؤساء الروحيين قبل كل انسان.

قال « ميلتون »

قبل قسطنطين بزمان غير يسير اهمل العلماء الروحيون من المسيحين تعاليم الانسانيه والقداسة و الاخلاق الكريمة و الفضائل حتى الافكار النافعه و بعد ما اقام قسطنطين الكنائس و عظمها هجم عليها الرؤساء الروحيون وجعلوها حصوناً لهم اودعوا فيها كل ماجاء به الانجيل من شرف اوصدق اومروة وانسانية ودفنوا الاخلاق في الكنائس و اعلنوا الكبر و الغرور والخيلاء و التنافس و التفاخر فهدموا بذلك بناء الدين و عمروا

قصور الكنائس وزخرفوها بالكبر والغرور .

ففي القرن السادس طلع محمد (ص) في الشرق فهدم الوثنيه في آسيا وافريقا ومصر وبنى الدين الاسلامى على اساس متين واعلى في كل مكان وحدانية الله ونشر التوحيد فاستنارت برسالته افكار الامم والشعوب ونالت من بركاته خيراً كثيراً للحياة الماديه و الادبيه فهو خير نبى عربى تاثرت بدعوته افكار الامم فسلكت سبل الرشاد.

فكل مشرك يريدان يبحث عن الحقيقة ويفتش عن طريق الحق اذا امر بالتعاليم الاسلاميه وحقائقها والم بها لابدله ان يترك ماهو عليه من الغى ويسلك سبيل الهدى بفضل الفكرة الساميه الملكوتيه التى جاد بها الاسلام واوضحها .

والفكرة الاسلاميه هى اوضح من دين زردشت و اكثر حرية و سعادة من دين موسى .

والشرع الاسلامى الذى يعتمد على العقل السليم ويستمد قوته من الدليل و البرهان بلا اكراه ولا اجبار انما هو آية محانور هـا اباطيل المسيحيه و خرافاتها فى القرن السابع وقدكان الدين المسيحى ملفوفاً بالاوهام ممزوجاً بالخرافات التى لايقدر على تجريده العقل فقضى عليه الاسلام بمـا جاء فيه من بلاغ صريح مجرد من كل وهم و رمز وخيال و اغفال .

دوام الاسلام و عظمته و استقامته قبال خرافات الاديان المضله و ثبات علمائه على البساطة والايمان دليل اخر على ان هذا الدين لايزال متسامياً عن الاوهام مرتفعاً عن المعتقدات السخيفة التى جعلت المخلوق معبوداً مكان الخالق فالمسلمون لايزالون قبال هذه الوساوس والدسائس يرتفعون

ويعلون عن كل فكر وضيع يحط من علو الحقيقه ويغلب على الارواح مما خلقه البشر من الخز عبلات و دواعي السقوط و الانحطاط الفكرى الدينى .

وبالاجمال ان الدين الاسلامى لم يصور الوحدانية باشكال دنيه ولم يرض بانحطاط الملكوت كما ينبغى له فكر الجهال والانذال الذين خلقوا من الاوهام آلهة يعبدونها كما يشاؤن.

شعار الاسلام بسيط للغاية فهو ينحصر بهذه الكلمه :

اشهد ان لا اله الا الله

و

اشهد ان محمداً رسول الله

اى اننى اومن بالله الذى لاشريك له وبمحمد رسوله.

وقد ضل اوافترى من قال ان الاسلام قام بالسيف وانتشر بالقوة والعنف وهذا كذب اواشتباه بين او تهمة يبعثها الحقد و يدعمها العداء للاسلام فلامراء ان العقلاء من الناس قدايقنو بان دين محمد بما فيه من صلاة وزكاة قدقام مقام الاديان التى ماانفك الجدال والنـزاع فيها يريق دماء البشر والحروب بين فرقها المختلفه قائمة على قدم وساق والاضغان تعمل فى اراقة دم الانسان فلما جاء الاسلام كان فيه خير الناس ونفعهم فقد صان البشر عن التضحيه وحباهم بنعمة وافرة من السعادة والسلامة و جاء بمدنية تضمن لهم العدل والرفاه ومنع القتل و الضغن وخلص الدين من الاوهام و منع عبادة الاصنام فنال الشرق منه بركـة الحياة الماديه و الادبيه .

والاسلام استغنى عما جاء به دين موسى لليهود من التسليح واتخاذ

اسباب القتل والات اراقة الدماء فهو دين السلام .

فمن العبث ان يقال ان اعظم دين قام بالسعاده والسلام هو آلة للفساد اوالقتال وهذا القول مضحك اوبالاحرى ان يقال انه يزرى بالحق والحقيقة ويجلب الذل والهوان للجهال الذين ارادوان يحقروا الاسلام و يضعفوه بالتهم اكثر مما يؤثر على اهل الاسلام فهو برىء عن هذه الاوهام وكل مايرمون به هذ الدين يعود عليهم بالذل و الهوان ولا يدخل الاسلام منه شيء

والامر نفسه من حيث النهضة الاصلاحيه الدينيه التى قامت على الايات البينات والمعجزات من خوارق العادات فى قلب المجتمع الانسانى ظهراً على بطن اومن حيث شخص الرسول الذى قام بالامر وعظمته النفسيه النافذه المؤثره والامره الناهيه المقبولة التى اعجب بها كل من عرفها فخضع لها بايمان اومن حيث الدعوة وطرقها التى اثرت فى الاجتماع احسن تاثير فعرف الناس بها الايمان وذاقو حلاوة العشق الشريف وعلى هذا يجب ان يقال ان بين الدعوة الاسلامية التى وصفنا ها بهذه الصفات و بين الدين المسيحى الذى عرفناه بما فيه من الاضغان والاختلافات فرق عظيم وبون شاسع و تفاوت واسع والذى يسير معنا فى طريق استقصاء هذ الدين او الذى يريد ان يهتدى بطريق الحق بين السبيلين يقع فى هوة من المشكلات و المباحث العميقة و الافكار العجيبه ولا ينجو منها الا اذا عرف الحق و اهتدى به ولا يهتدى الا اذا علم وايقن ان الاسلام هوالخير المحض للبشر وهو اعظم سعادة يطلبها المجتمع الانسانى ويقبلها عقلاء كل امة يجردون انفسهم من التعصب

بناء على ماذكرنا لانشك بان الدين الاسلامى هو العامل الوحيد للخير والبركة وهوالضامن للسعاده ورفاه الحياة

الفصل الثانى

العرب يحبون و يحترمون العلم

نستدل مما ذكرنا على صحة عقائدنا ببعض الاشارات التى جاءت فى الفصل السابق اما الحقائق فانها تحتاج الى شروح وتفصيلات اخرى عسى ان نذكر بعضها فى المستقبل و نوضحها اكثر من قبل.

يمكننا ان نقول لاتوجد امة فى العالم اولم توجد من قبل امة تحب العلم وتحترمه بقدرما كان العرب يحبونه فهم فى محبة العلوم اولا و آخراً فى حالة واحدة دائمة على احترام العلماء واكتساب العلم منهم . وقد قال احد شعراء المسلمين من العرب:

متى مارايت العالم النحرير وددت ان القى نفسى على رجليه واقبل تراب اقدامه :

والقوانين الاسلاميه المكتوبة المشروحه والسنن والاداب توجب احترام العلم وتحث على طلبه وحبه .

فقد جاء :

« مداد العلماء افضل من دماء الشهداء »

والذى يعتمد على المحبرة والورق والقلم و المداد ويعلم اولاده ماينفعهم وينفع الناس ويجعل الات الكتابة و العلم خيرذخيرة لنفسه و اهله لابد ان تفتح له ابواب الجنه فيدخلها بسعادة وسلام .

بنى العالم على اربعة قواعد واركان :

علم العلماء وانفاقه . عدل الامراء والملوك وقضائهم بالحق والسويه.

صلاة الاتقياء و طهارتهم . قضاء الشجعان و انصافهم اعتماداً على قوتهم الروحيه والجسميه .

والذى لاريب فيه وله الاثر النافذ المفيد هو اعتقادالمسلمين بان الله على كل شيء شهيد ولهالامر يدبره كيف يشاء وقد قالالله تعالى فى القرآن ان الغنى قبال العلم لايعتد به ولايحسب له حساب وانالعلم هو الغنى بنفسه وليس له ثمن كماللمال من ثمن ومقدار وان فوائده وحسناته كثيرة .

محمد (ص) هو بنفسه كان يوصى ويؤكد و يحث و يشجع على تحصيل العلوم واكتسابها و على صهره عليه السلام كان راضياً بقضاء الله شاكراً نعمته فىقسمته انه قد خصه بالعلم دون المال و اغناه به دون سواه .

لنا ادلة كثيرة لاتنكر ان اول من احى العلم و الحكمة والفلسفه هم العرب فى آسياوفى اسپانيا (الاندلس) و ذلك فى العصر العباسى والاموى معاًفالعرب هم حلقةالاتصال بين الادبالقديم والجديد.

الحروف التى نقلها العرب الى اروپا دلت على نبوغ المسلمين و عظمتهم وقد علم الكل منا انالعلم والادبوالصناعة والفن راجتوشاعت وذاعت عندالعرب مدة سة مائة سنه فىحين كان الاروبيون همجاً رعاعا اووحوشاً ضارية غلبت عليهم القسوة والشدة وانطفى بينهم نورالادب فعم الظلام وزال السلام .

قال « موشيم »

اتفقت الاراء وشهدت بذلك التجارب والعقايد التاريخيه انالقرن العاشر الميلادى كان مثالاللهمجيةالمسيحية والظلم قدساد فىاروپا وسال

فبلغ السيل الزبى والمحزن المخزى ان الظلام فى تلك الاعوام هو الحاكم المسيطر على اروپا ولا يوجد عصر مثله فيقاس به او يمثل وقد سمى ذلك العصر عند الامم اللاتينيه بعصر الحديد لشدته وغلظته وجموده .

الفلسفه عند الشعوب اللاتينيه لم تتجاوز اللفظ واللفظ المجرد من المعنى كان عندهم جوهراً علمياً و حكمة انسانيه .

ومما لاشك فيه ان العرب فى اسپانيا (اندلس) فى ذلك العصر المظلم كانت لهم مدارس ومعاهد للعلم كبيره وكثيره فالذين اخذوا الفلسفه و اقتبسوا الحكمه والعلم من العرب فى تلك المدارس هم الذين نشروا العلم بين المسيحيين وعلمو هم الحكمة والبيان .

وقال هو ايضاً :

لابدلنا من الاعتراف بان العلوم كعلم الهيئة و النجوم و الفلسفه والرياضيات والكيميا وامثالها اخذت من العرب وشاعت فى اروپا ببركة علماء الاسلام و انتشرت من المدارس الاسلاميه الى بلاد الظلام فانارتها و هدت اهلها وانقذتهم من الجهل والضلال ولابدان نعترف بان عرب اسپانيا (الاندلس) هم آباء الفلسفه ومعلمو الحكمه فى اروپا »

اول زهرة فتحت اكمامها فى اروبا هى الفكرة القصصيه المأخوذة من شعر العرب و ادبهم فللعرب دين على الارويين بهذا الفن الادبى .

واذا اردنا ان نمحص ما طالعناه وجربناه فى الادب فناخذ القسم المقبول منه لابدلنا ان نقول : العرب فى غلبتهم على الشعوب كان يغلبون ادبهم كما يغلبون دينهم وحكمهم فيحدث من امتزاج ادبهم بادب الشعوب المنقادة لهم ادب جديد لايقاس بما كان قبله لتلك الامم المستحدثة النعمة

فی‌الادب العربی او الاسلامی ای ان ماولده الادب الاسلامی باللقاح مع ادب الامم المغلوبة هوخیرمن‌ادبها التاریخی من‌قبل الاختلاط والامتزاج وغلبة الادب الاسلامی مع‌الحکم الاسلامی.

مرت علی انتشار الادب الیونانی ثمانیة قرون حتی ثبت و عرفت له صورة خاصه‌ثم مرت مثل هذه‌المدة علیه‌عندالروم حتی ظهر فیه‌شعراء وادباء اشتهروا بسموالفکره و حسن الفطره ثم مرت مثل تلك المده او اضعافها حتی شاع ذلك الادب فی‌جنوب فرانسه ولما تمکن وثبت ادعته الامة الفرانسویه وافتخرت‌به

ولکن ما کاد یمر علی العرب اکثر من مائة و خمسین سنه‌حتی تقدموا وتفوقو بالادب والفلسفه علی‌الامم واشتهر وابالشعر و الحکمة و الفن وساد وابالادب غیرهم .

ومرت علی‌الروم مائتا سنة وهم یحاولون فتح اسبانیا وبعدالجهد تیسر لهم ذلك ولکن العرب فتحوا لاندلس باقل من‌عشرین سنه حتی و صلو الی جبال (پیرنه) و توغلوا فی فرانسه و العلم رائدهم فتح لهم البلدان و سخر الشعوب بقدر ما فتحت الحرب الامصار و غلبت علی الامم.

علی ابن‌عم النبی وخلیفته الرابع‌اعتنی بالخط والکتابة ونشرهما وفی عهد معاویه اذاصبحت الخلافة ارثا وملکا شرع المسلمون باقتباس العلوم الیونانیه وترجمتها الی العربیه ثم فی‌زمان العباسیین قام ابوجعفر المنصور ثانی الخلفاء العباسیین بنشرالعلوم الیونانیه ونقلها فکان‌الرائد والقائد والناشر لها والمنصور علی انه کان فی‌حرب اهلیة دائمة شاغلة لم‌یفته‌ان یهتم‌بشئون‌الممالك‌الاسلامیه فعلاوة‌علی‌العلوم‌و نشرها قام‌بالعملة

الاسلاميه. والنقود الحرة الرائجة فى كل مكان و اهتم بالتجاره والصناعه وبنى مدينة بغدادالتى صارت دارالخلافة خمسمائة سنه وخلفهاالاخلافه من بعده .

هارون الرشيد حفيد المنصور نال من الشهرة و العظمه ما اخاف اليونانين وارعبهم و هوالذى اشتهر بالعقل والتجربة و الدراية فى اروپا فمهدها للصلح و نشره فيها فعرف بحب الصلح كما اشتهر بمحبةالعلم

هارون الرشيد كان صديقاً للملك (شارلمان) وكان يكاتبه ويحثه على نشر العلم فى بلاده.

كان هارون ملكاً حراً يحب العلم والصناعة وفى عصره اخترعت الالات المحركة (كالساعة المترجم)

المأمون ابن الرشيد هو اكبر خليفة قام بنشر العلوم والاداب فهو تاج رؤس الخلفاء فى العلم والادب واليه انتهى الفخر والشرف.

كانت الابل تردعليه بالكتب الخطيه فتدخل القصر باحمالها دائمة دائبه عشرات ومات واكثر فكانت الكتب تنشر بسرعة من اشبيليه الى اصفهان ومن الشرق الى الغرب. بفضل المأمون وعلماء الاسلام . وكانت هذه المدن بغدادوالكوفه والبصره والقاهره وفارس ومراكش وقرطبه وغرناطه والاندلس واشبيليه تزهو بالعلم والادب والبلاغة وفنونها والعلماء والخطباء على المنابر يفصحون ويلهجون بدعوتهم الى العلم والادب والناس يسمعون فيمتعون انفسهم بفضل العلماء وادبهم ويقتدون بهم فى كل فن .

وقد انتشرت الفلسفه اليونانيه خصوصاً فلسفه ارسطو التى يعدها العرب الهة الحكمه فى البلادالاروبيه بفضل العرب وبخطهم العربى الذى

أحياها للمرة الثانيه فى اروپا .

ولا يفو تنك الشعر العربى فهو وان كان فى الغالب غزلا و تشبيباً وله وزن وقافية وقاعدة لاينفك عنها وله معان ربما تكرر اكثرها وحدد بافكار بسيطة لكنه اثرفى التربيه الاجتماعيه احسن اثروعلم الناس الادب واوضح لهم بنوره سبل الفن و الذوق و الفكر و البيان فعمت اشعته البلدان .

واذا فرغنا من زمان المامون فلابدلنا من ان نذكرملكا آخرا و طبقة اخرى غير العباسيين فلاتنس عبدالرحمن وهواكبر قائد للبيان او اعظم واقدر حارس للعلم فى اسبانيا وقدورثه ابنائه من الامويين فاداموا حراستهم للعلم وهم خلفاء الاندلس .

ملوك بنى امية فى الاندلس كانوا قادة العلم و اعظمهم و اكرمهم الثامن منهم عبدالرحمن الذى لقب نفسه بامارة المؤمنين وفى زمان هذا الملك اوامير المؤمنين ارتقت الخلافة الامويه اوالملكية الى اوجها فنظمت الشئون وقسمت الامور وجعلت قاعدة للسياسة ونظامها و كان علم ذلك الرجل المشفوع بشجاعته فتحاله محيطاً واسعاً للتجربه ونشر العلم وحث الناس عليه و نشر لوائه فى كل مكان و الذى ساعده على ذلك هو دوام خلافته مدة خمسين سنه فى القرن العاشر للميلاد فبهذه المده استفاد و افادو علم العباد وعمر البلاد وعم علمه الامصار ولكن القاعدة بان كل صعود ينتهى الى هبوط قضت على خلافة الامويين .

وفى ذلك العصر كانت اروپا تسرح فى وادى الجهل و الضلال و تمرح بالوحشة والخمول فسطع عليها نور تلك الخلافة الاسلاميه فاهتدى اهلها به رويداً رويداً وعرفوا الطريق .

معاهدالعلم فی بغداد و بخاری والبصره کانت بعیدة عن اوروپا والبعد وطول العهد یمنعان المدنیة بما فیها من فوائد وعلوم و آداب ان تصل الی اوروپا فکانت اسبانیا هی الواسطه الوحیده بین التمدن الاسلامی والهمجیه الاورپیه ولولا الخلیفه عبدالرحمن وما سمح به من العلم وفتح ابواب معاهدالعلوم والمدارس للعموم لما وصل الینا الخیر من العرب ولما نزلت علینا برکة الاسلام بعلومه وحسناته وفوائده.

عبدالرحمن احد کبار الملوك الذین احسنوا الی الامم بهدایتهم الی المدنیه وتعالیمها فهو الذی جمع بین العلم والعمل وقرن الصناعة بالذوق وشجع الناس علی المدنیة .

فقصوره و ریاضه اکبر دلیل علی التمدن الاسلامی فان لم نقل انها اعظم اثر للمدنیه الشرقیه لابدلنا من ان نقول بانها مثال للذوق الشرقی وشبیه للعظمة الشرقیه فی قصورها وحدائقها و آثارها .

قصر « الزهرا » الذی یبعد عن مدینه قرطبه بمیلین هو نتیجة العمل بل الجدالدائم فی مدة خمس وعشرین سنه واذا اردنا ان نعین له ثمنا فی هذا الیوم فلابد من ان نقول بان قیمته تنوف علی ستة ملایین لیره انکلیزیه وقدکان فی القصر من الغرف والمساکن ما یکفی لضم ستة الاف انسان یقطنون فیه بالراحة والرفاه

اما موکبه فی ایام الصید فقد کان یبلغ عشره الاف فارس

ربما خرجنا بکتابنا هذا عما نحن فیه من البحث فاذا کان ذلك فلنخرج اذا ونقول کلمة عن عمر الخلیفه الثانی واتهامه بانه امر باحراق مکتبة الاسکندریه وجعل کتبها وقوداً للحمامات

والحدیث هو هذا کما ورد : قیل ان عمروبن العاص لما کان والیا

على مصر في سنه ٦٤١ ميلاديه احرق مكتبة الاسكندريه بامر عمر فجعلت الكتب الخطيه التي لايقدر لها ثمن وقوداً وحطباً للحمامات فكانت تحمل الى كل حمام وتحرق حتى آبادها تماماً

هذه تهمة لايسعنا القول فيها الاان نعدها كذباً وافتراءاً وهي تخالف العقل والنقل فقد كذبها التاريخ وصرح بان (جوليوس قيصر) هوالذى احرق مكتبة الاسكندريه وكان فيها اربعة اوسبعة الاف كتاب خطى و ذلك عندما هجم جنوده على تلك البلدة .

وقد تناقل هذه التهمة المورخون واحداً بعد واحد دون ان يفحصوا عن سببها اويعلموا كذبها والذى يدلنا على ان هذه التهمه بعيدة عن الحقيقة هوالدين الاسلامى وقانونه الذى منع اتلاف اواحراق كتب اهل الكتاب من اليهود والنصارى و امران تحفظ فينتفع بها المسلمون وقد نهى عن كل ضرروا ضرار خصوصاً كتب الشعر والحكمه والادب التي في يد الكفار .

ولنا دليل آخر على فساد هذا القول وهو ان ابالفرج الذى نقل تهمة احراق المكتبة كان بعد الفتح الاسلامى عدة ستة قرون ولم يذكر هذه التهمة احد قبله حتى المصريون انفسهم الذى شاعت التهمه في بلادهم لايعلمون شيئاً منها وكذا المسيحيون وان اصروا على العناد لم يذكر احد منهم حديث احراق مكتبة الاسكندريه وابادة كتبها و الدليل الثالث هو ماصرح به (سنت كروا) فقد ذكر ان خبر احراق مكتبة الاسكندريه ليس الاتهمه او خرافه .

فان احسن واقدم كتب المكتبة في الاسكندريه فقد في القرن الرابع

للميلاد ولم يوجد كتاب ينتفع به في الفتح الاسلامي .

واننا لنسخر من الكتاب والمورخيين في هذا العصر ونعجب كيف يذكرون هذه التهمه في كتبهم ومقالاتهم ويكررون القول بذلك ويسندونه وقد صرح (گيبون) المورخ الشهير بفساده ولا يوجد سند في الروايات الاسلامية او المسيحية يؤيد تلك القصه المجعولة والتهمة المردودة وقد قال (گيبون) : فلوان احراق الكتب قدوقع بايدى العرب لرأيت الفلاسفة او واحداً منهم فرحاً باحراق كتب الضلال وابادتها ولسره جعلها وقوداً للحمامات و انتفاع الناس بها من هذه الطريق ولقال ان ابادتها واحراقها هوخير للناس وانفع من كل شيء

ولنفرض ان الامر كان كما قيل وان العرب احرقوا كتب الاسكندريه اوالمسيحية اليس هذا الامر هودون عمل (الكردينال گزرمنس) اذامر باحراق كتب المسلمين بمافيهامن كتب فلسفه وادب وعلم وصناعه وزراعه وطب و تاريخ و ادعى انها كلها كتب ضلال و فساد و انها كلها شروح للقرآن الكريم فيجب ان تحرق وتباد :

ولما ذاخر بوالقصر الصيفي للامبر اطور الصيني وهد موكل اثر فني حسن اوتاريخي عظيم ولما ذالم يلمهم احد على هذه الاعمال المخجلة والمباينه للمدنية والانسانية

ان للاسلام ديناً كبيراً و ثقيلا على اروپا ففي الحروب الصليبيه تعلم المسيحيون المدنية والانسانيه لما شاهد وامن جهاد المسلمين وثباتهم وايمانهم وتفانيهم في اعتقادهم و عدلهم و استقامتهم و بذلك الدين قضوا على الضغط و البربريه والاستعباد و ملوك الطوايف فقد شاعت الحرية

والانسانيه وطردت الهمجيه والشقاء والقسوة والعدوان .

وللمسلمين دين اخر على الارويين فهم الرابطه الوحيده بين الادب الجديد والقديم وهم الذين نقلوا الحكمه و العلم و الادب الى اروپا و ترجمو الفلسفه من اللغه اليونانيه الى العربيه ومنها نقلت الى اروپا فلهم الفضل فى ذلك . فالعلوم الرياضيه و الطبيعيه والطبيه وكثير من الفنون وصل الينا ببركة الاسلام واهتمام المسلمين بنقل العلوم والاداب.

كانت «اسپانيا وكاسينو وسالرنوم» معهد اللعلوم والاداب فى ذلك العصر وان ماجاء به ابن سينا وابن رشد من علم وتحقيق وحكمة كان رائداً للامم الاروبيه وهادياً الى المدنية و دليلا على الحياة الاجتماعيه وهذا هو الذى اوقد مناراً للهدى وحث الامم على ان يقتدوا بالعلماء و يهتدو بذلك الضياء الذى علمهم السير فى البلاد ومعرفة الحياة فتعلموا الجغرافيا وعرفو المدن حتى قصدوها و حجو اليها و بذلك اهتدوا الى صحارى افريقا وغاباتها ومخا وفها فجا لوا وساحوا وعرفو اوقالوا وتعلمو و علمو و فتحو المعاهد و وصفوا المجاهل و افادو و استفاد و بفضل الاسلام واهله .

والاســلام قام فى اول امره بالعلم والادب ولم تزده العصور الا كمالا فان الدين الاسلامى كان ملازماً للادب فى ابتدائه وقد قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

« الدماغ الذى لايفكر انما هو جسم بلاروح و كذا :

«ليس الغنى بالمال انما الغنى بالعلم» وامر اصحابه ومن اتبعه بان يطلبوا العلم ولو فى الصين .

صارت الخلافه فى مدة قرون الى رجال صانوها من الفساد ونظموا

بها البلاد و قضوا على اختلاف الدين والفساد الداخلى الاهلى و جعلوا للعلم مقاماً فوق العصبية فقد ورد ان المامون الخليفه العباسى جعل «موصول النصرانى رئيساً للمعهد العلمى فى دمشق وقد لامه البعض على ذلك فقال :

« انما جعلته رائداً للعلم لا قائداً للدين» .

من الذى لا يحزن على زوال اخر اثر من اثار الامپراطوريه الاسلاميه فى اسپانيا (الاندلس) ولا يبكى على فوات المروة والفتوة ووفات اهلها ومن الذى لا يغلى صدره على زوال الشجاعة والكرم من تلك الامة الكريمه الاسلاميه وفنائها ومن الذى لا يثنىء عليها ولا يقدرها حق قدرها .

مرت على تلك الخلافة الاسلاميه ثمانمائة سنه ولم يعرف لها ظلم اوعدوان اواقل صفة للضغن حتى ان اعدائها لم يتمكنوا من احصاء زلاتها اواتهامها بالظلم .

ومن الذى لا يخجل من اعمال المسيحين التى هدمت بنيان العدل والمدنيه اى من الذى لا يشمئز مماعمله النصارى من الاعمال الشيطانية والمظالم المخالفة للانسانيه حين هاجوا وثاروا على المسلمين فى اسپانيا حتى انهم قد اساءوا الى من كان يحسن اليهم و يحميهم اذا لجاؤ اليه و يكف عنهم اذا اساؤا فقد قضوا على الانسانية والمروه بتعصبهم وجهلهم وغضبهم الشيطانى .

ومن الذى لا يرتعش اويطاطأ رأسه خجلا من اعمال الراهب «گزى منس» الذى خلط السياسة بالتعصب والجهل والعمى فقضى على الفلسفه والادب والشعر والعلم الذى اتخذه المسلمون فى سبعة قرون واحرق الكتب و كل شىء فيه فائدة و نعمة وسعادة للبشر .

يمكننا ان نعلم اونلم بما شرحه «فراير بيكن» فى كتبه فقد تعلم اللغة العربية واحاط بالتاريخ فوصف كتاب العرب مثل ثابت بن قره و الكندى والفرغانى فقد ايقنا انه يعلم العربية بقدر مايعلم اللغة اللاتينيه و عرفنا بابن سينا كاكبر فيلسوف ولقبه بامير الفلسله اورئيسها . و قدشاع ان (لردبيكن) الكبير اخذالفلسه واصول الحكمه وتعاليمها من (روجر بيكن) ولاشك فى هذا ولنعلم اذا ان الحكمة التى عرف بها ذلك الرجل انما هى حكمة اسماعيل وتلامذته و خير ابناء اسماعيل هو الحكيم محمد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم .

ولنجب الان على سؤال من يقول لما ذا عادى المسلمون اليوم الادب والحكمه وامروا بنبذ ها ؟

فنقول اولا ان هذا القول افك لاينفك عن التهمه و ثانياً انماسطع نور العلم علينا من بركة الاسلام ونوره و كيف يعادى العلم دين قام على اساس العلم وقانونه الاساسى انما هو التربية والتعليم والتهذيب ولادين بلا علم ولاشريعة بلااصلاح .

كل طفل يبلغ الخامسة من عمره لابد له من ان يدخل المكتب و ان يتعلم فى المدرسه وعلى الحكومة الاسلاميه ان تكفل ذلك كما على كل عائلة ان تعلم ابنائها وترغبهم على الدخول الى المدارس العامه والخاصه وعلى الكل ان يعلموا اولادهم اصول المعيشه والحياة و اكتساب القوت الحلال من اليمين و على الكل العمل والجهاد فى الحياة المادية والادبيه فلا يمكن للمسلم ان يعيش متكلاعلى غيره اويبيت بلا عمل فالمسلمون كلهم يعملون ويصنعون ويحرثون ويحترفون وكم من عالم عامل يعول على عمله وصناعته لاعلى دينه و المسلمون كلهم يحبون العلم و يتهافتون عليه

تهافت الفراش وهم المسئولون عن تربية ابنائهم وتعليمهم وسوقهم الى معاهد العلم والتدريس .

في مدينة القسطنطنيه كثيراً مايقع الحريق فكل ماتقضى عليه النار من مدرسة او مسجد لابد ان يعمر اما بناء المساجد وتعميرها فهو امر يختص بالاوقاف و الحبوس و اما بناء المدارس فيعهد لاهل كل محلة احرقت مدرستها و هذا ما يدل على اهتمام المسلمين بامر التربية والتعليم .

اما الفتح الاسلامى فهو اعظم شيء في التاريخ لايشابهه فتح في العظمة واى دليل اعظم من هذا ان الاسلام اليوم يمتد من جبل الطارق الى الهند و يحافظ عليه الاتراك في جهة والتاتار في جهة اخرى بعيدين بعضها عن بعض وبين هذه الجهات اوهذه الممالك الواسعة النائية المترامية الاطراف يذكر اسم النبى محمد فيصلى عليه ويعظم قدره كما ينبغى له .

هل نقدر ان نقيس الفاتحين من ملوك الاسلام بغيرهم من المسحيين او هل يوجد رجال بين النصارى مثل صلاح الدين و محمد الثانى (فاتح القسطنطنيه) اوسليمان خان (العثمانى)

الم يحصر العرب المسحيين في جبال (پيرنه) و شعوبها في اروپا .

الم يصلوا الى ايطاليا والى قلب فرانسه ؛ الم تصل فتوح الاتراك الى حدود المانيا وخليج (ونيز) ؟

تلك المجامع والمعاهد والكنائس التى كانت تمتلىء بالمسحيين وتثور بالهياج والحماس الدينى على المسلمين وتلك الاموال والنقود التى سمح بها المسيحيون لرد اعدائهم المسلمين وطردهم و تلك البحور

التى كانت تموج و تلتطم وتثور وتهيج لصدالمسلمين انما كانت امـواجاً تنطح الصخور حين تثور وتعود كمابدأت مكسورة خائبة

واعجب من هذا ركوب المسلمين البحر وحروبهم فيه وهم اهل برو جبل فاليك بعض ماذكر :

كان ركوب البحر فى زمان محمد (ص) مخوفاً الى حدان فرض الحج كاد يسقط عن المسلمين لخوفهم من البحر وركوبه ولكن لم ينسلوا الا نسلا واحداً حتى خفقت اعلامهم فى البحر الابيض فقد ملكو جزيـرة (كريت)ومجمع الجزاير و كذا جزيرة (سيسيل) (صقليه) وساردين و بعضى جزائر ايطاليا فقد صارت مقراًلهم وملكا .

غلب العرب و سادوا فى البحر الابيض وبالحرب والتجارة و ربما بلغت سفنهم الغاية وفاقت كل سفينة بالعظمه فكانت لهم سيادة البحار فى تلك الجهات .

فى السنة ٩٧٠ ميلاديه صنع الخليفة عبدالرحمن وهو اكبر من ملك اسپانيا من العرب اعظم سفينة فى التاريخ كانت تحمل البضائع الى الشرق لتباع فيه فلما وردت جزيرة صقليه وكان الحاكم فيها من قبل المعزلدين الله نهب من كان فى السفينة بضائع الجزيرة فلم يقوعلى ردها اهل الجزيرة و لما بلغ خبر السفينة المعز لدين الله جهز اسطولا عظيما لحرب تلك السفينة فحاصرها فى البحر وانتقم ممن فيها حين اقلاعها من الاسكندريه وهذا مايدل على ان للعرب سفناً واساطيل ومدنية بحرية كاملة لاتضناهى و قدوردوصف سفن العرب وعظمتها فى كتب التاريخ وربما كان صنع السفن الكبيره تقليداً للصناعة الاسپانية المشهورة بعظمتها و قدرتها علـى صنع السفن وركوب البحار ومثل هذه صنع فى زمان الملك «فيليب» الثـانى

وقد بلغت تلك السفن من العظمة غاية وصلت الى حدانها فاقت اكبر سفن الانكيز لما قابلتها وقيست بها .

و لقد ظلم كتاب الانكليز و مؤرخوهم المسلمين فى الهند اذ قاسو حكمهم بالحكم الاسلامى المغولى لاخر امپراطور مغولى مسلم فى الهند فقدادعو الرافة والمروة والعدل والحكم بالرفق للانكليز دون غيرهم واتهموا ملوك الاسلام بالظلم والعدوان وان حكمهم لايوافق الحالة فى الهند والحال ان الذى مكن الانكليز من الحكم فى الهند و سلطهم هم المسلمون انفسهم فلواننا قسنا العدالة الاسلامية بالرأفة انكليزيه فى الهند لراينا بينهما بوناً شاسعاً.

واذا اردنا ان نقيس الحكم الاسلامى بغيره فعلينا ان نقيس ملوك الهند من المسلمين بملوك اروپا من المسحيين ونقيس الحروب الاسلاميه فى الهند بالحروب الفرنسيه او الحروب الصليبيه وربما قسنا اثر الفتح الاسلامى فى الهندو مدنيته باثر الفتح فى انكلترا و غلبة الفاتحين على الانكليز السكسونيين وما فعلوا بالبلاد الانكليزيه فقد كان الانكليز انفسهم قبال الغالبين الفاتحين فى ذل وهوان لايطاق ولايوصف .

فاذا قسنا الحالة هذه بما سواها من احوال الفتح الاسلامى عرفنا العدالة والعظمة والمروة والتمدن فى الحكم الاسلامى وله اين ماكان و كيف ماصار .

وفى انكلترا بلغ الظلم والفساد حداً يخجل التاريخ من ذكره فقد كان اشد الظالمين قسوة ينصب للعدل فيحكم كيف يشاء ويظلم ويفسدو يسلب وينهب و مثله جميع القضاة الذين يحكمون بالعدل اى انهم يظلمون ولايخافون عاقبة ظلمهم والذين كانوا يؤتمنون علي اموال الناس

هم لصوص وقطاع طريق والامراء وكبار الرجال كانوا لايهمهم الا جمع المال باى صورة كان فكانو يتهافتون على المال كما يتهافت الفراش على النار وقدبلغ الفسق والفجور والفساد الى حدان ملكة اسكاتلندا والاميرة الاسكاتلنديه فرت من الفسق حرصاً على عفتها ولجأت الى الدير ولبست ثياب الراهبات ولولاذلك الالتجاء والهرب لما قدرت ان تصون نفسهامن الفجور عنفاً

وقدقيل ان تاريخ الفتح الاسلامى فى الهند مملومن القسوة والظلم والعدوان والحال ان الفاتحين من المسيحيين فى ذلك الزمان اوقبله وبعده كانوا اشد ظلماً واسوء عملا فقد جاء فى تاريخ الحروب الصليبيه انه لما هجم اربعون الف مقاتل بقيادة « گادفرى دوبيون » على بيت المقدس شاهرين سلاحهم على من فيه قتلواكل من كان هناك فما ابقوا على انسان صغيراو كبير .

ان السلاح الذى اوجب العدل والتمدن حمله لحماية الضعيف و الجبان والدفاع عن الحق ورد الباطل وصيانة العدل و استقرار الامن قضى على كل انسان من رجل وامرأة وشيخ وطفل وعاجز وضعيف ومستجير وبرى فقد قتل جميع من كان فى بيت المقدس بلااستثناء

لم يرحموا الطفل الصغير ولاالشيخ الكبير ولااشفقوا على المرأة اوالرجل فقد بقرو ابسيوفهم بطون النساء وبتلك السيوف ذبحوا الاطفال حتى امتلئت الطرق والشوارع فى تلك المدينه بجثث القتلى وصعد الانين والجزع الى السماء فكانت همجية لاتنسى وقسوة لاتذكر .

ولما فتح صلاح الدين تلك المدينه و انقذها من القسوة لم يقتل انساناً واحداً فيها حتى من المجرمين انفسهم ولما اسر المسيحيين احسن

اليهم وعفا عنهم ولم ياخذ فداء من الفقراء فقد اطلقهم لوجه الله .

ففى قبال مروة هذا الرجل الشجاع وعدله واحسانه وعفوه عند القدر تظهر قسوة المسيحيين ونخص منهم فيليب الفرنسوى وكذا ريشارد وان ادعائهم المروة والفتوة يبطل عند ذكر اسم صلاح الدين و امثاله من رجال المسلمين .

و قد كان صلاح الدين رجلا عالماً محسناً يحب العلم و العمل و الصناعة فمن اجل هذا كان يحترم المدنية والصناعة فاذا غلب وفتح لا يخرب ولا يهدم ولا يفسد صناعة اومعملا ولا يقتل انساناً ولا يضغط على اسير و ربما ضغط على نفسه او تحمل عناء وشقاء اكثر لرفاه الانسان وسعادته فكانت اخلاقه الكريمة وصفاته الممتازه بالفضل والرحمة والرأفة والعدل والمروة هي التى جعلته كريماً شريفاً عظيماً فى نفسه واعماله فلو ان احدامراء المسيحيين جعله اسوة وقلده فى مكارمه وفضائله اولو ان المسيحيين كلهم اقتبسوا منه نور الايمان والمروة والرأفة لا زال عنهم العار الذى طوقهم بسوء العمل وفضحهم فى العالم .

لاشك ان صلاح الدين كان رجلا حكيماً كريماً شجاعاً وجواداً و بعد ان عقد معاهدة الصلح بمدة قليلة توفى فى دمشق فاوصى ان ينفق من تركته على الفقراء حتى المسيحيين و اليهود ما يقوم بحاجاتهم.

اما ريشارد الملك المسيحى اوان شئت فقل البطل انما كان ياخذ المال ليصرفه على ترفه وعظمته وجبروته ومعلوم ان اخذه المال كان على حساب الظلم والجور والسلب والنهب فهو عدو العدل وخصم المروه وما

كان نهبه ينتهى لحدان يردع حرصه اويقلع طمعه و انهماكه فى اللذات و الشهوات بلغ حدا جاوزفيه عفة الملكة حليلته فلم تكفه الغفلة عنها او اهمالها بل انه هو بنفسه ساقها الى الفسق والفجور وقادها الى طريق الشهوات وهى « برن گاريا » بنت الملك سانكوملك ناوار وقدبلغ التجاهر بالفسق الى حدان قصده احدالرهبان من دير بعيد فدخل عليه القصر ووبخه ولامه على الفسق اوعلى اكراه الملكه باسم الله العظيم.

كثير من ملوك الاسلام كانت لهم همم عاليه واخلاق كريمه فقدعرف الشاه محمود الغزنوى بالمجد والعظمة وحب العلم والادب وحث الشعراء على نظم الشعر حتى تهافتت على كرمه الادباء والشعراء و العلماء فغصت قاعدة ملكه بهم فهو الملك الوحيد الذى اجتمعت فى دار ملكه نوابغ العلماء بدرجة لم يسبق لها نظير اوليس لها حتى اليوم مثل وشبيه.

محمود الملك المسلم وان كان حريصاً على جمع المال واخذه ممن قدر عليه او كسبه من الفتح الاسلامى او نهبه فانه كان يعلم كيف يصرفه و فى اى طريق يجب ان يبذل اوعلى اى انسان ينفق فكان انفاقه فى محله كما كان اخذ المال من اهله فى محله ايضاً مما عادعليه من الفتح الاسلامى و غيره . كذلك كان اربعة من اولاده الملوك يحبون العلم والادب و ينفقون على العلماء والشعراء وقد كانوا امراء ذوى شأن ولهم مكان من اللياقه وحسن الادارة والعظمة .

هل يوجد بيننا للملك محمود واولاده نظير ؟

الم يكن فى عصره الملك «ويليام ذى نورمن» واولاده فهل يقاسون بمحمود وآل محمود وهل نقدر على ذكر واحد منهم بالكرم وعلو الهمم و المروة والعدل ؟

في القرن الثاني عشر للميلاد لما فتح « لويس » الملك الفرانسوى مدينة «ويترى» امر باحراقها فاحترق فيها علاوة على الديار و الاموال الف ومائتا انسان وفي ذلك الزمان اى في وقت ملك فيه «استيفن » وقعت حروب داخليه قضت على الزراعه و الصناعة و اتلفت الات الحرث و اهلكت النسل فبارت المزارع وفسدت الاحوال و خربت البلاد و هلك العباد .

وفي القرن الرابع عشر على اثر الحروب الفرانسوية اشتد الخراب والفساد لغاية لم يذكر التاريخ لها نظيراً فعم البلاء وساد الخوف و زاد الوبال وهلك الناس .

قد قيل ان الفتوح الاسلاميه سببت الخراب والخوف فعدد الكتاب معايب تلك الفتوح و غفلو اواغفلو الحسنات او ان شئت فقل اهملو ذكر البركات والخيرات التى عادت على البشر بفضل الفتح الاسلامى و تسلط اهله .

نحن الاروبيون عندنا ادلة كثيرة على ظلم الفاتحين المسيحيين و فسادهم فلنسأل اذا .

هل يوجد خير واحد من فتحهم او هل لهم اثر من الخير و البركة ؟

فيروز شاه الملك الثالث في سنة ١٢٥١ ميلاديه في الهند ارتقى على العرش فنال شهرة واسعة في العظمه اذ انه احسن الى الناس وساسهم بالعدل والرأفة والاحسان فمن اعماله الجليلة العمرانيه انه اقام خمسين سداً على الانهار وبنى اربعين مسجداً وثلاثين مدرسة ومعهدا للعلم ومائة منزلا للقوافل وثلاثين مخزناً للماء و مائة مستشفى ومائة حماماً عاماً و

و خمسين جسراً سوى القصور و المنتزهات العامة وقد حفر « كنال »
بين نهر « جمنا » و « هسنى هسيا » فى الشعوب والجبال والاودية .

با بر اول ملك مغولى ملك الهند كان كريماً عادلا باذلا دائب العمل
وهو على تلك الاحوال كان لا ينفك عن البساطه فى كل شىء و قد اخذت
عليه عيوب فى شبابه فلما كمل وشاخ ابدلها بمحاسن تليق بالكرام و تجعله
مثالا للعدل والكرم .

قد كان بابر اباللناس رؤفاً وذوداً و صديقاً حميما يحب السلم
والحنان و يجنح للصلح فقد كان على ما هو عليه من العظمة والحشمة
والجلال متواضعاً زاهداً دمث الاخلاق معتدلا فى كل شىء حتى العباده قليل
النوم كثير المروة شجاعاً صريحاً فى اقواله و افعاله جواداً عالى الهمة ذا
فكرة حسنة يحب الرعيه الى حد العشق والهيام وكان صائغاً يركب الاحجار
الكريمه على الذهب ويصنع الجواهر والات الزينة ولم يكن من اهل الحيلة
والخدعة والخيانة .

كان بابر ذا فكر سليم وعقل وفطنه وخلق كريم وتجربة وعلم فكانت
له هذه الصفات والمكارم بالرغم من المحيط الذى انجبه و رباه فقد قيل
فى صفة المناخ الذى ولد و عاش فيه الرجل فى اول امره و فى صفته هو
ايضاً كذا :

« هواى بابر مثل نهر يمر بين الغابات والا دغال يحيط به ظل مظلم
من الاشجار المشتبكه عليه فيحدث من ذلك ظل ظليل للجنان فيمر بين
تلك الغياهب من الغابات ليسقى ارضاً ينتفع بحرثها الناس » .

هذه كناية عن مولده وما كان يحيط به من عوامل المبدأ والمحيط
والحياة القوميه الخشنه .

ولده همايون الملك الذى تنزه عن عار الشهوات ومفاسد اللذات غلب على ملكه الامير شير شاه الافغانى ثم بعد خمسة اعوام فوض الملك لابنه عادل شاه وبعد ستة عشر عاماً رد الملك الى همايون فاخذ ما غصبه منه شيرشاه وهو وان كان فى حرب دائمة مع عدوه لكنه تمكن من عمران البلاد و نظمها واعادة الامن والعدل اليها و قد فتح طريقاً كان يطوى فى اربعة اشهر بين « بنگاله » الى غرب «روتاس » مما يقر من «اندوس» و جعل فى كل مرحلة منزلا عاماً وعلى رأس كل ميل ونصف ميل حفر بئراً يستقى منه وجعل لكل مسجد اماماً وموذناً وخادماً موظفين باجور معينه و وكل بالرعيه من مسلم و كافر هندى من يقوم بامر هم و يحسن اليهم ويلم شعثهم و غرس على طرفى الطريق الاشجار النافعة التى يستظل بها .

ونرى من الزائد ان نشرح حال اكبر شاه ونذكر فضائل ذلك الملك الشجاع الحر الكريم المقدام العادل الرؤف الذى عمر البلاد ونظم الجيوش و كتب الكتائب ورتب الامور فهو الملك الكبير اوالاكبر وهو الرجل الحر الشهم الجواد الغيور .

ولا ننسى ان سر توفيقه هو العدل ونظم المدن و اقامة الامن و الاستعانه بالاحسان الى الناس فهو فى مقدمة الملوك الكبار ذوى الهمم و المكارم ومنه البركه العامة والخير العظيم للبشر و السعادة لخلق الله فى سبيل الله .

اكبر شاه قد منع العذاب الجسمى وايذاء الانسان والحيوان وحرم الزواج قبل البلوغ كما منع تضحية الحيوان عبثاً وسن زواج الايامى من الهنود

بعد موت الرجال وكان امراً يشبه المحال فان قانون الهندوسى لايسمح به ولايسيغه .

اكبرشاه ساوى بين رعاياه من مسلم وكافر ووظفهم لخدمةالدوله بلاتفاوت والغى الضرائب عن الهنود كالجزية عن الكفار و ضريبةالزوار من المسلمين وابطل استعباد الاسراء وبيعهم عبيداً واكمل كلما قام به شير شاه من الاصلاح المالى والرفاه .

اكبر شاه امر بان تزرع المزارع ويميز عامرها من بائرها ويقاس زرعها وتحمل الضرائب على مقدار ما يحصل منه وان يخير الزارع بين دفع الضريبة عن زرعه نقداً اومما يحصل منه حباً وثمراً وقدسهل للزارعين كل امر يعنيهم وابطل الضرائب و وضع الاثقال عنهم و شجعهم على عملهم بغاية الحريه فعمرت البلاد وسعد العباد وازداد الضرع وعادت الهند بالخيرات على اهلها .

وقد انتج اصلاحه المالى الاقتصادى رفاه الرعايا فقد قلت حاجاتهم وكثرت خيراتهم وعاشوا سعداء وقد وصل الينا بعض قوانينه الماليه واوامره العمرانية القائمه على حرية الناس والمشجعه لهم على الحياة والباعثه للرفاه والتمتع بالعدل والامن فراينا فيه العجب وعجبنا منه كيف فطن الى اصلاح حال الرعية وعمران البلاد وكيف استغل العدل والامن وقضى على الظلم والعدوان بفطنة ملكيه اسلاميه وقد كان يهتم بالعدل والقضاء اكثر من غيره ويأمر القضاة بالعدل ورعايته ويشرف على اعمالهم ولايسوغ القصاص الا فى الضروره ولايقتل من جسر على القتل فى الشغب والثورة والعصيان الا بعد البحث الطويل وان يكون اعدام القاتل ينتهى اليه وبامره فيرى رأيه ايجوز القصاص ام لا وهل وقع القتل لامر لابد منه سهواً او عمداً و

دفاعاً اوقصداً ثم انه ابطل قطع الاذن واليد فى النكال اوالحد .

ثم نظم الجيش وجعل ارزاق المرتزقه من الجند نقداً مسكوكاً يدفع من خرائن الدوله بدلا عن الرعايا فقد كان الجند يستوفون ارزاقهم ممن عليه ضريبة اوزكاة نقداً اومتاعاً فيظلمون ويأخذون اضعاف مايستحقون و قد بنى القلاع والحصون و ما ينفع الناس كل هذا مشروح فى كتاب سطره (بيشهاب هيبر) عرفناه واعتمدناعليه .

كانت قوانين اكبرشاه وقواعده تشمل جميع الشؤن الملكيه و العسكريه فلكل امر قانون يجب ان يعمل به ولايجوز لاحدان يحيد عنه وقد تم به النظام الاجتماعى والسياسى والعسكرى .

« بيترو دلوال» الرحالة الايطالى المشهور فى سنه ١٦٢٣ ميلاديه فى عهد الملك جهانگير بن اكبرشاه سافر الى الهند و كتب رحلته عن ذلك الامير اى جهانگير فى عهد ابيه و وصف احوال الرعيه والبلاد التى تحت حكمه فقال ان الناس فى زمانه يعيشون بسعادة وسلام ويتمتعون بنعمة و رفاه لانظيرله .

والملك سعيد بسعادة رعيته مسرور برفاهم ونعمتهم وثروتهم التى جمعها الامن والعدل وكان يلذله ذلك فلايخلق لهم المشكلات التى تقلقهم وتزعجهم ولايحكم بينهم الا بالعدل وكان حفيد الملك اكبر شاه جهان اعظم ملك سعدت به بلاد الهند واستراح الناس فيها فى هدو وسلام دائم و رخاء ونظم وامن وقدشاهد السر «توماس » ذلك الامن عياناً فى سنه ١٦١٥ ميلاديه فقال قدرأيت الثروة والمال فى محل الجيش بلا حارس فقد بلغ مقدار هكتارين من الارض مملو بالفرش والحرير والذهب و الاحجار الكريمه او انه رأى تلك الارض مفروشة بالحرير المطرز او المكلل

بالجواهر مما يدل على كثرة المال والترف والرفاه .

و شهد بمثل ذلك « تاورينه » الرحالة الفرنسوى فقال :

« ذلك الملك الذى صنع له تخت طاوس (السرير المعروف و هو اليوم فى طهران) لما توج واحتفل بتتويجه جعلوا قبال وزنه فى كفة الميزان ذهباً وجوهراً فوزعه على الحاضرين فى ذلك الاحتفال وهو على ما كان من هذه العظمة كان يعيش كاجد رعاياه ولا يرضى با لعرش الذهبى او الاحرى ان يقال كان يعيش كاب بين عائلته واهل بيته » .

كان الملك شاه جهان يدبر شؤن الملك بنفسه ويسهر على راحة الرعيه وينظم امور البلاد الهنديه بلاانقطاع والى حد لم يبلغه احد الملوك من كرم النفس والسهر على اصلاح الاحوال .

فى عهد ذلك الملك حفر «كانال» دهلى العظيم باشراف مهندسه الخاص على مردان خان و كان ذلك المخزن العظيم اكبر منبع للماء والرى ينتفع به الفلاحون فى مآت من الاميال وهو على هذه الفائده كان احسن منتزه لاهل القاعده الملكيه و كان يجرى الماء منه الى جميع اماكن العاصمة « دهلى » وعلاوة على ذلك كانت الصناعة والفن يزيدان بهجة و نضرة فكان الماء ينبع من الصخور المنحوتة باشكال مختلفة ومقادير متفاوة منخفضة ومرتفعه بعضها يصعد الى الاعلى بارتفاع عظيم وبعضها يرش ويدور ويجول ويفور من المرمر وساير الصخور .

و كانت فائدة ذلك الماء تزداد فى الحمامات والقصور فان المحمومين والمحرورين كانوا يداوون الحمى وسورة الحر بذلك الماء البارد والمبرد و كان الماء يرش كقطر الندى على الزهور والرياض فيقع منه الطل على العشب كانه اللولؤ على السندس ،

وكان الماء علاوة على قصور الاغنياء يدخل مساكن الفقراء فينعشهم ويروى عطشهم ويبردهم ويطهرهم ويدفع عنهم الاذى والوسخ ويزيل العنا والمرض .

فاذا اردنا ان نقيس الحكم الاسلامى بالحكم المدنى الانكليزى بعده لابدلنا ان نعترف بان ملوك الاسلام احسنوا الى الرعية اكثر من الانكليز على إختلاف الزمان والمكان ولابدان يعترض علينا من به مرض فيقول ان ملوك الاسلام فى الهند بما كانوا يستغلون الرعيه فيأخذون مالا يطيقه الناس وينفقونه على ماوصفنا من العمر ان فلا بدلنا من ان نجيب على هذا القول بما نحصله او نعلمه و نستنتجه من القياس بين الحكمين الاسلامى والانكليزى فنقول ان ملوك الاسلام وان اخذوا فقد بذلوا واصلحو و احسنو وعمروا واجاروا واعانوا وعدلوا وافادوا ولكن الانكليز نهبو وسلبو و اخذ وا و استغلوا و لم ينفعوا فان كان من يدعى احسان المسلمين وملوكهم قادراً على ان يأتى بالادلة والبراهين الساطعه من تلك الاعمال النافعه الثابتة الشاهدة على المدنيه والعدل فلا اظن من يدعى نفع الانكليز للهند وغيرهم بقادر على ان يدعم قوله بالدليل اويؤيده بعمل نافع يقوى به على رد نفع الاسلام وفائدته المادية الادبية .

ملوك الاسلام كانوا يأخذون ماساغ لهم وينفقونه فى سبيل الاحسان والبر والعمران فقد كان لهم ومنهم مقام العدل يحل به قضاة علماء اتقياء لايفرقون بين الناس غنيهم وفقيرهم ويقضون بالحق بلامراء والعدل هو اساس الحياة فقد كان التجار فى ذلك العصر يحملون بضاعتهم فى غاية الحرية والامن والسلامة والسعاده .

ولنقل ان النقص فى الحكم قد يبدوا فى بعض الاوقات او تحدث بعض

الزلات ولكن ممالاشك فيه ان العامة كانت تعيش في سعادة وسلامة وامن ورفاه والذى يدل على العمران فى زمان ملوك الاسلام والخراب فى زمان الانكليز هو ركود الماء فى تلك المجارى والانهار والقنوات وخراب القصور وانهدام اماكن العدل والعبادة وفساد الاحوال وزوال المدنية و العمران الى حد ان ماكان قائماً فى ذلك الزمان وشاهداً على العدل والعمران هو اليوم بائر مظلم مقفر يعيش به البوم وينعق الغراب مكان العندليب ويسود الحزن والاسف مكان الفرح والترف الا ينبغى للحكم الحاضر ان يحافظ على تلك الاثار التى دلت على المدنية والعزة والعدل والرفاه .

ولنقل ولا نخشى لومة لائم ان الملوك المسلمين الذين و صفو بالشدة والقسوة او على ما اتهمهم اعدائهم بالتوحش والاستبداد كانوا يأخذون ماقدروا عليه من الطبقات الخاصة وينفقونه فى صالح العامه ويكفلون به سعادة الناس ولكن اضعاف ماكان يوخذ بالامس يسلب و ينهب اليوم من العامة فينفق على الجيش وسلطته اوسطوته التى تؤهله للسلب وشن الغارة .

ولنقس اعمال ملوك الشرق من المسلمين فى ذلك الزمان باعمال حكامنا فى انكلتره فهل كانوا قبال ذلك الرقى والسير فى سبيل الاصلاح والعدل والعمران يبارون او يجارون ملوك الاسلام فى الشرق و هل كنا فى ذلك العصر سعداء كما كان المسلمون فى الشرق او هل يوجد دليل او اثر يدل على انهم ساروا بنا فى طريق الرقى والاصلاح ولنترك بلاد الانكليز فهل كان يوجد فى اروپا كلها اثر يشابه الحكم المدنى الاسلامى فى الشرق فاذا قسنا هذا بذلك رأينا ما يحزننا و يزيدنا اسفاً على اسف فقد كانت اروپا فى عصر يسود فيه السلام بين اهل الاسلام بحالة لاتؤصف ممايوسف عليها ويطلب لها الرحمة .

اننا نعلم ان بلاد الانكليز فى ذلك العصر الذى بلغ فيه الرقى اوج العظمه كانت لايوجد فيها حتى نهرو احد محدث اوقنال محفور لرفاه العامه .

و الطرق كانت وعرة الا ماندرفيها فقد كانت الطرق الضيقة صعبه لايمر فيهااويسير بها الافرادى الركبان و كانت اعظم المدن محرومة من مخازن الماء وتلك المدن العظيمة كانت لاتحرس باقل مايحرس به بعض قرى الهند وحومة« دهلى »عاصمة البلاد اى ان الامن فى اكبر مدينه عندنا كان اقل من اصغر قرية يملكها المسلون و يدبرون امرها .

و كنا محرومين من الامن والعدل الذى كان يمتد من اخر حـد البنجاب الى ماوراء دهلى اومن دهلى الى الله اباد فقد كان الرعايا مـن المسلمين وغيرهم يسيرون فى تلك الطرق المترامية الاطراف النائية احراراً وسعداء يتمتعون بالامن والعدل والراحة والرفاه و فى ذلك العصر كان الرجل الانكليزى لايقدر ان يسافر من العاصمه لندن الى (هايكيت) (قريه قريبة من العاصمه) آمنا على نفسه وماله فلم يكن الانكليزى فى بلادنا سعيداً بقدرما كان الهندى سعيداً وحراً آمنا فى بلاد الاسلام .

وقد حدثنا المستر « پل وپل » عن اهل بنگاله ولولا انه كان يقطن فى تلك البلاد و انه شاهد ما قال فشهدلنا بالعجب لما صدقناه و لسبنا ما كتب وحدث قصة مزوقه او رواية مخلوقه مزيفة فقد قال ذلك الرجل الصادق الشريف :

« فى الحقية ايذاء هؤلاء الابرياء اوالاتقياء ظلم بين وعدوان لايسكت عنه (اهل بنگاله) فهم يعيشون بعدل وسلام وامن ورفاه وسعادة لاتوصف ونظم واعتدال قـدعم الهند فخص القوم فهم مثال للسلامـة و السعادة والحرية .

اهل البلاد يتمتعون بالامن فى كل حالة ولا يتحدث احد عن الثروه الخاصة اوالعامة اى لايطمع احد بمال فرداوجماعة ولايحسد احدشخصاً آخر على مايملك .

فالحرية والثروة مضمونتان من الحكومة يحافظ عليهما بكل قوه والغريب اذا ورد يحفظ ويصان اكان مجرداً ام كان تاجراً يجلب البضائع ويحمل الاموال .

وكان الحراس هم الذين يحفظون البضائع و يسهرون عليها ولا يحق لهم ان يأخذوا اجراً ويسألو احداً عن حاله و ماله الااذا اشتكى و لكل بضاعة مكان او مخزن يلائمها و لكل انسان منزل على حسب حاله .

والحراس يسيرون مع القوافل من محل الى آخراومن راحلةالى اخرى ويجب عليهم ان يوصلوا المسافرين والتجار من مرحلة الى مثلها سالمين فيستلم الاخرون من وصل اليهم و الكل مسئول عن راحتهم و سلامتهم و أمنهم وسلامة بضائعهم واموالهم فاذا وصلت القافله الى جماعة الحراس يسالونهم واحداً بعد واحد عن سفرهم وماوقع لهم اوفقدوا شيئاً اوحدث لهم مايسوئهم ثم يكتبون كل ذلك فى مذكرة تحفظ ويعمل بها لدى الحاجه والبضائع تذكر فى المذكرات لئلا يفقد منها شىء اويسرق ورئيس حراس المرحله يكتب اسماء التجار او المسافرين و بضائعهم ونوعها وثمنها ومقدارها ثم يسلم ماكتب الى الرئيس الاخر فى المرحله الاخرى فيثبت ذلك فى دفتر مخصوص و يعطى صورته للرئيس الاخر بعده و هلم جراحتى ينهى ذلك الى الرئيس العام للحراس و المسافر اوالتاجر يطوف فى داخل المملكة بحرية وامان ويسهل له كل

شيء من اكل وشرب و منزل ومركب لحمل البضائع و مخزن و محل للبيع والشراواذا ارادالغريب ان يبقى فيبلدة اكثر من ثلاثة ايام فعليه ان يعلم الشرطة والحراس ليهتموابامره انكان مريضاً اوحدث لهحادث يعرقل اعماله ويمنع رجوعه الى وطنه .

ومن اعجب مارايت انه اذا وجد احد مالا اوكيساً اوشيئاً نفيساً يجب عليه ان يعلق ماوجد فيشجرة هناك ثم يخبرالشرطه بماوجد وما علق فيأمر رئيس الشرطه باعلان ذلك فيحمل الطبال طبله و يطوف و يصيح المنادى و يخبر من فقد المال انه معلق فـى الشجره فى المحل الفلا نى .

فعلينا اذا ان نقيس تلك الحاله بما كانت عليه بريطانيا مـن الحياة وان نقيس البلاد الاسلاميه بالبلاد الانكليزيه فيطول مدة ملوك الاسلام وبينهم منتفاوت بالحكم والعدل والرقى والعمران فلا بدلنا من ان نشرح ذلك اونشير الىالتاريخ بالاجمال

ففى سنة ١٣٨١ ميلاديه حدث هياج و اتيلر Wattyler و على اثر ضغط ملوك الطوايف فقد تمرد الف وخمسمائة رجل فاعدم اكثرهم بلا محاكمة .

وفى سنه ١٣٩٤ قضى على اتباع وكليف (W icliff) فقتلواظلماً و عدواناً .

وفى سنه ١٣٩٨ فى زمان الملك ريشارد الثانى حدثت ثورة فى ايرلندا سببها او امر (كل كمنى) فكان حظ الثائرين كالسائرين مـن المظلومين والمعدومين

وفى سنه ١٣٨١ حدثت ثورة اثارها ظلم الملكريشارد الثامنفيايرلندا

و سببها الاوامر المعروفه به (كلكمنى)

وهى عبارة عـن نهى الاقتران بالنساء الايرلنـديات من العنصر الايرلندى المحض فمن تزوج بامراة ايرلنديه عد خائناً و عدواً للملك ومن لبس الثياب الايرلنديه وتزيا بزى الايرلنديين اوقلد عاداتهم وتشبه بهم فهو خائن مجرم يستوجب الحبس و مصادرة الاموال و اشد العقوبات ومن عمل بقانون (بريتون) عدخائنا واستحق اشد الجزاء و النكال و العذاب ومن الذنوب التى تستوجب اشد العقوبات ماتذكره : اذا رعى الايرلنديون مواشيهم فى ارض پيل (pale) او قاربو الكنائس اوالاوقاف او دخلوا حريم الكنائس الواسع او ترهب احدهم فى الدين و لجـأ الى الديو ومن آواه كل هذه ذنوب لاتغفر و جرائم يعاقب عليها فى حال ان من اخذ الضريبه من رجل انكليزى ولو كان آثماً او مجرماً يعاقب و يعد مذنباً فالانكليزى حر فى جميع اعماله واحواله حتى زلاته وذنوبه وغيره عبد ذليل يعذب ويحرم من العدل والحنان .

فى سنه ١١٣٩٩ جبر ريشارد الثانى على الاستعفاء فخلع و اقيل ثم قتل وقد تولى الامر بولينك وغصب تاج الملك وسريره ولقب نفسه بالرابع و حرم وارثى الملك من حقهما و ارثهما وحبسهما فى قلعة و يندسور (W in Dsorcasilc)

وفـى سنه ١٤١٠ـ احرق بالنار المدعو بجان بدبى اسميت فيلد اذاتهم بالكفر وقد شهد احراقه ولى العهد هانرى الـذى لقب بالخامس بعد ذلك .

وفى زمان هـانرى الرابع جرت هـذه الاعمال و الفجايع التى نشير اليها :

كان المسجون رجلا اوامـراة يجس عارياً في السجن فلا يترك له ثوب ثم يلقى على ارض السجن بلا فراش على ظهره فتشدد جـلاه و يداه كل جارحة الى ناحيه بالحبل فلايقدر ان يتحرك ثم يطعم في يوم واحد ثلاثة اقراص من خبز الشعير بلا ادام ولاماء وفي اليوم الذى يليه يسقى ماءاً آسنا من المستنقعات حول السجن ولايطعم و يكرر هذ العمل فيوم للطعام ويوم المشراب يتداولان ثم يعذب بهذه الحالة حتى يموت فلايطلق من السجن الا الى القبر .

دام هذ العذاب المدهش المخجل الى زمان جرج الثالث و كان سنة اوشرعاً لايقوى على تركه احد ولا نعلم متى كانت آخر حالة للسجن ومتى انتهى العذاب الاانا نعلم ان المجرمين كانوا يسجنون اولاويعذبون حتى يحين وقت المحاكمه او الجزاء فيطلقون او يشنقون او يلاقون ما يستحقون .

قال المستر بريكتن (Mr . Barrinctuton) في كتابه « النظم القديمه » (Ancientstatutes) في الصفحه ٨٦ اننا نذكر نموذجاً من العذاب والنكال في زمان الملك جورج الثانى في سنه ١٧٤١ فاليكم صورة من واقعتين :

في سنه ١٤٦٨ حتى زمان كرمول كانت اوامر الملوك لتعذيب المسجونين تصدرمن البلاط ولهاصورو نسخ متعدد محفوظة في المكتبات الملكيه وفي دفتر الاوامر والنواهي وهي الى الان موجودة معروفه فاخر صورة منها وردت ودونت في ديوان الاوامر في سنه ١٦٤٠ هي هذه : كان رجل يدعى ارچر (Archer) يبيع القفافيز (الكفوف) فاتهم بانه اشترك مع الثوار الها جمين على قصر (ارك بيشاب) في (لمبيت) فعذب اشد

العذاب ليقر ويفشى ويعرف اصحابه ومن اشترك معه بالثوره و لما كان لايقدر على ذلك اوالاحرى انيقال لميكن له شريك فيالثوره اعدم بهذه الصورةانشق جسمه نصفين كما تشق الشاة وتقسم فقطع حياً .

اما الامر الصادر الى قتله بهذه الصورة فهو موجود فى المكتبة الملكيه بينالاوامر والاحكام ومختوم بختمالملك (Staep Peroffige)و كان الملك حاضراً و شاهـداً و ناظراً تعذيبه و شقه نصفين فـى اسكتلندا.

وفى سنه ١٤١٣ وضع قانون لمحاربة الكفر و الضلال وفى سنه ١٤١٥ احرق جانكيدون وريشارد نورمن بتهمة الكفر وبموجب هذا القانونفى (اسميت فيلد)

وفى سنه ١٤٤١ حكم على من نذكر اسمائهم باتهام السحر بهذه الاحكام :

« النيوركب هام » سجن و « دوچس » نفى و « بولينك بروك » شنق و بعد الشنق جرجسده على الارض ثم شق نصفين و « مارجـرى جوردين» احرق و « سوث ول» خنق فيالسجناومات وعفى عن « جان هوم » فاطلق.

فيسنه ١٤٥٥ وقعت الحروب الاهليه الداخليه باسم.

« الوردة الحمراء بين طائفتين احداهما (لانكا سترين) والثانيه (يور كيت) فالطائفة الاولى جعلت شعارها الوردة الحمراء و الثانية الورده البيضاء.

وقد انتهت تلكالحروب فيسنه ١٤٨٥ وكانت ضحاياها على ماذكر التاريخ اثناعشر رجلا من العائله المالكة و مائتان من الاشراف و مائة

الف قتيل من الطبقات الراقيه و السوقة الى حد ان المملكه خلت من السكان وبادت عائلة النجباء والاشراف من ذلك المكان.

فى سنه ١٤٧٨ قتل المتهمون بالسحرو اعدموا عن بكرة ابيهم .

فى سنه ١٤٨٤ لما غصب الملك الملك ريشارد الثالث و انتزعه من وارثه قتل ابنى اخيه الشابين كينك ادوارد الخامس وديوك اوف يورك (Dvke fyork) فى برج لندن و قتل لورد ريورز و آخرين فى قلعة پومرت كسل (Pomeretcattce) .

وفى سنه ١٤٨٥ لما توج الملك هانرى السابع اخذ اموال الناس قسراً وستبد بالامودون الپارلمان و نظارة مجلس الامه و العوام فكان الحاكم المطلق يفعل مايشاء ويحكم مايريد .

اما المال الذى كان ياخذه قسراً فقد سماه الاسعاف الخيرى وهو امر يضحك منه كل احد ويسخر .

فى سنه ١٥٠٩ لما توج الملك هانرى الثامن اعجب بنفسه فقال « لايمكن ان يهرب منه انسان فى ساعة اللذة ففى زمانه جعلت للملكيه امتيازات وحقوق فاقت كل شيء وبلغت من العظمه درجه لانظير لهافقد اخترعت هذه الكلمه « الخيانه بالنسبة الى التاج والسرير » وهى جملة لم يسمعها احد من قبل ولم يعرفها تشمل كل مايراد به الهوان والنكال و تطبق على جميع الشئون و الاحوال كلما ارادوا ان يتهموا احدا او يغذبوه .

وفى سنه ١٥٣٢ اتهم رجل بانه سم سبعة عشر انسانا فالقى حياً فى قدر اغلى فيه الماء فعذب حتى هلك .

وفى سنه ١٥٣٤ اعدم « هولى ميهاوف كنت » واحرق رجلان فى اسميت فيلد باتهام الكفر .

وفى سنه ١٥٣٥ قتل شنقاً تسعة من الرهبان باتهام انهم ما كانوا يؤمنون بتفوق « هانرى » الراهب ولا يصدقونه و ذلك فى تاى برن Tyburn وبعد ان صلبوا انزلت جثثهم فشق كل جسم نصفين

و اتهم بهذا الذنب اى عدم تصديق الراهب السرتوماس مور Sir Thesmar الصدر الاعظم فاحتز رأسه وقد اقامت هذه الحادثه القاسيه جميع من فى اروپا واقعدتهم واحدثت رعباً و اضطراباً فى كل مكان .

وفى سنه ١٥٣٦ ذبح انى بولين (Anuebobeyn)

وفى سنه ١٥٣٧ سلب ماحصل من جباليةالاوقاف المحبوس على الدين وكان مقداره ٢٦٥٣٠٠٠ ليره وانفق على رجال البلاط وقسمت المزارع الموقوفه عليهم بامر من الملك هانرى.

وفى سنه ١٥٣٨ احرق رجال من المؤمنين بالمسيح باتهام الكفر .

وفى سنه ١٥٣٩ شنق رهبان ريدنك وكلاستون برى و كولچستر باتهام انهم كانو لايقرون بان الملك هو اعظم راهب وبعد ان صلبوا انزلو فشقت جثثهم وحدثت حروب دمويه على اثر انتشار مقالات فلسفة تغيير ماهيت البابا (Trnnrsulrtaiatrour) فاعدم فيها رجال الاصلاح فى اسكتلندا (Reforrmes) وكانو سبعة باتهام الكفر فاحرقوا بالنار .

وقد وضع مجلس الامة قانوناً بان مايأمر به الملك هو قانون يجب العمل به .

ومن اعمال الجورو العدوان ابطال الرياسة الدينيه فى انكلمة و تعطيل الصوامع والمعابد و اغلاق ٩٠ مدرسه و ٢٣٧٤ كنيسة و١٠٠ مستشفى و الذى حصل من هذا العمل هـو طـرد الفقراء و المرضى و حرمان عدد كثير من المرتزقه الى حدان اكثر هم هلك من الفقر او الا لم .٠

وفى سنه ١٥٤٠ الغيت القاب امـراء هـا سپيتالر Knichts (Hnspitaller) واستخلصت اموالهم للملك غصباً و نهباً و تزوج الملك هـانرى بان اف كليوز عنفاً وقد طلقها بعد ستة اشهر و تزوج بكاترين هـوارد .

وفى سنه ١٥٤١ ذبحت مار گرت بنت جورج ديوك كلارنس كنتس وذلك فى ٢٧ من شهر مايو .

وقد كانت تلك السيدة او الاميرة تعد نفسها غير مذنبة وفى الحقيقة لم تكن مجرمه فلما قـدمها الجلاد للقتل واراد ان يضع راسها علـى الخشبة المعدة للذبح ابت وفرت فتبعها الجلاد حتى القى القبض عليها فجرها من شعرها الابيض وقتلها باشد العذاب اذانه قبل قطع رأسها ضربها حتى كسر عظام متنها وصدرها .

وفى سنه ١٥٤٢ قطع رأس كاترين هوارد .

وفى سنه ٢٥٤٢ تزوج الملك هانـرى بالزوجة السادسة و هـى كاترين پارا.

وفى سنه ١٥٤٦ قتل ان اسكيو بتهمه الكفر وقد احرق بالنار ثلاثه معها لانهم انكروا على البابا مسئلة الخبز والشراب .

وفى سنه ١٥٤٧ هلك الملك هانرى الثامن الـذى لم يشبهه احد

من الملوك فى الظلم والقسوة والضغط على الناس والجور .

وفى سنه ١٥٤٩ توج الملك ادوارد السادس فى حين غلب الفقرو الشقاء والجوع فيه على الشعب فليراجع تاريخ تلك السنه فوضعت القوانين القاسيه وحدثت الثورات وعم البلاء.

وفى سنه ١٥٥٣ توجت مارى فاعادت سلطة البابا الروحيه.

وفى سنه ١٥٥٤ حكم بالاعدام على ليدى جين گرى ولورد گيلد فور.

وفى سنه ١٥٥٥ قتل البروتستانيون بيشاب ريدلى وبيشاب لاتيمور بتهمة الكفر ثم احرقا وفى تلك السنه كفت مارى عن الاوقاف و مزارع الكنيسه وفيها زال الامن وقطعت الطرق ولجأ قطاع الطريق الى الجبال ففسدت الحال .

وبسبب ذلك الفساد حكم على خمسين رجلا بالاعدام فشنقوا فى وقت واحد فى المحكمه نفسها وكم من برىء كان فيهم او كم من برى اضطران يترك ماله ويكون لصاً.

وفى سنة ١٥٥٨ ماتت الملكه مارى عن ٤٢ سنة من عمرها ففى مدة ملكها التى لاتتجاوز خمس سنين احرق بالنار عدة ٣٨٥ انساناً فكانوا يلقون فيها احياءاً ومنهم الراهب اوالرئيس الدينى العظيم بيشاب و ٢١ راهباً و ٥٦ امرأة واربعة اطفال كماعذب الالوف من الناس بالوان العذاب الذى لايطاق وسلبت اموال الالوف من الامه ثم توجت الملكه اليزابت .

وقد حكم بالاعدام على جماعة من الكاثوليك الروحين اذا نهم ردوا حكم البابا واحرق الكثير منهم .

وفى سنة ١٥٨٦ حكم على مارى كوين اف اسكويس فى فوتر

نكلي كاسل بالاعدام اولاثم ابدل الحكم بالسجن مدة ثمانية عشر سنه فلما دخلت السجن كانت شابة جميله و لما خرجت صارت عجوزاً عرجاء .

وفى سنه ١٥٨٨ اشتد الضغط على الايرلنديين الكاثوليكين.

وفى سنه ١٦٠١ ماتت كوئين اليزابت فى ٢٤ مارس وقد بلغت السبعين فتوج جيمس الاول ابن مارى كوئين اف اسكاتش فصدر الحكم بالعفو العام عن الاهمال الدين وقد هاجر البيورتيون الى امريكا

وفى سنه ١٦٠٤ . ضغط جيمس على « پرس بى ترانيزم » اى الحكم الفردى للرهبان .

فحبس عشرة منهم و نفى ثلاثمائه من الطبقه الثانيه و سن العذاب والضغط على من بقى منهم . ووضع قانوناً لعذاب السحرة.

وفى سنه ١٦٠٣ الف جيمس نفسه الذى عذب السحرة كتاباً فى السحر والجن وطريق تسخير الجن واداب و كيف يجازى الجن او كيف تحل ارواح الجن فى الاجسام وقد شرح ذلك فاطنب.

وقد بحث مجلس العوام عما جاء فى ذلك الكتاب من الاوهام فقرر ان يعمل به اذعانا لسلطة الملك والذى يحيد عنه يجازى بالعذاب و اعجب من هذا كله ان يحكم على ثلاثة الاف ومائه و اثنين من السحره اوممن اعتقد بهم بالاعدام والنفى الى جزاير بريطانيا وكان منهم امراة عجوز قتلت صبراً بتهمة السحر فانها اتخذت رقية لثلاثة من الاطفال فحكم عليها القاضى الكبير « پيل » بالاعدام .

ثم بعد ان قتلت احضر الشهود فاعترفو بسلامة الاطفال وصحتهم و ان الرقيه لم تؤثر عليهم بسوء ولكن الوقت قد فات فقد قضى اولا و احضر

الشهود بعد تنفيذالحكم !

وفى سنة ١٦٥٣ توفى جيمس الاول وقدبلغ عمره ٦٩ سنهفتولى الملك ابنهشارلالاول واخذالضرائب بالسجن والعذاب واشتدالضغط على الناس فساءت الحال .

وفى سنه ١٦٢٩ سن الملك جيمس استبداده واقتداره بصورة قانونية لايتخلف عن رعايتها احد وسمىذلك الظلم والعدوان عدلااودار العدل فمن الظلم الذى سماه عدلا اربع قضايا جرت فىذلك العهد فهى نموذج العدل الاستبدادى واليك صورة منها .

١- پريم كان محامياًفالف كتاباً للقضايا والدعاوى توهم منهاالملك مخالفة السلطه الملكيه فغضب وامرباعدام الرجل شنقاً وطبقاً للعدلفى « وست مينستر چيب سايد » وقبلالشنق قطعت اذناه فعلقت احدىاذنيه فى « وست منتسر» و الثانيه فى « جيب سايد » ولما فعل به ذلك ابدل الشنق بجريمة نقدية قدرها خمسة الاف ليره والسجن الدائم.

٢- كلنل « بى بورن » اتهم بتاليف رسالة تحث على الثورة فقدم ليحلف وكانت سنة الحلف ان يسأل الانسان فيجيب اويعترف بالذنب و ولما ابى ان يقر بالذنب ضرب بالسياط وفى حين الضرب كان يلهج بظلم الحكومة فخنق و اعدم تحت السياط قبل ان يحاكم او يثبت عليه جرم .

٣- ويليامز بى شوب العلامة الشهير الراهب المعروف كان يعظ فاتهم انه اساء الى الراهب الاكبر « ارك بىشوب » فهاج ضغنه وحسده فاخذت منه جريمة نقديه قدرها عشره الاف جنيه و عزل عن مقامه الروحى الدينى .

وليتهم اكتفو بذلك فانهم لما ارادوا مصادرة امواله واخذ الجريمه من كتبه و اثاث بيته وجدو كتاباً فى مكتبته من « اوسبان ديس تون » فقرروا ان تضاعف الجريمه فاخذوا منه ثمانية الاف ليره اخرى علاوه على ماقرروا قبلها.

و كان كاتب ذلك الكتاب مديراً لمدرسة الراهب فالقى القبض عليه واقيم بين جذعين علق من اذنيه بينهما بالمسامير و نصب عبرة للناظرين ثم اخذت منه جريمة نقديه قدرها خمسة الاف جنيه فهذه اربع قضايا للعدل فى ذلك الزمان .

وفى سنه ١٦٤١ حدثت ثورة فى ايرلند اقتل فيها اربعون الفامن البروتستانيين .

وفى سنه ١٦٤٢ وقعت الحروب الاهليه .

وفى سنه ١٦٤٩ قبض على «چارلس » بتهمة الخيانة والظلم والقتل وقدم لحكم «كرمول » فحكم عليه بالاعدام وقطع راسه فى « هويت هال » وتم الحكم لكرمول .

وفى سنه ١٦٥٦ . اعلن ان كرمـول اصبح « لورد پروتكترر » فاحتفل بذلك واعدم من خالفه و عاداه بلامحاكمة وقد جىء بعدد من الاسارى وفيهم خمسون رجلا من النجباء فنفوهم جميعاً الى « باربادوز» ثم صاروا عبيدا فباعوهم هناك .

وقد جازى من اقترب اوصاحب السلطان قبل الثوره بالاعدام فاعدم كل من فاه بحب الملك اوقال كلمة عنه اواتهم بذلك .

ثم ان الحكم قسم بين القوادالعسكرين فى اربع جهات فكان الحاكم

العسكرى المطلق يفعل مايشاء ويحكم مايريد ويقتل على الظن والشك والتهمه فلنعد الى الحكم الانكليزى فى الهندفاننا لما غلبنا على تلك البلاد فعلنا ما كنا نفعله فى بلادناممام وصفنا واشد من ذلك ففى عزل «ميرقاسم» عن الحكم فى بنكاله عبرة لمن اعتبرو اليك الخبر: وقدكتب « كليو » ما هذا نصه :

« لابدلى من القول بان ماوقع فى بنگالـه بعد ان تولى الحكم فيها ميرجعفر بامر من اولياء الشركة الانكليزيه كان مثالا للفوضى و الظلم والشر والغدر والعدوان لم يشباهه حكم فى العالم كله وفى التاريخ فهو الحكم الوحيدفى بنگاله فقد بلغت الضرائب فى بنگاله وماحاذاها «بهار» و «ارسا » ثلاثه ملايين فى السنه و لما عاد مير جعفر بالحكم المطلق الاستبداد والضغط والجور ضاعف الضرائب حتى صارت نهباً وسلباً فقد شن الغاره على الامراء والسوقه واخذالمال من كل مالك وفلاح وزارع و تاجر وقد اصبحت التجاره بيد الجلاوزه من اتباع الشركه الانكليزيه يدبرونها بالغاره والضغط ويسلبون باسمها ماقدروا على اخذه من كل شى بكل صورة حتى ساءت سمعة الانكليز و مقتهم كل هندى مسلم او غير مسلم الى حدان كان اسم كل انكليزى يقرن باللعن والشتم والويل فعم البلاء وزال الرخاء وسادالجور والظلم والشقاء .

وكان الجلاوزة بامر الشركه يتدخلون فى كل امر يخص الحكومه فيعزلون وينصبون ويطردون وينهبون ويسلبون ويأخذون عن كل امر مالا ويجبرون الحكام على اطاعة امرهم واتباعهم بالجور والعدوان .

على اثر ذاك الظلم والبلاء حدث الغلاء وعض الجوع الناس فهلك الحرث والنسل وقد وصف « اللوردلورن واليس» الحالة فى بنگاله فقال

ان بنگاله على ماجرى فيها من الظلم و العسف سارعت الى السقوط و الفناء واننا نكتفى بما ننقله عنه من بعض الكلمات :

« اننى مجبر على القول بان الحالة فى بنگالة انتهت الى الفقر و الخراب والجوع والشقاء والويل والوبار .

فقد خلت الديار من السكان و ابدل العمران بالخراب و الفناء و بارت المزارع و بطلت الزراعة والتجاره ولم يبق من يقدر على المعيشه بالعسر الابعض طبقات « الشيف » و« البنين » من المشمولين القاطنين فى القصور والمدن الكبيره ويتبع هذا الشقاء الحكم والسياسة وسوء الادارة منا وفينا (اى نحن الانگليز) و ان كان الناس هنـاك يستحقون ذلك لخمو لهم وفتورهم ولكننـا نحن الانگليز المسؤلون عن سياستهم سببنا كل ذلك .

وربما جهلنا الحكم وسوء السياسة فى بلادنا فغفلنا عن سوء العاقبه وبهذا الجهل سدنا تلك البلاد فجرى الظلم هناك وعم الويل و الخراب و ساد الشقاء والدمار وكان اول ذلك هو تعارفنا واتصالنا بنواب « اود » فى محل حكمه و ملكه فكان ملكه لنا جيفة اكلنا ها وقد قال المستر « هستنگس » لما كان حاكماً مقتدراً فى الهند و هو الذى سبب الوبار والدمار :

من المحزن المؤسف اوالمخزى ان الذى اخاف محالفيننافى الهند من الضغط والجور اوشدة الحكم والرعب من سلطة الجنود وقوتهم قد عرقل الامراء عن ان يسعوا الى ماينفع البلاد اويشجع الناس على اكتساب المعيشه والاقتصاد اواحياء الزراعه والصناعة و التجاره فقد خاف الامراء صولتنا و هابوا جيشنا و تبعهم السوقة فالكل يائس خائف وجل اوحائر .

فقدكان الجور والظلم منا (الانكليز) و اتباع الشهوات وشن الغارات هو الذى افسدالجيش واولعه بالطيش حتى خاف منا كل من كان يلجأ الينا ويعتمد علينا فبهذاساءت سمعةالانكليز وفسد حكمهم فى تلك البلاد وضج من جورهم حتى الذين عولوا على صداقتهم .

كل انسان كانت له صلة بناكان يحاذر منا بدلا من ان يعول على صداقتنا فقد اعتبر بمن كان صديقاً لنا قبل ذلك ثم اصبح مغضوباً عليه فلاثقة لاحد بنا ولا اعتماد علينا.

« ولنا دليل آخر على فساد حكمنا فى الهند اوفى حكومة «اوداً» المذكوره وهو ماكتبه ذلك الرجل الذى اشرنا اليه وذكرنا جملة من كتابه فقدنبهنا (اى الانكليز) على سوء اعمالناوفساد حكمنا وقداستشهد هو بماكتبه المورخ حل فقال:

كانت مملكة « اود » قبل تسلطنا عليها فى نعمة ورفاه و سعادة لاتوصف وكانت الضرائب تجبى بغير عنف من اهلهاوهم فى يسر وقدبلغت ثلاثة ملايين جنيه اى ان من كان عليه مال كان هويؤدى ماعليه طوعاً و رغبة وعن يسار ورفاه فلماصارالحكم الينا تعسرو تعذر ذلك حتى صارت الضرائب تجبى بالسيف فكان الجيش ينتقل من محل الى آخر ليحصل على مايجبى بالقوه والقسوه و ربما اضطر الجيش الى الحرب و الهجوم حتى تقطعت تلك المملكة اربا اربا وصارت « اود » قفراً وتحملت اشدالمصائب والبليات و بعدعدة سنين كان يحصل لنا من المال نصف ذلك المبلغ الميسور اى نصف ثلاثة ملايين ولكن بالضغط والرعب والعذاب ثم خربت بعدذلك البلادوعوضاً عن انتزداد الجباية قلت الى ان بلغت ثلاثمائه واربعين الف جنيه وذلك بعد تسعة اعوام .

ثم قال المستر « هستينك گی » وكانت رواتب الجيش والامراء و الموظفين و المنتدبين للخدمة وعمال الشركة الانكليزيه تكلف نواب « اود » مالا يطيقه فقد كان يبذل ذلك متذمراً خائفا حتى سبب الضغط والعنف جلاء الوطنين من اوطانهم وتركهم بلادهم رهبة لارغبة وخوفاً من ازدياد الجور والعدوان وكانوا ينظرون الينا بعين ملئها العداء و البغضاء و يمقتوننا اشد المقت فانهم حرموا بسببنا من خيرات بلادهم ونعمها وافتقروا فاضطرو الى الهجرة وترك الاوطان .

و من العجب اننا كنا ناخذ مصارلف الجيش و الامراء و جميع الموظفين و العمال حتى عمال الشركة انكليزيه من حكومة « اود » و رئيس الوزراء الذى يدير الامور و يدبرها فلو ان سائلا سال : باى حق تاخذون ذلك المال من رئيس الوزراء اى بواسطته من اهل البلاد و تنفقونه على جيشكم بحجة حماية البلاد واهلها فهل نقدر على اجابته ام هل يسوغ لنا اخذ ذلك المال ام هل لاهل البلاد نفع باحتلالنا ام ما الذى يسوغ لنا احتلال بلادهم واخذ اموالهم وادعاء حمايتهم من عدوهم ونحن اشد عليهم من كل عدو قريب وبعيد فكاننا نقول لهم : انتم لاتحتاجون الى جيشنا ولا تعولون عليه ولكن يجب عليكم ان تنفقوا عليه من اموالكم وهو يقيم فى بلادكم بالرغم منكم

المستر « هستنكس » كان يصرح بالذى لايقدر على ان يكتمه ولكنه كتم عنا كثيراً من الحوادث التى وقعت فى زمانه واوان سلطته و اخفى مالا يبوح به من الوقايع اوالفجايع ولكنه باح بهذا فقال : اى حق لنا فى اخذ مال نصرفه على جيش لاينفع صاحبه بل يضره « فصور لنا شدة الحكم والظلم بهذه الكلمة »

ثم اشتد ذلك الحكم بعد مستر « هستنكش » فقد خلفه عليه گورن واليس وضغط على الناس واخذ من « النواب » اضعاف ما كان ينفق اويدفع فكان يتذمر من ذلك و يتحمل حتى نفذ صبره .

ثم زدنا النفقة على جيش لا ينفع اهل من حل بينهم فبلغت الزياده مائتين وخمسين الف جنيه ثم زدناها بالف ثم زاد ذلك اللوردتين موت وضاعفه سرجان شور وزاد عليه اللورد « ولسلى » فى سنه ١٨٠١ ثم غصب نصف املاك النواب التى بلغ حاصلها مليوناً وثلاثمائة الف ليره لانه امتنع عن اداء ثلاثمائه الف ليرة زيادة على النفقه ومما انتهى ذلك حتى بلغت الضرائب اربعه ملايين جنيه وزادت على ذلك بكثير و قداعترف اللورد « بنكتن » ان ما اخذ من النواب المذكور ومازاد على اربعة ملايين انما اخذ اعانة للجيش لاغصبا فعوض النواب عمااخذ منه ومن اهل بلاده بلقب «شاه» وردت عليه بلاده و لكنها اصبحت ارضاً قاحلة لا يرضى بخرابها حتى اليوم ولا ياوى اليها احد .

و لنكمل التاريخ ونتم الفائدة فى ذكر حقيقة الحكم الانكليزى فى «اود» فنقول :

ان اشد ظلم ارتكبه الانكليز فى «اود» هو ان اللورد «دالهو» اعلن نقض العهد بينه وبين حكومتها فقد قال ان الاتفاق والمعاهدة التى عقدت بيننا و بين حكومتها لا اثر لها بتاتا ولو انها احيلت الى المحكمة العليا لما اقامت لها وزنا فكانها لم تعقد ولم تكن .

وكانت المعاهدة ابرمت من قبل اللورد «اركلند» امير امراء الهند الاكبر فى ذلك الوقت وصدقها وامضاها ثلاثة من رجال الشورى على حسب ماقرر فى ذلك العصر ثم اعلن عنها فى سنه ١٨٣٩ و ١٨٤٧ وقد سجلتها الحكومة الانكليزيه فى كتابها الازرق و بالرغم عن كل هذا نقضت عنفاً

وقد عرضت تلك المعاهده فی سنه ١/٥٧ على العلامة المشهور-
المستشار القضائی فقال عنها مايلی :

بالرغم من البحث والتنقيب فقد طالعت اوراق المعاهده التی ابرمت
فی سنه ١٨٣٨ و صدقها المستشارون فقد رايت نقضها والغائها لايجوز
لنا ولايسوغ لامير الامراء فی الهند ان ينقضها اوينقصها اولايعمل بها

ثم علاوة على لوم ذلك العلامه وعذله كتب احد الكتاب العصريين
عن تلك المعاهده فقال :انها كالالواح العشرة ، ای يجب احترامها كمايجب
احترام الالواح المذكوره وان من نقضها والغاهامهما بلغ من علو المقام يعد
لصاً بالفطره فكاننا سوغنا لامير نا السرقة وشن الغاره وقطع الطريق اوعلى
الاقل اطلقنا يده للنشل وقدقال المستر كای:

بقيت مملكة :اومقاطعة اخری كان على الامبراطورية الانكليزية
ان تبتلعها برمتها وان تسوغ لبالهوزی اللورد اين يضمها الی ممالك الامبراطور
ويفخر بفتحها عنوة ويعدها بلاداً مفتوحه فان اهل تلك البلاد وبالاخص
الامراء منهم كانوا اصدقاء الانكليز وكانوا ينفقون على الجيش البريطانی فهل
يعامل الصديق الا بمعاملة العدو وهل تعد تلك البلاد مستقلة و قداخذنا منها
كل شئی حتی ان عساكرها انتظمو فی جيوشنا وقدقضينا على استقلالها فی
حال كانت يوجد فيها وارث للملك بموجب القوانين الاسلاميه فان الذی
يرث السرير فی العائلة المالكه لابدان يكون ابنا او اخاً اواحد الاقربين و
وقد وجدالوارث حياً يرزق فحرم من السلطان وورثه الانكليز وربما كان
ظاهراً ملك هناك يكتفی بالجلوس على السرير و لكن الانكيزهم الذين
اجلوه ومتی ماشاؤا انزلوه و حكومة بريطانيا القاهره والخاضع لها كل

احد اوكل شئى تحكم باسم ذلك الملك الذى لايستطيع ان يحكم على نفسه اويملك ثوبه وهذه المملكة المحرومة من الملك وحكمه هى مقاطعة « اود » التى سبتنا بخيراتها وكثرة حاصلاتها ومنابعها الغنية الطبيعيه اسمعوا وافهموا ياملوك « گروتيوس و پوفندرف و واتل » و يا اظلال الله اى سلاطين تلك الديار الذين جعلهم الله ظلا لاهلها ثم تفكروا بماصارت اليه عاقبة امركم والى الله ترجع الامور

لاشك ان الامراء الثلاثة كانوا يعدون من المحسنين او على الاقل من المنصفين واليك صفاتهم : فقد كان اللود « كورن واليس » عادلا و اللورد « تين موت » مؤمنا تقيا واللورد « ولسلى » نجيبا وعظيماً وشريفاً .

والحال ان الملك اوان شئت فقل السياسه لاعلاقة لها بالعدل والدين والشرف فلم يجد حلفائنا من اهل « اود » اثراً لتلك الصفات ولم يمتعو بها بل ابتلاهم الله بضد ها .

و قد شهد بذلك المستر « دونداس » الذى صار لورد ملويل بعد حين فقد قال فى خطابه المعروف فى مجلس الامة ماهذا مجمله :

كانت فى بلاد الهند اربعة مراكز للقوة تتشابه وهى: ممالك مهراتا . ومستعمرات حيدرعلى ومستعمرات نظام حيدر آباد و مستعمرات راجه برار . علاوه على تلك الحكومات كانت توجد مراكز اصغر منها للحكم الهندى كنواب «اركوت» وراجة تنجور وامثالها فالمراكز الاربعة المذكورة ثارت علينا تماماً . اثنان منهـا اعلنا الحرب و اثنان استعدا للحرب و ثارا و قد حق للكل ذلك .

و قد كان فى بمبى امير يدعى « راگوبـا » يحكمها بقوة اراد ان يضيف الى ملكه مقاطعة او ممالك مهراتا فاعتمد على الانكليز واتكل

على الشركة الانكليز به وعقد معها اتفاقاً على ان تمنحه تلك الامارات ليضمها الى ملكه فيمنحها هو قبال اسعافها اراضى هناك كانت تطمع بامتلاكها فتوافقا و مدته الشركه بالمال والرجال ففاز بما اراد و وفى لهاما وعدبه ومن المضحك ان الشركه عقدت عين المعاهدة مع راجه برار « و هو مودكى بنسلاه » بان تولية ولايات « مهرتاها » فيولى الاراضى المطلوبه واكثر فسلطت الشركه اميرين او ملكين احدهما امير بمبى و الثانى ملك كلكته على الامارات المذكوره وفى اثناء العمل اوالحرب او شن الغاره اكتشف ملك كلكته المعاهده مع امير بمبى فاعترض على الانكليز تزويرهم وخداعهم واحتيالهم وعد ذالك العمل غارةاوسرقه يليق باللصوص .

وقد اتفقت الشركة اوان شئت فقل اتفق رجال الانكليز مع نظام دكن وهى الاماره الواقعة شمال مستعمراتنا و اهلها يبغضوننا اشد البغض وكان يجب علينا ان نعاملهم بالرفق واللين فعاملناهم بضد ذلك واسوء منه والاتفاق هو ان يعطى الشركة بعض المقاطعات فاعطاها و وياخذ عوضاً عن ذلك مالا يستوفيه كل عام فاخذت الشركه الاراضى ولم تعط المال ولم تف بماوعدت فقيل ان الانكليز لا يعرفون الشرف والعدل والقانون ولادين لهم ولاايمان ولايستحون من الله وعباده فدعا نظام دكن جيشه المعروف بكتائب حيدرعلى و استعد للقتال وقال : مادام الانكليز يملكون اويغصبون شبراً من ارض الهند يجب علينا ان نحاربهم و نقلعهم و ندفعهم لان تسلطهم اضر بالعدل والامن ولايامن احد منا ماداموا فى ارضنا .

فاذا علمنا بهذا كله و ايقنا ان ما ذكرناه انما هو بعض الاسناد الملكيه الرسمية المدونه فى خزانة الدوله والمصرحه بتلك الفضايح فلا

بدلنامن ان نقر بان ماكتبه رئيس الوزراء العثماني معترضاً به وناقما كان حقاً وصدقاً لايلام عليه فقدارسل مذكرة الى السفير الانكليزى فى القسطنطينيه وهو السر روبرت انسلى و قد قرأ تلك المذكره المستر گرى النائب فى مجلس العوام فى سنه ١٧٢٩ فى ذلك المجلس وهى مصرحة بالاعتراض على التسليح الروسى والاستعداد للحرب وقد قال النائب فى اخر خطابه ما هذا نصه او بعضه :

كنا عزمنا على ان نسعف و نساعد محالفيننا الاتراك ولكنهم ضلوا عن سواء السبيل . انهم استدلوا على تركنا والانفصال عنا بمذكرتهم وليت شعرى هل انا مخطئ فى عملى فيجب ان الام عليه ام مصيب ! و لكنى تعبت كثيراً حتى تمكنت من تحصيل بعض المعلومات و اهمها حصول نسخة من مذكرة رئيس الوزراء العثمانى و اليكم نصها او خلاصة منها :

كتاب الدولة

« المولى المعظم يحارب لنفسه و يسالم لنفسه ، له ان يعتمد على غلمانه و خدمه ورعاياه ، هوعالم بايمانهم و قدجرب فضلهم وتقواهم فقد حق له ان يتكل على و فائهم والوفاء قدزال عندكم من اروپا وطرد ونفى بتاتاً . فلنفرض ان جميع المسيحيين يصدقون اذا عاهدوا او يفون اذ واعدوا ولكن الانكليز من بينهم لايصدقون ولا نعتمد عليهم . الانكليز يشترون جميع الناس عبيداً ويبيعونهم عبيداً . الدولة العثمانيه لاتتصل بكم او بدولتكم او امتكم اقل اتصال وليس لها علاقه بملك انگلتره . متى استشرناكم فى امر اومتى اعتمدنا عليكم اواردنا اسعافاً منكم اورأيا يدلنا على الخير ؟ نحن لانريدان تتدخلوا فى شؤننا ولا نعدكم

أصدقاء لنا ولا نعتمد عليكم ، ليس لنا سفير عندكم ولاوزير ولا مفوض ولامخبر يخبرنا باقل الاحوال ؟ ما الذى سوغ لكم ان تعرضوا علينا تدخلكم فى امرنا او توسطكم بيننا و بين روسيه بما يعود نفعه علينا ! لاى امر والحال انكم تعدون المسلمين كفاراً تريدون ان تخدموا امة كافرة وامبراطوراً كافراً و مانفعكم باسعاف الكافرين ؟ نحن لا نريد صداقتكم ولا مساعدتكم واسعافكم ولاغيرتكم علينا ولانحب تدخلكم فى امورنا ؟

انكم تحترمون رئيس الوزراء عندكم وتبجلونه الا تعلمون انه يريدان يشغلكم بامور تلهيكم عن كل شئى فان له اراء شيطانيه مقرونة بالظلم والعدوان وامتكم اقرب منها الى الاستعباد من الحريه فهى فى غاية البساطة اوالبلاهة سريعة التصديق و كثيرة الطاعة و قد قيل لنا ان الذين يحكمون تلك الامة الخاضعة هم رجال لايعرفون من الاحوال غير جمع المال فان صح ما اخبرنا به فانهم سماسره تجار يطمعون بالثروه و يفضلونها على كل شئى و انتم (الانكليز) تشترون ربكم وتبيعونه ، معبودكم دينار كم والوزارة عندكم وعندامتكم هى التجاره لاغير .

فلا شك انكم فى تدخلكم تريدون ان تبيعونا الى الروس ! لا حباً ولا كرامة ، اتركونا وشاننا . اذاكان القضاء يعمل بنا ما يشاء فا تركونا لنستقبل القدر ليقضى الله امراً كان مفعولا ولا مرد لقضاء اراده الله وقدره فالله ورسوله يحكمان لنا او بما ارادا و نحن لانرد ما امرا به .

الامة العثمانيه لاتعرف الحيلة والمكر والخداع ولايهمها ان يقال انها لاتقيم للذوق والظرف وزناً فهى على خشونتها و شدتها وصراحتها اكرم من المسيحين الذين وصفوا بتلك الاخلاق اى التزوير والتزويق والخدعة والمكر .

نحن لانستحي من ان نكون على غاية الشدة من الصراحه والصدق والوفاء و بيان الحقيقة و لو انجذبنا الى العتاب و لكننا نستحي من ان نكون كاذبين خادعين خائنين مراوغين . ان اضطررنا الى الحرب سلمنا امرنا الى المشيئة الازليه الابديه وهي مشيئة الله تعالى مرت علينا الاعوام بل القرون و نحن في عزة وقدرة لاتنكر . وكانت لنا القوة والسلطه على العالم كله وفي البسيطة ولابد لنا من ان نفخر باننا غلبنا على فساد الامم المسيحية و قهرناها وقد كانت موصوفة بعيوب لانقدر على شرحها فغلبنا على نفاقها وفسادها واختلافها وشقاقها ومحوناه بالقوة وملكنا بالعدل والايمان .

نحن نعبد الله حقاً و نؤمن بماجاء به رسوله محمد (ص) و نعمل باحكامهما وانتم تدعون ان لكم رباً ولكنكم لاتومنون به ولاتعبدونه و لاتؤمنون بابنه الذي تعتقدون انه اله معبود ومع انه الرب الثاني هو النبي المرسل فهو الله وهو رسول الله في كل حين وحال . نحن لانعتمد على امة تسئى الى دينها بدلا من ان تحسن اليه وتذله ولا تعزه . فقدت الصدق والايمان والفضل والاحسان و عزلت القول والعمل عن الصدق والاخلاص و جردته من التقوى والفضيله .

اذا طالعتم دفاتر الملوك المسيحيين واحطتم علماً بالكتب والرسائل التي ترسل الى الملوك و يشتكي فيها الناس من الظلم والعدوان و اذا اطلعتم على المراجعات بين الملوك وقضاياهم و وقايعهم و حروبهم ومشاجراتهم و مباحثاتهم فلابد لكم من ان تعترفو ابانهم كلهم يخونون و يخلفون الوعد و يغدرون ويكذبون ويكفرون ولايعتدون بالشرف والصدق والايمان .

والامة التركيه لاتخلف عهداً ولاتنقض قولا ولاتغدر ولاتخون فهل علمتم لها غير هذا شأناً يصفها بالكذب ؟ ماذا نقول لكم او كيف نذكر

كم وانتم لاتذوقون للفضل طعماً ولا تعرفون للتقوى لوناً كانكم قدجبلتم على الغدر .

مولانا المعظم ليس له اى علاقه بدولتكم ولا يودان يرتبط او يتراود معكم البتة :

اذا اردت ايها المخاطب ان تبقى عندنا جاسوساً منقباً او كما تدعى انت سفيراً فالا حرى ان تذهب بهذه السفارة الى الامم المسيحيه و تعرض عليها المساعدة فاننا لانحتاج الى مال تذلون انتم لحصوله و تحقرون لكسبه وانفاقه فتنفقون بعضه لتاخذوا اضعافه نحن لا نريدا اسعافكم البحرى ولاالبرى و لا نعتمد عليكم بالمشوره ولا نحب تدخلكم اوتوسطكم بالامر ولم يامرنى مولاى بان اشكرلكم استعداد كم للاسعاف والمساعده و كمالا يسوغ لى ان اشكركم على عرض - المساعدة البحريه يجب ان اعد ما عرضتم علينا من الاسعاف والتوسط نوعاً من الفضول لامن الفضل لم يخطر للباب العالى ان يسمح لسفنكم ان تجرى فى بحارنا فهذا محال لايخطر بالبال والذى يجب ان تعملوه قبال روسيه لايهمنا ولا يعنينا ونحن ادرى بما يجب ان نتخذه قبال روسيه من حرب اوسلم اوماينبغى لها ولنا بموجب شريعتنا وسياستنا و ديننا ونحن اجدر واقدر بان نفعل كل مايجب ونتم الامر .

ان لم تكونو على ماقيل انكم شرأمة مسيحيه يبغضها الناس فعلى الاقل انكم اقوى على الشر من غيركم واقل حياء وشيمة لانكم تعرضون علينا انكم تجبرون روسيه على الصلح والسلم وتدعون انكم و حلفائكم اقدر واشد بأساً وان القوة والعظمه لكم ومنكم وفيكم ونحن نعلم انكم لا تقدرون على هذا فلاشك ان الذى جسركم على هذا الادعأ هو

زوال الحياء والذى حثكم على الكذب واجازلكم ان تدعوا ما ليس فيكم هوالذى اسقطكم و فضحكم وهذاالادعاء اوالعمل والاقدام هوالذى يذل مجلس الشورى عندكم ويحقره ويفضحه عندنا والذى تعرضونه عليناالايعتنى به احدولا تعتد به دولة او حكومة كيفماكانت فكيف بالباب العالى والدولةالعثمانيهالتى عركتكم فعرفتكم .

اما الوزراء هنا فقد سمعواكل ماقلتم و جربوكم مراراً فايقنوا ان كل اعمالكم الشيطانيه لاتخلومن الفساد او يقرن فيها الفساد بالجهل والعناد .

اماصاحب الجلالةالسلطان لايسعه ان يراقب اعمالكم و دسائسكم وانتم امة تخونون وتنقضون عهودكم مع اهل مستعمراتكم كلما اقتضت منافعكم وهذا ديدن الامم المسيحيه ان تبيع رعاياها قبال المال كالبضائع والذى نعلمه عنكم انكم اذا عاهدتم اوابرمتم صلحاً فانما تكيلون لكل من يعاهدكم على قدرالمال الذى تاخذونه منه وترتشون به .

الدولةالعثمانيه و وزرائهاطالمااستمعوا وانصتو لاقوال الاروبيين و استشاروهم و كلما عملو ابارائهم فشلوا وضلوا والاحسن ان يقال كلما أعتمد واعلى الاوبيين باعوهم من يدالى يد . بناء على هذايجب ان تتجنبوا التدخل بيننا وبين روسيه وان تكونوا على الحياد .

اماغرضكم فانه خلق الدسائس والفتق فاذا احدثتم فتنة جنحتم الى الصلح واذا صالحتم خستم ونقضتم عهدكم فانكم تنتفعون بحربكم كما تربحون بسلمكم نحن لا نريدان نعاملكم فى بيع و شراء سياسى مجازى ولانحب تجارتكم لان تجارنا خسروفى تجارتكم من طرفيها البيع والشراء فهى بائرة خاسرة عندنا وعندالامم .

ليس لكم دين الا النفع والهكم هو الطمع والحرص فان ادعيتم انكم تدينون بدين المسيح فان ذلك ستار لاعمالكم تكتمونها كيفما شئتم وتسترون بها نفاقكم . لا نصغى الى اقوالكم ولا نرغب الى استماع قول او نصيحة بناء على هذا لا ننتظر ردكم علينا ولا نستلم الجواب ولا نهتم به . (تم)

واذا اردنا ان نعلم مقدار تاثير الحكمه الاسلاميه من القران فى نفوس المسلمين لا بد لنا من نقل خلاصة كتاب « اوبى سرنى » الذى الفه عن تركيه فى سنه ١٠٥٥ ونختم به كتابنا هذا .

الصدق والحقيقة

ان اسواق تركيه ذوات السقوف الواسعه هى محل اختلاف و اجتماع امم شتى و ان البضائع والصنائع التركيه تعرفك بالامة التركيه او الانسان التركى ، فالمسلم التركى يجلس فى حانوته مجاوراً للارمنى المسيحى او اليونانى فى غاية الوقاو والمتانه والاطمينان والايمان لا يدعوا احداً و لا يلفت نظره شئى فهو هادى مطمئن فى وقت يدعو فيه زميله من يمر عليه اى ان الارمنى او اليونانى يصيحان بمن يمر فى السوق ويجلبانه ويقولان امثال هذه الكلمة : هلا ، هه ، چلبى ، كاپتن ، مستر ، فيزعجان الناس والمسلم لا يلتفت الى احد فهو يدخن نار جيليته او يعدخرز سبحته ويقلبها بين اصابعه . فاذا قابله الانسان و هو على تلك الحال و ساله عن ثمن البضاعه اجابه بكل ثبات و وقار بان الثمن مثلا : خمسون او مائه غرشاً فاذا اردت ان تحاوره او تقلل الثمن اجابك هو هذا لا غير ويعود الى تدخين ناجيليته ولا يعبأ بك .

فالمحاوره والمذاكره لا تنفع ابداً وهو لا ينقص شيئاً من الثمن ولا يخفض فلساً

أما اليهود والنصارى فهم ليسو كالمسلمين في الصدق والحقيقة فانهم يخفصون في المائه عشرين ثم اربعين ثم ستين فتبلغ المائه اربعين فلساً وهو اقل من نصف الثمن فاليوناني اوالارمني يرضى بثلث الثمن واليهودى يرضى بربعه والمسلم لايرضى الابتمامه وهذا مايدل على صدقه و امانته و اخلاصه .

والتركى لايخون ولايقدر احد على اجباره بالخيانة و هو على هذه الصفه يعد جميع الناس مثله فلا يكذب احداً اذا بان كذبه واذا حلفت له صدقك . ذهب ضابط الى السوق ليشترى ثوباً قد اشترى مثله صاحبه بالامس فسال عن التاجر الذى باعه فدلوه عليه و لكن تلك البضاعة قد نفدت فذهب الى غيره فطلب منه ثمنا اكثر من الاول فاراه نموذجاً من ذلك و قال اننا قد اشترينا الثوب باقل من هذا الثمن فكلفه التاجر ان يحلف ليصدقه وقد اراد الضابط ان يعرف ما يعود عليه من القسم فحلف انه صادق فقدمها البائع بلا ارتياب .

وقد قال المسيو اوبيسنى : انني موقن بالاعتماد على صدق قول الانسان وهذا ما يسرنى بان الاعتماد هو الذى يبين الحقيقه والصدق ولا اعلم بالذى يحث التاجر عندنا على الذل والتحبب حين يشترى مناشيئاً وعلى التواضع والملق حين يبيع. هذه صفة وعادة توجد عندنا ولا توجد فى البلاد التركيه .

ان التاجر التركى اذا اراد ان يشترى بضاعة لايكلف نفسه ولا يتعبها بالاصرار والخضوع واذا اراد ان يبيعها لايصر على المشترى ولا يلح عليه ولايرغبه و يقول لنفسه ان باع مثلها جارى وزميلي اليوم فان لى غدا وحسبى الله فاذا سمع صوت المؤذن قام وصلى فى حانوته ثم يسجد طويلا ولايعبأ بمن مرو لايلهيه شئى عن ذكر الله كانه بعيد عن الغوغاء او كانه يصلى وحيداً

في الصحراء واذا ذهب الى المسجد لم يغلق حانوته بل يتركه على ما فيه تحت رعاية العامه وحراستهم .

في هذه البلدة العظيمه اى قسطنطينيه لا يجهل احد ان الامن بلغ حداً لا يوصف فان التجار واهل السوق يذهبون كلهم او اكثرهم في ساعة معينة الى الصلاة في المسجد و يتركون الحوانيت و محلات البيع مفتوحه مملوة بالبضائع و ان ابواب البيوت تقفل ليلا باقفال خفيفة ضعيفة يقدر كل سارق على فتحها بلا اعناء وعلى كل هذه الاحوال فقد وقعت اربع سرقات في مدة سنه لا اكثر من اربع .

اما في « بيره » و كلاته وهما بلدتان مسيحيتان ففي كل يوم يحدث اربع سرقات و جنايات منها القتل . وفي البلاد اسلاميه كلها نرى الامن والعدل كما نراه في العاصمة نفسها وقد كتب رحالة انكليزى الى جريدة ديلى نيوز ماهذا نصه :

بالامس اكترينا من رجل بلغارى عربة تجرها الثيران فحملنا عليها ما كان معنا من لوازم السفر والحياة كالصندوق والمحفظة والفروة واسباب السفر و الثياب وغير ذلك شيئاً كثيراً . ولما سرنا و مررنا على محل يباع فيه التبن و الشعير مكثنا قليلا لنستريح و نعلف الاثوار فرافقنا رجل تركى مؤدب وظريف للغاية فحملناه معنا على العربة باجرة ولما وصلنا الى السوق انزل صاحب العربه ما كان معنا من متاع واثاث و وضعه في زاوية من السوق ثم ذهب لشأنه واطلق ثيرانه واخذها معه ليريحها ويعلفها و بقينا نحن الاروبيون وقد اراد التركى فراقنا فراى حيرتنا في امر المتاع و ماذا ينبغي ان يعمل به ومن يبقى منا لحراسته فعجب من شاننا وقال اتركوا متاعكم واموالكم هنا واذهبوا بسلام فلا يجسر احد على ان يسرق منها حتى

شعرة واحده ولما كناقد اعتمدنا عليه واعتقدنا انه ثقة يصدق قوله تركنا بضاعتنا وتوكلنا على الله وذهبنا كلنا لنقضي حوائجنا فلما رجعنا وجدنا ها كلها سالمة على ماقال لنا ذالك التركي المسلم واكرر ما قال فانه لمارای حیرتنا و اضطرابنا سألناعن ذلك فقلنا اردنا ان نعين واحداً منا لحراسة اموالنا وحفظها .
فضجر وقال: اواه ، لوبقيت اموالكم هنا اسبوعاً لما نظر اليها احد. فليعلم صاحب الجريده ان الحراس هنا في يقظة وان الناس في بلاد الاسلام في امان ورفاه وهذا مايجب عليكم ان تذكروه في صحفكم وفي مجامعكم و على رؤس الاشهاد وفي اوقات الخطابه و اماكنها وان تذكروا المسحيين في لندن بالامن في العالم الاسلامي وتخبروهم بان مارايناه انما هو في اليقظه لافي الحلم والنوم .

وامانة الحمالين في البلاد الاسلاميه هي خير من معاملة التجار واقرب للديانه من الامانه عندنا . الحمالون هنـا يحملون البضائع من السفن الى محلات المكوس بلا مراقبه اوحراسه فلا يسقط منها شئي ولا يفقد . هذا الذى اكتبه اليكم اخبركم به انما هو صحيح لاشك فيه و هذا مـا رايته في بلاد عرفت بالصدق والامانه و في امة هي المثل الاعلى للامانة والصدق والشرف والتقوى .

ومن اعجب مارايت ان احد تجارنا كان يقيم في القسطنطينيه و قد حمل يوماً كيسافيه الفاغرش من النقود التركيه فانخرق الكيس وسقطت النقود في الطريق بين محله و محل المكوس واخذت تتدحرج و تسقط في البحر على طول الطريق فمكث وحار في امره وفي جمعها اوالحصول على بعضها فجمعها له كل من مرهناك على اختلاف المارين في الفقر والغنى ثم رايت البعض يرمي بنفسه في البحر فيغوص ويخرج مـا استقر في قعره

فجمعت تلك الدراهم بايدى الناس و وضعت فى كيس فحمل الى محل التاجر فلما استقرعدها فلم تنقص حتى غرشاً واحداً .

المروة والرفق

انما اهملناه من امور الدين وماغفلناعنه من احكام الشريعه المسيحية هو الذى اسقطنا فى هوة الشقاء فانا تركنا العمل بالقواعد الدينيه و اصول الانسانية التى و ردت فى دين المسيح واتخذنا اضدادها مما يعود علينا بالوبال والدمار ويبعدنا عن السعادة فى الحياة وهذا هو السبب الوحيد او اكبر سبب لبغض الاتراك لنا فانهم يحسبوننا كفرة فجرة و يسمون بلادنا بلاد الكفر واذا اشارو الينا قالوا : الاروبيون ملحدون لادين لهم ولاايمان و هذا العداء اوتلك البغضاء لا يحثان الاتراك على ايذائنا او تعذيبنا فهم كرام اتقياء . ولى ادلة كثيره وامثلة و قصص تدل على انهم بريؤن مما اتهموا به من الضغن والعدوان وان دعوتهم الى الدين الاسلامى لاتقترن بشده اوعنف اوضغط وامتهان وهذه التهم بعيدة عن الدين الاسلامى و روح الاسلام مجرد ومنزه عنها و عمل المسلمين قبالنا ابان كذب من اتهمهم بالشدة والعداء .

ولا توجداى قوة فى العالم كله تقدر على انتزاع الدين الاسلامى من التركى فهولا ينصرف ولاينحرف عن دينه وبما انه ثابت عليه و مصر على حفظه و ابقائه لايسوغ لنفسه اجبار من يدين بدين اخرعلى ترك دينه فهو امين على دينه ويحب الامانة لغيره على ما اودع عنده من الدين فلايزعج احداً ولا يقلقه

فاذا احسنت الى التركى وتحببت اليه واراد ان يشكر لك ذلك قال شاكراً و داعيا بالخير وهذا نموذج من دعائه : جعل الله عاقبة امرك خيراً

ومعنى هذا الدعاء هوان يوفقكالله الى الخير والصلاح ويهديك الى الاسلام فتكون مسلماً مويداً مسدداً . وفوق هذا كله هوان الانسان لايجوز له التعدى عن حدودالله والخروج على قدرته وسلطانه فقدقال علماء الاسلام :

« ان الله يهدى من يشاء » اى ان الهدى والايمان بيدالله عز وجل لا بيدالانسان فيجبر عليه من يريد وقد قال العلماء ايضاً :

احسن الى الناس واعرض عن الجاهلين .

التعذيب والاكراه على الدين لايجوز عندالاتراك المسلمين و ليس له اثرمن قبل ومن بعد و ربما جاوزت المروة حدها فقد فتحت البلاد التركيه الاسلاميه ابوابها للمعذبين بايدى النصارى اللاجئين اليها فقد فروا من القتل والضغط اوالعذاب ولاذوا بالمسلمين من ظلم المسيحيين فانظروا الى التاريخ يشهدلكم بذلك . فى القرن الخامس عشر لجأ الى تركيه الوف من اليهود الاسرائلين فقد فروا من الهلاك والعدوان فى اسپانيا والپرتقال و قدمرت اربعة قرون على اللاجئين نسلا بعد نسل واحفادهم اليوم يعيشون بسلام فى بلادالاسلام ولكن امثالهم من اليهود فى بلادالمسيحيين عاشوا بجدال ودفاع ونضال وقتال فالمسيحيون ونخص منهم الكاثوليكيين كانوا يظلمونهم اشدالظلم و يعذبونهم اسوء العذاب حتى اليوم . اتعلمون مكانا فى بلادالمسيحيين يخلو من هذا الجور والعذاب فنقول باستثنائه واليوم فى اتينا اذا حل عيدالمسيح لا يقدراليهودى على الخروج من داره الى الشوارع والاسواق اما فى تركيه اذاظلم احدالمسيحيين يونانياً كان او ارمنيا احداليهود لابدله من حماية المسلمين وله ان يراجع محلات الامن فيشكو و يطلب الاسعاف اوالحماية . كل الشعوب على اختلاف اديانها تعيش فى كنف حكومة السلطان بسلام وامان ويسير الناس صفوفاً مختلفين

بالاديان والالوان ومتحدين بالنعمة والحياة متمتعين بالعدل والامن والاحسـان .

نعم ان المسجد ارفع واعظم واكرم من الكنيسة والبيعه عند المسلمين وفي بلادهم ولكنهم يحترمون المعابد ويقدسونها ولايمسونها بسؤ . اما المذهب الكاثوليكي المسيحي في قسطنطينيه و ازمير فهو اكثر حرية و احتراماً منه في « باريس » و « ليون » وليس للمظاهرات الدينيه حدولا تحبس عبادة الله في المحراب فلاتتجاوز غيره من اماكن العبادة اي ان الناس احرار في دينهم فاذا مات غير المسلم شيعه اهل دينه صفوفاً يسرجون السرج و يحملون الشمع و ينشدون الاذكار والادعيه والاوراد و اذا جاء العيد خرج الرهبان من الكنائس بالاعلام والصلبان وطافوا بالشوارع والطرق يحيط بهم الحرس ويفسح لهم الناس الطريق ويسهلون لهم الطواف ويعينونهم على ذلك بماقدروا عليه من مروة ورفق واحسان .

وقد قيل ان المسيحيين في البلاد الشرقيه لايزالون يعيشون بحماية او رعاية من الدول الاروبيه فالكاثوليكيون في الشرق تحميهم فرانسه والنمسا واليونانيون تحميهم روسيه والبروتستانت يحميهم الانكليس فلنسلم اذاً و لكن هل لليهود من يحميهم ؟ فلا شك ان حرية الاديان في بلاد المسلمين يحميها المسلمون انفسهم . وقد حكى ان يهودياً كانت له بغال يكتسب بها في الموصل فاتهم انه سب النبي فهاج الناس وثاروا وقضوا عليه و قدموه الى الباشا حاكم البلاد . فلما نقل الناس للباشا فحشه و شتمه غضب و تقهقر و صاح :

« لايمكن لاحد ان يقول مثل هذا ولايغضب عليه الله او تخسف به الارض فلايمكنني ان اصدقكم بان يهودياً مكارياً يقدر على شتم النبي

الاسلام ولا يجزيه الله اويعاقبه على الفور و بلا مهل و لايجوز لى أن اجسر على الله فاعاقب عدوه بما هواقدر عليه منى او اتدخل فى امر اختص به الله وهو على كل شئى قدير وبهذا الحكم خلص اليهودى من الناس وخلص نفسه . هذا مثال للمروة والرفق والعفو والتساهل الدينى (Tolerance) . وكم فى فرانسه من يتعصب ويعتمد على ادعاء (اوكسبورك گزت) و اتنزا و بزور) يومياً فيصدق مايكتب وينشرفى تلك الصحف عن اتهام تركيه بتعذيب النصارى اواقل من ذلك ان الاتراك يعذبون كلاب المسيحيين فيربطونها من الاربع بالمسامير ويثبتونها فى الارض و كذا يصدقون الروايات الفكاهيه والقصص فى التمثيل فمنها ان سلطان المسلمين يمر على جماعة الغلمان فيختار اجملهم و يلقى عليه منديلا علامة الاختيار و كذا يفعل بالجوارى والنساء والبنات فينتخب لنفسه من يشاء لمايشاء وكذا يدعون ان السلطان يامر بان توضع الجارية المغضوب عليها فى كيس فيخاط وتلقى فى بحر البوسفور! ان تركيه لم تسمح ولم ترض بالشده عوضاً عن التساهل الدينى الاحين احست بان التساهل قداضر بها و ان ذلك التساهل صار نكالا للناس وشغلا شاغلا للدوله فقد جاوز الدعاة من المسيحيين حدهم و آذوا المسلمين بالحاحهم . الدعاة الروحيون من المسيحيين (لازريست) ظهروا الاول مرة فى تركيه فى سنه ١٧٨١ ميلاديه واحسوا ان الدعوة الدينيه انتجت نتائج حسنه واثمرت ثمراً نافعاً فى « لوانت » و بعض المقاطعات المجاوره و ان المواطنين هناك لايعارضونهم ولا يمنعون دعوتهم فهم احرار فيها و قد جدوا وثبتوا وا دا موا الدعوة ولاشك ان تلك الحريه حصلت بفضل الرفق والمروة والتساهل الدينى والعفو . اتعلمون ان اول من اعطى مدير مدرسة البنات المسيحيات التى كانت تدعى باسم الاخوات اومدرسة الشفقه والحنان

علامة الاسعاف هو رجل مسلم تركى فساعد البنات الفقيرات المسيحيات وان «اوجيب افندى» احد رجال الدوله المسلمة التركيه انفق على المسيحيات فى سنه ١٨٤٤ فالبروا لاحسان عند الاتراك المسلمين هو افضل الاعمال و إكرم وظائف الانسانيه وقد قال شاعرهم .

افتح باب دارك للفقراء والمساكين فان ذلك عند الله خير من تعمير المساجد وتاسيسها والبر والاحسان خير من الصيام الدائم والحج المكرر والاعتمار. والاتراك يعتقدون ان البر و الاحسان هما جزء ان من اجزاء الدين الاسلامى والذى لايتصدق ولا ينفق لايعد مقصراً فى دينه بل يعد كافراً غير مسلم لان الزكاة والخمس والاحسان من اصول الدين تجب على المسلم كما يجب الصوم والحج اوتجب الصلاة .

اما انا فلم اعرف من الرحمة والمروه والرفق والحنان وحب الخير والبر والاحسان واسعاف الانسان غير ماعلمته فى البلاد الاسلاميه و ماعمل به المسلمون واجازوه حتى لاعدائهم وافادوا به من خالفهم بالدين والاعتقاد حتى انهم جاز وا حد الاحسان و وصلو الى التفانى والايثار و تقديمهم من يستحق الاسعاف حتى على انفسهم فهم يتسابقون الى الخيرات و يتعار فون بالتقوى والاحسان ولا ينحصر البر بالاسعاف فان منه تعبيد الطرق و تسهيلها و مساعدة المسافرين والعابرين من اى قوم وباى دين فعمل الخير فى فتح طريق اوبناء محل عام لاينحصر بامة دون غيرها و يعم الاحسان الجيران و يشمل الحيوان فالرفق بالحيواق واطعامه و اسعافه برلاينكر .

اما ماذكره المسيو « ببسينى » عن الكلاب فقد اوضح ذلك فقال : كثير من الكلاب التى طردها الاور بيون التجأت الى البلاد الاسلاميه فعاشت فى اقصى المحلات من المدينه وهناك اناس عرفو بالبر والاحسان كانوا يقومون

بالانفاق ويكفلونها فاذا ولدت الانثى حملوا لها الطعام والقوت واسعفوها وحفظوا صغارها من الحر والقر وا عجب من هذا ان بعضهم يوصى قبل موته بانفاق بعض مايترك على تلك الكلاب وغيرها من الحيوانات البائسة التعسه . نعم ان المسلمين يستنجسون الكلب كالخنزير ولكن اذا عاش الكلب فى بيت من بيوتهم لا بد لهم من الانفاق عليه والارفاق به وكذا كل حيوان داجن .

ان الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم امر بالبر والاحسان وعد ذلك خير صفة يمتاز بها الانسان و افضل اخلاق المسلمين هو البر و قد عمم ذلك حتى شمل به الحيوان .

اننى لا اعلم قوماً يبارون الاتراك المسلمين بحبهم للخير ورفقهم بكل ذى حياة واحسانهم للناس اجل انهم الاتراك المسلمون الذين نعاملهم بالشر ونقابلهم كما نقابل الوحوش الضاريات !

الباب الثالث

و فيه فصل واحد

التهم التي رمي الاسلام بها هي اربع .

١ـ قيل ان الاسلام دين ما انزله الله وانما جاء لامر بشرى

٢ـ قيل ان الاسلام قام بالسيف فسفك الدماء وابتلى الناس بالشقاء

٣ـ قيل ان المسلمين طمعوا بلذة الجنه وراحتها

٤ـ اتهم المسلمون باتباع الشهوات في تعدد الزوجات واننا ننقض ما قيل وننقض من قال وندفع التهم والاكاذيب بالتي هي احسن

التهمة الاولى

اما النبي عليه الصلاة فقد كان منزهاً من حب الذات وهذه حقيقة لا تنكر انه لما استقر دينه واستمر حكمه لم تتغير حالاته ولم يزد على البساطة شيئاً فكان كما بدأ اول مرة اما حبه للنساء فقد كان ميل العرب الى النساء وتعدد الزوجات غير محدود وكان ذلك الميل غريزة جبل عليه العرب و طبيعة البلاد و تاثير المناخ هو الذى سوغ لهم ذلك الميل ولكنه صلى الله عليه حدد الزواج وجعل له شروطاً وتمتع هو كما كان يتمتع الناس وهو كما جاء في القران بشر مثل الناس و اذا قسنا الرسول الاعظم بداود النبي الملك الذى قيل انه « قطعة من الثلج علقت في معبد الديان » راينا النبي العربي اطهر و اعظم واتقى وانقى .

ميشل البنت الثانيه لشاعول كانت تحت داود فلما غلب داود على امره غلب على امراته فبانت واغتصبت منه فاقترن بعدها بعدة من النساء

واحدة بعداخرى واراد رجوع زوجته الاولى فاخذها من زوجها الشرعى عنفاً و كان زوجها يحبها وتحبه فتبعها و بكى خلفها كما يبكى الطفل على فراق امه . داود اقترن بابنة احدالامراء و كان الامير غيرمختون و اتخذ داود المومسات وتمتع بنساء غيرشرعيات وزنى بامرأة محصنه (نعوذبالله- المترجم) كماجاء فى قصة (باب شيبا) و سبب ذلك الزنى قتل البرى .

ولما كبر داود و شاخ كانوا يثقلونه بالثياب ليقوه من البرد فكان على كثرة الثياب يشكو البرد ففكرو ابان يقرنوه بفتاة تضمه للتدفئه فامرهم باختيار اجمل و احسن فتاة فتمتع بهـا فلنسأل اذا هل كانت تلك الاعمال مشفوعة بالعفة والطهاره والتقوى ؟

وليعلم كتاب المسيحيين العجزة الضعفاء الذين يفترون و يقذفون و يتهمون اشرف انسان جاء لاصلاح العالم انهم كما جاء فى المثل المعروف .

من سكن فى بيت بنى من الصرح والزجاج لايحق له ان يرمى بيت جاره بالحجر اى انه اقرب للقذف والخطر . (حافظنا على نقل القول تماماً وان اضر بالبعض - المترجم)

اما اقتران الدعوه الاسلاميه بالسيف والقوه فهو امرضرورى و قد كان موسى عمل بذلك من قبل فقاد بنى اسرائيل وساد بالقوه ولم نعلم بان احداً ينقد ذلك العمل او يعده سيادة ملكيه قامت على حب الذات و اتباع الشهوات و غايتها العظمة والكبر واللذة والرياسه فقدجاء موسى بامر (يهوه) اله اليهود وبلغ رسالته بالقوه فساق بنى اسرائيل من مصر و نجا هم من العذاب

وبلادالعرب تعددت فيها القبائل واختلفت وتشتت ومحمدصلى الله عليه واله و صحبه اراد ان يجمع القبائل على كلمة واحده ويؤلف بينهـا

و يوحدها بدين واحد فكان نبياً وقائداً و هادياً ومصلحاً و قد نزهه الله عن حب الذات وطلب الجاه فما لتلك التهم اقل قيمة اواثر .

وقد زادت التهم بمالانقدرعلى ان نشير اليه من الكذب والافتراء فقد قيل ان رسالته لم تخل من ذلك ولاشك ان رسالة محمد (ص) اختصت بالتوحيد والتوحيد هو ماجاء به عيسى اولا فانقلب الى غيره وقد قامت رسالة النبى العربى على العدل والعدل اكبر و اعظم شئى امتاز به الدين الإسلامى واختص به نبى الاسلام .

و لنترك الخدعه لاهلها ولنكتف بان مـا جاء به محمد هو محو الوثنية واثبات الوحدانيه . و ان رسالته جاءت لتحطيم الاصنام و تعظيم رب و احدانكره عباد الاوثان فى بلاد العرب و غيرها فلاشك ان تلك الدعوة مجرده من الكذب والرياء ومرسلة من الله الواحد الذى يريدان يعبد فاى شئى ينكر من تلك الرساله اوباى دليل نعتقد انهـا غير منزلة من الله او انها غير سماويه والحال انهاهى من الله و هى كل ما يحب الله فهو يحب ان يعبدوان محمداً صادق فى رسالته وما اوحى اليه

ومما لاريب فيه ان محمداً هو الذى بنى التوحيد على اساس عبادة رب واحدلاشريك له وقدانهدمت اركان الوثنية وبادت الاصنام الى حد لا يرجى لها العود وليس لها اثرفى جزيرة العرب فقد قضى عليهـا و الحال ان المسيحين عادوا فاتخذوا الاصنام والازلام وجسموا المسيح ونصبوا الصليب فما تحطم صنم الاو نصب اعظم منه فبهذه البدعه والضلالة تاهو فى وادى الضلال وعادوا الى الباطل والعمى .

ولم يكتف محمد (ص) بابادة الاوثان وتحطيم الاصنام وهدم اركانها ودعوة الناس الى التوحيد و عبادة الله بل سلك سبيلا اخر ينتهى الى السعاده و

دعا الناس اليه وهداهم ونجاهم الا وهو الاصلاح الاجتماعى وتهذيب الاخلاق وانقاذ المجتمع البشرى من الشر والشقاء . فرتب الاعمال ونظم شؤن الحياة وقام بالعدل والاحسان واجبر الناس على اتباع ذلك وعلمهم الانسانيه و المدنيه و اوجب اخلاق الحسنه ونهى عن السيئات و جعل لها حداً و قد نزل القرآن بكل هذا مبينا ومؤكداً وآمراًونا هياً وهذا امر لاينكر و قد صدقه اعداء محمد كما صدقه اوليائه .

و اذا طابقنا اوامره و تعاليمه الدينيه مع عادات العرب او ما اقتضاه المناخ وماجبل عليه قومه واذا قرأنا شرائعه وعلمنا سننه و جدنا فى كل ذلك لذة تدرك ولا تخفى على من اراد ان يتمتع بها فان جميع ماجاء به صريح فى بيانه واضح فى حجته وحكمته بارزة ليس فيها اقل ابهام او ايهام بل هى الهام صريح وامر صحيح لايعتريه ريب . اما الذى عابه المسيحيون و انتقدوه او كذبوه و سخروا منه هو المعراج لاغير و قصة المعراج هى اقل من خرافة المسيح التى لايقبلها العقل الصحيح فقد قيل ان الشيطان اغواه و استهواه فى الصحراء (انجيل متى) وهذا ماورد :

« صعد شيطان المسيح به مرتين الى قمة الجبل فاراه جميع مافى العالم من سلطان واقتدار وعظمة و جبروت »

الايسوغ لنا ان نفسر المعراج بهذا التفسير فنقول : المراد من البراق هو البرق اى حركة وسرعة شيء كالبرق الخاطف واما السلم فيمكن ان يقال هو النور الذى بان لمحمد فكانه صعد به وبجريل الى العالم الاعلى و كل هذا يحمل على الفكر والخيال الذى طاف به فى السموات حتى اقترب من العرش فكان قاب قوسين اوادنى وان صوت الديك الذى يلذ للانسان هو صوت العباد فى صلاتهم وتحياتهم و كذا ماجاء من صور اخرى.

ثم اننا نسأل بغاية السذاجة والبساطه عن امكان الاستعارة والتشبيه الذى يميل اليه المسيحيون انفسهم فهل الاستعارة خيرام المبهمات التى جاءت فى كتبهم والتى يتعب الانسان فى فهمها اوحل المشكل منها.

لماذالايسوغ لمحمد (ص) ان يعتمد على الاستعاره والكناية فى حكاية المعراج وقدساغ لنبى غيره ان يترك الاستعارة ويعتمد على الخرافة والباطل الذى جره الى المشوره مع « اهاب » فخدعه وغره فقدجاء :

«قال الله تعالى . هو يقدران يقنع « اهاب» فيحذر من السقوط فى « راموت جليد » ثم قدجاء وكان هناك جنى فتقدم امام الله ووقف وقال : انااقنعه . فساله الله باى شيء تقنعه وترضيه فقال الجنى انااتقدم و اكون روحا كاذبا فاكمن فى فم جميع الانبياء فقال الله تعالى : انت قادر على اقناعه و انت ناجح فى عملك فالى الامـام تقدم و افعل ما انت قائم به .

وقد جاء فى العهد الجديد . ينبغى ان نعتذر بمثل ما جاء فقد قال المسيح :

هو راح وهو سبيل وهو اعتدال !

(اى الله) وكذا قال : الخبز والخمر هماجسمه ودمه (اى الله).

وعلى هذا نقول ان المسلمين قبال النصارى ما اعتمدوا على الخرافات المضله بل قالوا بالاستعاره واذا اغلق عليهم باب طرقوا الاستعاره ودخلوا منها وقد حق لهم ذلك فى عالم الادب الذى امتازوابه وليس هذا بامرخطيرو الذى ينشر الحكمه ويعلم الامة لابد له ان يخاطبها بلسانها ويستعير لهاما تركن اليه وتعتمد عليه وهذاغير تلك الاستعارة التى يفسر فيها القسيس

قطعة من الخبز فنجعلها رباً او نبياً او يجعل الرب خبزاً وخمراً فيبدل الحقيقة بمجاز لا يعقله العقل والذوق واين هذا مماقاله محمد (ص) انه لم يصنع للامة العربيه ديناً جديداً بل انماجاء ليعيد الدين الحنيف الذى جاء به ابراهيم واسماعيل وهو دين العرب القديم الذى اوحى الى ابراهيم ولكن العرب خالفوه وقالو انماجاء محمد بدين جديد مصنوع وفى الحقيقة ان كان دين محمد هوجديد بتعاليمه المدنيه والاخلاق الشريفه فيجب ان نقول كل من دين موسى وعيسى ماكان ديناقديما انماهومصنوع ومجعول كما جعل الدين الاسلامى ولكن الحقيقة هى ان دين موسى هودين آدم ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب واسمعيل وهوعبادة الله الفرد الصمد والايمان بتعاليمه والعمل بفرائضه فكما ان موسى وعيسى اتبعا الانبياء فى عبادة الله اتبعهما محمد ومن كان قبلهما كابراهيم و اسماعيل و جدد دين الانبياء و جاء بالشريعة السمحاء وقد كان دين الانبياء من قبله هو اصلاح المجتمع الانسانى وسعادة البشر وتهذيب الاخلاق وحفظ النظام واقامة العدل و الاحسان فقد امرنا المسيح بهذا ان نحب الله والجار اكثر من كل شىء

هذه هى شريعة الانبياء وهذا هوالدين الحنيف الذى جدده محمد (ص) وهو دين موسى وبنى اسرائيل وعبادة رب واحد ابدى ازلى وحب الناس والرأفة بهم .

بناء على هذا نقول ان المسيح نفسه ماجاء بدين جديد انما جدد دين موسى وامر باتباعه وزاد على ذلك اموراً ادبيه معنويه تختص بالاخلاق وامر بالعدل والرأفة والاحسان والتساوى بين الناس وهذامالا يرفضه حتى الجاهل ولا ينكره اشقى الناس واتعسهم وان لم يعمل به. ومن هذه الجملة نفهم بعض ماجاء :

« كونوا مع الناس كما تحبون ان يكونومعكم »

وعند مابعث المسيح كان يهود (جوديا) يعيشون بشقاء وتعاسةفقد ساد الظلم وزادالجور وغلب الطمع وشاع الكبر والرياء وحب الذات وفسدت الاخلاق واختلت الشئون وعظم البلاء فجاءالمسيح فى ذلك الزمان الذى فسد فيه العالم بفساد العالم وانحطت طبقات العلماء الروحيين الى اسفل السافلين فكانواهم اشقى ممن تبعهم واضل ممن اهتدى اواقتدى بهم فجددالمسيح دين موسى وشفعه بمكارم الاخلاق التى داسها اليهودو اهملوها فماكان دين المسيح الادين الانبياء من قبله.

وماكان دين محمد (ص) يكتفى اوينحصر بمكارم الاخلاق اوتعاليم الانسانية بل هوالدين الحنيف الذى حاد عنه العرب واضاعوه وهودين ابيهم اسماعيل الموحد فكانو يشركون بالله ويعبدون مالا يضرهم ولاينفعهم .و الذى يدلنا على صدق الدعوه فى احياء التوحيد لااتخاذ دين جديد هو ماصرح به الرسول الاعظم من انه يجدد دين ابيه اسماعيل الذى مرت عليه القرون فيهدى بذلك من ضل سبيل الحق و اتبع هواه فى عبادة الاصنام فلنسأل اذاً :

هل يمكن ان يكون مثل ذلك النبى الذى ثبت على الدعوة وسلك طريق الهدى وانقذقومه من الضلال وهداهم الى سبيل الحق و منعهم عن عبادة الاوثان وقتل الاولاد وحرم عليهم الخمر والميسر وهمااكبر سبب للفساد وجددالزواج الذى ماكان له حد يعرف و نظمه وعدله ثم نعيدالسؤال هل يمكن ان يقال كان .... فى دعوته اويشك احد برسالته وصدقه فى بلاغه وحث قومه على التوحيد والايمان واتباع الحق والصدق والنجاة من الشرك والهوان هذا مالايجوز لاحد ان ينطق به اويتخيله .

وهل يجوز لنا ان نشك برسالته و نعتبر ها امراً صدر منه لأمن الله وانه ماانزل الله بذلك سلطاناً اوامراً بالوحي وهل كان هو نفسه يعتقد انه ليس برسول يوحى اليه هذا مالا يقدر على ان يفكر به احد من ذوى الاحلام .

كلا ، ثم كلا ليس الا ايمانه وشرفه الحقيقى الذى اظهره للناس كما ينبغى ان يظهر وهذا ماحثه على ان يسير بطريق الحق وان يهدى الخلق الى سواء السبيل والثبات هو الذى دل على صدقه وقد كانت احواله كلها كايمانه ثابتة لاتتغير فهو فى اول امره لما دعا خديجه الى الاسلام كما كان فى اخر امره لما توفى فى حجر عايشه اى ان العظمه التى بلغ بها الغايه لم تؤثر بنفسه الشريفه ولم تصرفه عن الخلق العظيم الذى وصف به عليه الصلاة و والسلام .

والذى يعتمد على نفسه ويتوكل على ربه ويثبت على جهاده وجداله ويستمر داعياً مبشراً ونذيراً ويصر على دعوته لابد ان يكون مرسلا من الله واثقا بامره موقنا ومومناً بوحيه ورسالته .

محمد (ص) كان مومناً بما اوحى اليه وموقناً بانه رسول الله فلماذا الا نؤمن بانه رسول الله و دليلنا على ذلك صدقه فان الصدق يلازم الرجل العظيم ولاينفك عنه والذى يؤيد دعوته هو اصلاحه للمجتمع البشرى و هدايته للناس وحرصه على النظام الاجتماعى و صيانته لمكارم الاخلاق و امره بالعدل والاحسان بمايصلح لحياة الناس فى كل مكان وزمان ثم ان الذى يوجب اعتقادنا برسالته هو دوام الدعوه ونشرها بلاخوف مما احاط به من البلاء والعناء ومايعرقل العمل والجهاد فانه بالرغم مما هدده وسد عليه الطرق وانذره بالخطر بل آذاه واتعبه فقد اصر على دعوته واستمر مصلحاً

ومبلغاً ومهذباً ومعمراً ومتمماً ومنظماولم يطمع بالدنيا ولا بالرياسة الروحية في وقت من الاوقات وكل ماكان يرمي اليه ويحب ان يصيبه هو الحرية في هداية الناس والرغبة الى اصلاحهم والعفو عن المسيء والرأفه والرفق (Tolerance) وكان يريد ان يعيش الناس احراراً وسعداء

كان يريد ان يعدل الناس ويرحم بعضهم بعضا وان تعم الرافة والمروة المجتمع الانساني ويسود السلام ويعبد الله الناس ويطيعوه ويخضعوا ويخشعوا عنده فكان يعدهم ويواعدهم ويبشرهم بالمعاد وحسن الجزاء او ينذرهم بالعذاب وسوء العاقبه وهو المحشر فلابد من الجزاء للمحسن والمسيء

فاذا اردتم ان تعلموا صدق النبوة فاذكرو بعض الملوك من امته و منهم تيمور ومافعل بالناس بعد الغلبه فانه سفك دماء اهل اصفهان. فان الغالب المغرور لايقدر على الامساك من الانتقام فيقتل المجرم والبريء و شاكي السلاح والاعزل وقد تنزه محمد بعد الغلبه عن الضغن والانتقام وقد قيل انــه جرت في الفتح الاسلامي بعض الامور فان وقع ذلك فهو في سبيل الامن والسلام لا للعداء والانتقام.

وقد كانت الكعبة وهي محل عبادة الله قد دنست بالوثنيه والاصنام فطهرها واعلى فيها هذا الكلمة الطيبه الحسنه :

« جاء الحق و زهق الباطل »

ايعد هذا ضغنا او انتقاما كلا ؟ على انه لم يسفك دم الوثنيين بعد القدره والفتح وانما حطم الاصنام وهدم هياكلها.

انه حطم وهدم ثلاثمائه وستين وثناً، فابادها واحداً بعد اخر وقضى عليها بشدة وعلى انه كان فاتحاً وظافراً لم يتخذ لنفسه سريرا ولا تاجاً ولم يفعل كما يفعله الفاتحون .

ولم يبن قصراً ولم يزد على ماكان عليه من البساطه وخشونة العيش انه هاجر من بلدة عز فيها قومه وسعد اباؤه واجداده فعاش بين اناس بعدوا عن الراحة والترف والرخاء وشاركهم فى البلاء وعد نفسه واحداً منهم فى كل شى واعز اصحابه الذين نصروه وثبتوا معه على الشده والرخاء .

انالا اعلم كيف يجسر البعض على التهم والى من ينسبون الشدة وحب الانتقام والغضب بعد القدرة علىم تكذبون وتتعصبون وتجهلون وتنكرون الحق وتزوقون الباطل ؟

نعم، نحن نقدران نجيب على هذا السؤال بمثال من الجهل والجواب سهل للغايه :

انما عظم قسطنطين الكذب بعد المسيح شاعت عقيدتان فى الفلسفه، الاولى هى ماذاع عن (بولس ويوحنا) والثانيه ماعرفت عن قسطنطين و هذا الامبراطور تاثر بالعوامل السياسيه فامن بالمسيح وغلب فى سنه ۳۲٤ ميلاديه على لجنة الشورى فى نيس فاعلن ان المسيح هوالله . ذلك الملك الجبار السفاك الذى كان يحق له ان يلقب بنرون الثانى لظلمه وقسوته وسوء عمله عد عظيماً وكبيراً عندالمسيحين !

ففى الثورة الدينيه التى قتل فيها الوف من المسيحيين كان يجب ان يعيش النصارى اخواناً ولكنهم صار و اعداءاً يقتل بعضهم بعضاً وقدجرت امورا يسرها الظلم والقتل والفحشاء وقتل الابرياء حتى ان (سنت هيلارى) احتج على ذلك وان الراهب (پواكتير) وهوالاب واقدم الاباء فى الكيسة صرح بهذه الكلمة :

« هذا امر لايخلو من الاسف والخطر معاً فان اختلاف العقايد فى الدين يجى على حسب اختلاف الناس فى الراى والفكر والذوق و على

قدر ما يوجد في العالم من الكفر والضلال يوجد الخطا والاشتباه في الدين وعند من يدعى الايمان . لانه من الخطأ ان نوجد الايمان بالقوه والاستبداد وان نحمله من لايطيق اولايريد حمله او ننشره بالعنف والاكراه .

اننا في كل سنه بل في كل شهر نضع قواعد جديده للدين ونكره الناس على البناء عليها

نحن نندم مما كنا عليه فاذا ندم غيرنا نلومه ونعاقبه وربما وجب علينا ان نحمى من يندم مثلنا وكلما بان لنا الخطاعد لناعنه ولكن اذا بان لغيرنا قبلنا او بعدنا حكمنا عليه بالكفر ثم نتبعه ، والذى نحن عليه و هو عندنا نعاقب عليه غيرنا وهذا مايبعث الخراب و يسلط الفساد و يجر البلاء

قسطنطين بما كان عليه من القوة والسطوه غلب على لجنه الشورى الدينيه في نيس فجرت من استيلائه مصائب لاتحصى وكان هو عين تلك المصائب ومنبعها فحدث من ذلك الزمان الى الازمنة الاخرى ما نشير اليه :

هجم الصليبيون تسع مرات على المسلمين الابرياء فسفكو الدمأ وفى مدة لاتزيد على القرنين قتلوا مازاد على الملايين من البشر . اما ضحايا (انا باتبست) (في پاريس في زمان البابا گريگورى) و (لوتران) فهي من اعظم البليات فقد دام القتل والنهب مدة اربعين سنة في شمال (سنت بار تولوميو) في فرانسا . وعندما ورد (هانرى) الرابع مدينة باريس كان القتال هناك اشد واكثر .

القتل العام الذى حدث بسبب التفتيش الدينى عن العقائد وكان اشد بلاء لانه وقع باسم القانون . الحرب و الخصام بين القسيسين والرهبان و الاباء انفسهم فقد دام عشرين عاما كان يقضى فيها البابا على البابا بالقتل او السم يعقبه النهب والهدم واذا اردنا ان نذكر حداً لتلك الفجايع المولمة

الفاضحه لابدلنا من ان نختم تاريخها بقتل اثنى عشر مليونا فى العالم الجديد امريكا .

فلنعترف اذاً ان تلك الضحايا التى وقعت باسم الدين وتلك الحروب الساحقه التى استمرت اربعة عشر قرناً بين المسيحين انفسهم لم تقع بين الامم الاخرى التى حكم عليها المسيحيون بالكفر والضلال وقل مانرى اوالاحرى ان نقول مارأينا ان امة اخرى اختلفت بقدرما اختلف المسيحيون فاراقت دم الابرياء ولو قطرة واحدة .

قال الموسيو (ژرفيو)

اننى اجرد الحقيقة من كل وهم فاكون حراً لاقول : « ان ملوك فرانسه قلدوا المسلمين بنشرهم الدعوة الدينيه فى بلاد « فريزون » و « ساكسونيا » كما فعل (والدنس) و (ابشيرانس) و قدحكما على البابا و قدنشروا تلك الدعوة بالقوه والعنف والاكراه فى امريكا والعالم الجديد . فاذا عرفنا كل هذا علمنا وايقنا ان ماقيل عن محمد (ص) بانه نشردعوته بالسيف والاكراه كذب واتهام لايقبله البحث والتاريخ ولنفرض ان الظروف فى زمانه اقتضت ذلك كما وقع فى بعض الاوقات فالشرايع وماكان فى ذلك العصر من الهمجية والظلم والجهل سوغت نشر الدعوه بالقوة فابادة الظلم والعدوان و تحطيم الاصنام و منع عبادة الاوثان اومنع قتل الاولاد بالعنف والسيف اولى واهون مما فعلتم انتم فى مدة اربعة قرون فعلتم ما فعلتم و انتم جاهلون .

و مع كل ما ارتكبتم وعملتم تنكرون ما فعلتم ولاتقرون بذنوبكم بل تعدون ذلك عملا حسناً فاذا اصررتم على فعلكم وحسبتموه امراً لازماً اوحسناً استمر اربعة قرون فلماذا لايجوز للمبتدى فى نشر الدعوه ان يقوم

بالقوه و يحمل الناس على ترك الظلم والجهل والضلال و يسوقهم الى طريق الحق والهدى ؟

لما ذا تعدون الدعوة فى اول امرها ظلماً و تحسبون ظلمكم فى القرن الرابع عدلا اوان ذلك العمل فى ابتدائه كان باطلا وعملكم فى اوانه كان حقاً . هل يمكن ان يقال ان الله انزل عليكم فى القرن الرابع وحياً او سن سنة للعنف والجور فعملتم بها ؟ الا يجوز ان يقال ان الدعوة الاسلامية قامت فى بادى الامر على ابادة الظلم والجهل بالعنف . ان دين المسيح قام بالموعظة الحسنه فقلبتموه الى السيف و لنقل ان الأسلام قام بالسيف فانقلب الى الرفق و عدم الاكراه .

ان الرفق والعفو والحلم والتساهل الدينى فى الاسلام لا ينكر قبال التعصب المسيحى والجهل والضغن فقد وصف ذلك « گيبون » المورخ الشهير فقال :

ان الحروب التى وقعت فى زمان النبى (ص) كانت ضرورية دينيه سوغها الاسلام ولكن الحروب كانت تشفع بالعفو والرحمة والرأفة و ان الخلفاء بعد النبى اتبعوسنته فتساهلوا ورحموواحسنواحتى ان المشركين من كثرة التساهل واللين خلعو اسلاحهم ولا ذوا بالمسلمين طوعاً لاكرها وقدصارت بلادالعرب ارثا للنبى ومأ مناً للمسلمين ومعبداً لربهم فالعرب قل ما كانوا يكترثون بغيرهم من جيرانهم اوالنائين عنهم :

اما المشركون و عبادالوثن الذين لايدينون بدين الحق وليس لهم شريعة اواسم يصدق عليهم فقد طرد وامن شبه جزيرة العرب ولكن طردهم كان ملازماً للعدل والرفق و ربما تجاوز ذلك قليلا على حسب ما اقتضاه الزمان والمكان مماجاوز التساهل اوالرأفه . اما المسلمون

المتغلبون على بلادالمشركين فقد منحو هم الحرية التامه كما فعلوا فى بلادالهند فان عبادالاوثان يرتادون معابدهم العامره بالاصنام بلا وجل .

اماتلامذةالمسيح واتباعه و كذا امة موسى و ابراهيم و من دان بدينهما فقد بلغوا بلاغاً حسناً و خيروا باتباعهم النبى العربى اوالبقاء على دينهم وقد قيل لهم انما جاء محمدلا كمال دين الانبياء من قبله فان ابو فلابدلهم من اعطاءالجزيه وهى مال قليل يؤخذ من الاغنياء فان ادوا ما عليهم دخلوا فى ذمةالمسلمين بغايةالحريه من العباده والبقاء على ماهم عليه فى جميع شؤنهم الدينه وعاداتهم .

وفى الحروب كان اشدالجزاء للاسراء من الاعداء هو قبول الاسلام فمن اسلم صاركواحد من المسلمين له مالهم و عليه ماعليهم اماالنساء فعليهن ان يتبعن ازواجهن فى الدين (المترجم !) فقدكان هذا الامر يربى نسلا طيبا جديداً فى اسلامه و تعاليمه و ادابه و رسومه فالاسراء هم قوم جديد والتربية فى الاسلام و حديثو العهد بالدين و لكن الملايين من المسلمين فى افريقا و آسيا دخلواطوعاً و رغبة فى الاسلام و آمنوا به وصد قوا وجاهدوا . فقدكان الدخول فى الاسلام والانضمام الى المسلمين لايتجاوز كلمة واحده وهى الشهادة ثم يتبعها الختان فيكون من اسلم كاحد المسلمين و ربما صارقائداً لهم والاسلام يجب ماقبله اى انه يمحو كل شى من عهد اوذنب او نذراوامساك او اعتزال فالراهب الذى اوجب على نفسه التجرد والانفراد و ترك النساء يجوز له بعدالاسلام ان يتمتع بالنساء و باللذات ولااثم عليه فقد محاالاسلام عهده و نذره . فالرهبان الذين كانو ينامون فى الزوايا من المعابد والصوامع لما سمعو صوت الاسلام يرن فى اذانهم اهتزوله وعلموا انهم فى غفلة وسنة من نوم عميق يشبه الموت او

اوهو اشد منه فلبوا الدعوة وقاموا وقبلوا الاسلام واقتسموا الحياة واغتنموا السعادة على قدر مراتبهم فجاهدوا وسعدوا وعاشوا كما يعيش الاحياء و اعتمدوا على ماوجد وافى انفسهم من قوة وعزم ونشاط .

و نبرهن على صحة قول هذا المورخ و نؤيد قوله بماجاء عن محمد (ص) فى التساهل الدينى والرفق والرحمة و هذ اصك مافيه شك .

قال (ريشارد پوكوك) (بيشاب الاب الاكبر ميث) فى كتاب عن الشرق نشر فى عام ١٧٤٣ فى الصفحة ٢٦٨ من المجلد الاول . و المؤلف هومن يوثق به فانه العلامة التقى وقوله حجة لناوعلى من خالفنا و هذا نص ما كتبه الأب الاعظم :

هذا ما امر به محمد واجازه لاهل الاديره وسكانها فى جبل سينا وخص به النصارى من الراحة والسلامه .

الله اكبر وهو الحاكم القادر على كل شى و له الامر ، بعث النبيين ليهدى بهم الامم و ينشر العدل لئلا يكون للناس عليه حجة بظلمهم و ضلالهم . فبنعمة الله و رحمته و بما من عليه الله من كرمه فى بعثه الرسل يكتب محمد رسول الله الذى خصه الله برسالته وجعله وليا الامر على الناس هذا الكتاب الذى يجب ان يعمل به كل من اتبعه و آمن بدينه واسلم ان الامة المسيحيه والنصارى النسطوريين من جميع الطبقات خاصة كانت ام عامه ، من شريف و وضيع و كبير وحقيرهم فى امان وذمة بما ينص عليه هذا العهد فى هذا الكتاب وهذه مواده :

١ ـ على المسلمين من امتى ان يحفظو هذا العهد و لا ينقضوه فمن بدله بعد ماسمعه فعليه اللعنه الدائمه من الله . ومن خالف امرى فهو ليس منى بل يعد خارجاً من دينى معادياً ملكاً كان ام مسكينا فعلى المسلمين

جميعاً حفظه والعمل به .

٢- كل راهب من سكان الاديره حر في عمله وسفره و حضره يسير الى اين يريد و يحل كيف يشاء في البر والبحر والجبل ، و يبنى ديره اينما مايريدوفي اى مكان يختار . يحقن دمه ويحفظ ماله ويصان عرضه وانا معه اينما كان وكيفما كان واين ارادو معى المؤمنون يحافظون عليه ويحرسونه فانا ومن امن بالله نصونه ونعينه ونحفظه فالرهبان بضعة منى و هم فخرى يرافقهم روحى فى كل حين .

٣- على المسلمين بعدى ان لا ياخذو اجزية من الرهبان ولاضريبة و لا مالا بكل صورة و ان لا يحملوهم مالا يطيقونه ولا يزعجوهم .

٤- لايجوز لاحد المسلمين ان يتدخل فى امرهم فيعزل قاضيا ارتضوه اوينصب حاكما ابوه فلهم الحريه التامه فى شؤنهم بلامعارض من المسلمين.

٥- يرحلون ويحلون احراراً فلايجوز لاحد من المسلين ان يؤذيهم اويسى اليهم .

٦- لايحق لاحد ان يمنعهم عن بناء الكنائس والاديره او يزعجهم ويضيق عليهم .

٧- كل من ينقض عهدى هذا او ينقصه ينقض عهدالله ورسوله .

٨- قضاتهم وحكامهم واباتهم ومن سكن الا ديره والمعابد منهم و تلامذتهم وخدام معابدهم ومن ماثلهم يعفون من الجزيه ومن جميع الضرائب فلايؤذيهم مسلم اومن قدر عليه المسلمون فانا احميهم واحرسهم فى البر والبحر و فى الشرق والغرب والشمال والجنوب و اموالهم كلها تحفظ و تصان بهذا العهد الصريح .

٩- اماالذين سكنوافى الجبال وقطنوا فى قللها فهم اولى بالحماية

لايعطون الجزيه ولا اى ضريبة اوزكاة او مال ممـا ياخذه المسلمون ولا يجوز لمسلم ان يتدخل فى امرهم اوياخذ من حرثهم اوارضم او مالهـم شيئاً فهم يحرثون ويزرعون ليعيشوا سالمين آمنين .

١٠ـ فاذا زادزرعهم وثمرهم على نفقتهم وحاجتهم يجوز للمسلمين الذين يعيشون بين الرهبان اومعهم فى الجبال ان ياخذوا شيئاً يسدون به حاجاتهم وهو كيل لايتجاوز الزكاة ولايتعدى فصل الزرع والثمران زاد على من اراد .

١١ـ وفى زمان الحرب لايكلفون بالدفاع ولايؤخذ منهم جندى ولا جزية باسم الحرب اوغيره.

اما هذه الماده الحادية عشرفهى تشمل جميع النصارى راهبهم و كاسبهم فلا يجند احد منهم مكرهاً و لا يوخذ من غير الراهب اكثر مما عليه و المواد السبعة التى نذكرها تشمل المسيحيين عامة علاوة على الرهبـان .

١٢ـ اما النصارى الذين يشتغلون بالتجاره و يستغلون الحرف و المهن فيشرون ويبيعون فاذا استطاعوا اعطوا الجزيه عن كل انسان اثنى عشر در هماً لا اكثر .

١٣ـ لايؤخذ من النصارى سوى ماذ كرنا وهذا امر الله الذى امر به عباده المؤمنين وهو :

كل من آمن بكتاب الله يجب احترامه والاحتراز عن اذيته و يجب ان يرفق به ويحسن اليه و يصان ويمنع ممن يريد به سوءاً . فاحترموا المؤمنين بكتب الله ولاتحرموهم من نعمه واشركوهم بماعندكم من خيرو صاحبوهم وعاشروهم واحرسوهم وادفعوا عنهم الشروالسوء».

١٤ - اذا تزوج المسلم بامرأة نصرانيه فلايحق له ان يمنعها من الذهاب الى الكنيسة والعبادة فيها والدعاء .

١٥ - لايحرمون ولا يمنعون من بناء الكنائس والا ديره او اصلاحها .

١٦- كل من ينقض هذا العهد اولا يكترث به اويخالف شيئاً منه اولا يعتبره ولا يعمل به فانه كافر مرتد عندالله وعندرسوله لانى اعطيتهم هذا لعهد حقا بما وعدتهم فويت .

١٧- لايجوز لاحد ان يشهر سلاحه على النصارى بل يجب على المسلمين ان يدافعوا عنهم ويسعفوهم واذا اقتضى الزمان ان يدخلوا الحرب ذباعنهم وصيانة لهم .

١٨- هذا عهدى لهم الذى يجب على جميع امتى اتباعه والعمل به وحفظه الى الابد .

١٩- شهد بذلك على ابن ابى طالب وعشرة من الاصحاب.

اما العهد فقد كتب بخط على ابن ابى طالب وقد كرمه النبى العربى بيده اذمس الكتاب والعهد وجعل فيه علامة اصبعه الشريف فى المسجد النبوى فى السنة الثانيه للهجرة فى اليوم الثالث من شهر محرم

والذى يفكر بما كتبناه و نقلناه ويتامله ثم يحكم فكره فينصف لابد ان يعترف بان ماذكره اعدائه المتعصبون انما هوتهمة وافتراء .

التهمة الثالثه

وقد جسر اعدائه المتعصبون فقالوا : ان مواعيده التى تجزى المؤمنين باللذات من النعيم فى الجنان والخلود بالراحة فقد كان يستغل بها طاعة الناس لاتباعه و العمل بامره فلو انصفنا لراينا هذا فى دين المسيح تماماً

فاننا وعدنا ان نحشر بارواحنا واجسامنا وجميع حوا سنا بل سوف تكون احسن مما كانت عليه فى الدنيا من الفطنه و ادراك اللذه فاذا كنا على ما نحن عليه فى الحياة الدنيا فلا بدلنا من ان نتمتع باللذات و نطلب التنعيم بجميع احواله وايسر ما يحصل منه هو الراحه واللذة .

فاذا سلمنا ان نعود كما كنا فى الدنيا لاينقص من جسمنا و روحنا شيء ولاتختل حواسنا ولاتزول افكارنا ولاتخمد شهواتنا فما الذى يوجب حرماننا منها ويمنعنا من التمتع باللذات؟!

لابدلنا من ان نعترف بان الحرمان بسبب نقص الخلق و الخلق وهذا لايجوز اذا ننا وعدنا ان نعود كما بدأنا فمواعيد محمد (ص) هى احسن جزاء لمن آمن لايشوبها الاغفال ولايلتصق بها الباطل اما الذى وصف او وعد به المتقون من الحور العين فهو حقيقة لا تستغرب ولا تنكر لان الله تعالى خلق الزوجين من ذكر وانثى وامر الخلق بالزواج و جعل لهم اجراً وهو اللذة فى الاخره هى كما قلنا ملازمة لخلق الله كما كانت فى الدنيا فان الحشر لاينقص شعور الانسان وادراكه ولا يزيل حواسه بل يزيدها . فما الذى تنقمونه من هذا الوصف اوالوعد اوالاجر الذى اختص به من اطاع الله ورسوله وحرم منه من عصى و تولى؟ والحكمة فى تلك اللذة انما هى للتناسل فلو حرم منها الانسان لما قدر على الزواج الذى ينتج النسل .

اما الوعد الذى جاء فى القرآن من الاقتران بالحور العين والتمتع باللذات والحياة فى الرياض بين الاشجار والاثمار والانهار فانه صحيح فى ذاته ولكنه لم يحصر اللذة بذلك فان للروح حظاً اوفر من حظ الجسم و لكن الله شاء ان يكون للجسم نصيب من اللذه فوصفها ووعد بها المتقين فانه يجزى العرب الذين لايعرفون من اللذات المعنويه شيئاً غير اللذة الماديه

والشهوة الجنسيه بما احبوا و ارادو فجزاء من عندالله عندهم هو التمتع بالاكل والشرب والنساء والرياض والراحةالابدية يلازمهاالحظالجنسى فقدكان القرآن يحثهم ويرغبهم ويدعوهم الى التوحيد ويعدلهم جزاء حسناً هو خيرمايطلبه العرب ويمنون به انفسهم فذلك جزاءالجسم الذى يستعد لعبادة الله واما جزاء الروح فهواعظم واكرم ولذة الروح هى كمانقول :

جمال الله هو خير لذة للناظرين والمتفكرين و سرور المومنين بذلك الجمال هواكبر واشرف و اعظم من جميع اللذات البهيميه فلذته روحية ابديه يدركها الانسان اكثر مما يدرك الحيوان لذةالمرتع.فالذى يجزى بالحور فى جنة عرضها السماوات والارض ويطوف بالرياض يخدمه الغلمان وتسقيه الجوارى هودون من يقترب من الله فى اعلى عليين ويجزى بقربه والتمتع بجماله فقرب الله وجواره والنظر الى جماله فى كل شىء هو اكبر لذة واشرف حظ من جميع اللذات و الحظوظ التى تضمن الحور والغلمان .

ويمكننا ان نقول بان ماوصف من الجزاء فى القرآن هو بمنزلة التشبيه والاستعاره لمعنى روحى غير جسمى فكان الحظ الادبى الذى يجزى به المؤمن هو مثل كل لذة ماديه من رياض اواشجار او انهار و قصور و حور وغلمان .

ومثل هذا ماجاء عن الحان سليمان فالعلماء من المسيحيين يقولون انها ماجاءت للطرب والعرس انما هى هزات شوق و جذبات عشق تحث المؤمن على عبادة الله فى الكنائس وغيرها .

قال «هايد» الشهير فى كتابه فى الصفحه ٢١ :

ان ماجاء فى القرآن من وصف الحور والغلمان هو مجاز اقرب الى

ذهون الناس وفكرهم وتصورهم البشرى وقد جاء مثل هذا فى كتبنا المقدسه مايقبله الناس ويلائم اخلاقهم واذواقهم .

كتبت الى سفير مراكش كتاباً وصفت فيه حديقتى وشبهتها بالجنه فاجابنى ان الجنه هى اكبر من الدنيا واعظم مما تصف وماراها احد ولا يقدر احد على وصفها او تمثيلها ولم تخطر على بال انسان فلا عين تراها ولا اذن تسمع بها»

وقد شهد « هربلوت » الشهير فى كتابه « بيليوتيكا اوريان تاليس » بان المسلمين يعتقدون بان خير عمل يعملونه هو طاعة الله تعالى وانهم اذا تفكروا فى العالم الاعلى بزغ لهم نور ساطع طالع من السماء يهديهم الى الجنه اى انه اين ما انتهى و استقر يشير الى الجنة جزاءً بما عملوا وآمنوا و ايقنوا و قال ايضاً :

ولا يجوز للكتاب من اعداء المسلمين ان يتهموهم بامثال هذه التهم فالقول بان اللذات فى الجنه تنحصر بالشهوات الجسميه باطل وهناك غير هذا من الخير الكثير الذى يؤمل النفس الزكيه ويكملها ويخرجها من الشهوات الى اللذة الروحيه .

ومما نقلناه نعلم ان التهم التى وجهت الى الدين الاسلام كثيرة فكم قد قيل و كم قد كتب .

نحن لا نشك ان الرجل المسيحى اذا عاين او علم بكثير من الاحوال والعادات الشرقيه استغربها و عدها عيباً كبيراً ولكنه اذا نظر الى تعاليم الانجيل بعينى الاعتقاد والاحترام اغضى عما جاء فيه او عده كمالا. فى الشرق عوامل واسباب كثيرة تتبع المناخ والمعيشة و تاثير الهواء والحر و البرد فاذا ذكرت اللذات الجسميه دون الروحيه او اقرنت بها فهذا مما اقتضاه المحيط

الشرقى واوجبه .

اما اللذين جسروا على وصفه عليه الصلاة فقد كذبوا واثموا فانه كان فقيراً صفر الكف عاملا دائباً يعتمد على كديمينه ولا يتكل على ما يميل اليه الناس من حب المال والراحه واللذة

التهمة الرابعه

اما التهمه الرابعة فهى ان تعدد الزوجات امر يتبع اللذة و الشهوة

اما اتخاذ الرجل اكثر من مرأة فهو امر كان على عهد ابراهيم و انما جاء محمد مجدداً ذلك العهد ومعيداً دينه الحنيف وقد ورد تعدد الزوجات فى الكتب المقدسة السماويه ولم يعد ذنباً وقد اثبتته المعيشة البسيطه وايده المحيط

وقد ساغ لليونان من قبل فقد ذكر (پلوتارخ) ان الشبان من الجنود كان لهم ذلك وقد دافع عنهم (اروپيدس) وافلاطون وايدا ذلك

اما الروم فقد ثبتوا مدة على زوجة واحدة ولكنهم لم ينكروا تعدد الزوجات حتى جاء زمان (ماركانتونى) فاتخذ زوجتين معاً فشاع ذلك حتى زمان (تئودوشيوس) و (هرونيوس) و (اركاويوس) فقد حرموه فى سنه ٣٩٣ ميلاديه على دين المسيح

اما الدليل الطبيعى العلمى على تعدد الزوجات فهو ماذكره العلامه (منتسكيو) فقد قال ان البلاد الحاره تختلف عن غيرها بكل شيء فالاناث هناك يبلغن فى الثامنه والتاسعه والعاشره و هذا مايؤهلهن للزواج فاذا بلغن العشرين قضى عليهن الشيب وبان الهرم فالعقل والجمال لايجتمعان فى المرأة الشرقيه فى زمان واحد فاذا ازدهر الجمال كان العقل خاملا واذا ظهر العقل زال الجمال فالنساء فى الشرق لابد لهن من طاعة الرجال اذهن

نشروا أرائهم بلامراء .

(برنارد واكينوس) رئيس فرقة (كاپوچين) فى اواسط القرن السادس عشر ايد تعددا الزوجات و حسنه وفى ذلك الوقت نشرت رسالة عن اباحة تعدد الزوجات اولزومه والرساله منسوبة الى اسم مستعار (تيوفيلوس البوتين) ولكن الحقيقه هى غيرهذا فان المؤلف هو (ليزاروس) .

وقدقال (سلدن) فى كتابه الموسوم (باوگزورهبريكا) ان تعدد الزوجات لا ينحصر باليهود بل هوجائز فى جميع الشرائع ومباح عند جميع الامم (ربما استثنى البعض)

واكبر مدافع عن تعدد الزوجات هو (ميلتون) الشير فقد كتب فى رسالة باسم (فلسفة دين المسيح) فى الصفحه ۲۳۷ بعد ان نقل كثيراً من ادلة الكتب المقدسه :

و مماجاء مشبها نعوذ بالله ان للرب زوجتين (اهولاه) و (اهو لياه) و هذ مالايجوز نقله والاشارة اليه حتى فى سبيل الرد عليه وقداطنب بشرح ذلك وانما اشرنا الى هذا التمثل لنبين كفر من اسرف فى استدلاله و انا لنخجل حتى من الاشاره ولنترك هذه السخافه والخرافة لاهلها جل الله و تعالى عما يقول الجاهلون .

ومما لاشك فيه ان محمداً (ص) لم يات بقانون جديد اوامر محال انما جاء بأمر كان فى دين الله وزاده الله رحمة وبركة و ايده فاعلن كما كان بناء على هذا ماسن تعدد الزوجات وابتكره لنفسه اولقومه لفائدة جنسيه او متعة اولذة اوشهوة فالامر كان و قدرتبه و نقحه و اخرجه من الظلم والاعتساف والشطط والاسراف .

و مما انتقده المخالفون فى امر النساء هواختلاف الضرات او

حدوث الظلم والجور فيفقد التساوى ويحدث الضغن وتختل امور المعيشه الزوجية والاجتماعيه .

اما الاعتقاد بان للرجال حرماً منيعاً تحبس فيه النساء فلا يجوز لهن الخروج الا بامر الزوج ويحرمن من الحريه فى جميع شئون الحياة فهو امر شاع بين الاروبين و قدايده الجهل باحوال الاسيويين .

لاشك ان التساوى بين النساء عند الاغنياء موجود فى كل الشئون فاذا فقد فانما يفقده الفقراء الذين يستبدون با مرأة واحدة والمرأة عند الاغنياء هى الحاكمه على شئون البيت والمستبدة بالامر .

تبلغ رياسة المرأة فى الدار حداً يؤهلها للحكم على من فيه و التصرف بما فيه مستبدة فلا تراجع زوجها فى امور تخصها ولا تعنيه وربما رأست المراة ضراتها فهى التى ترتب الامور وتدبرها والذين يلمون باحوال الشرق يعلمون ان المرأه لاتظلم فى البيت و انما شاع ذلك عندنا جهلا فظلم النساء عند المسلمين هو اقرب للخيال منه الى الحقيقة .

قال المستر (اتكنسن) فى كتابه « اخلاق وعادات المرأه فى ايران »

« كثيراً ما يتوهم الناس فى انكلتره بان الظلم فى الشرق و اخص منه ايران يعم النساء فالضغط عليهن شديد والحياة فى البيوت المقفله تشبه السجن بل هى اعظم منه بلاء « وانما جلب هذا الوهم لنا جهلنا بالحياة الاجتماعيه فى الشرق »

والكاتب ينكر كل ظلم يشمل النساء ويصف حياة النساء الاجتماعيه والسلطة التى يحصلن عليها فتمنحهن المراقبة الشديده والسيطرة على

الرجال في الساعة التي يخرج منها الرجل من الدار يعتقد ان الدار و من فيها من عبيد واماء تدار بامر السيدة و تدبر فالخدام يجلبون رضا السيده في كل حين ولا يخالفون لها امراً فاذا حسنت حالها حسن كل شئي في الدار و اذا ساءت حالها ساء كل شئي فهي الامرة الناهيه والمنظمة للامور دون زوجها . .

ميرزا ابوطالب خان احد الزعماء والنجباء الايرانيين سافر قبل سبعين او ثمانيين سنه الى انكلتره فاطلع على احوالنا وعاداتنا فكتب عنا رسالة ترجمت الى الانكليزيه استدل بها على ان الحياة الاجتماعيه في العالم الاسلامي هي خير من حياة النساء في اروپا حتى انه ذكر ان الحريه هنالك اكثر من حرية النساء السافرات من جميع الجهات وان لهن احوالا تخولهن حقوقاً اشرف من حقوق غيرهن في اروپا و اكثر وان ما شاع من ظلم الرجال للنساء في الشرق او العالم الاسلامي هو كذب اشاعته الاوهام الى ان قال :

«وقد وصل علمي الى حد انني ايقنت بان الحياة بين ضاريتين من السباع ايسر واهون من الحياة بين ضرتين » !

وقال الرحاله الشهير « يبوهر » فايد ذلك الاعتقاد . يعتقد الاروبيون ان الحياة في المجتمع الاسلامي تختلف عن الحياة في الاجتماع المسيحي و هذا اشتباه فانني لم اشهد اختلافاً يعرف بين الحياتين وقد جربت ذلك في آسيا . فالراحة والحريه والسعادة في اسيا مضمونة للنساء بقدر ما تضمن في اروپا . نعم ان تعدد الزوجات في الشرق لا تطيقه عندنا النساء ولا يقدرن على احتماله لرقة شعورهن . قل من يتخذ اربع زوجات من العرب في وقت واحد ولكن كثيراً ما يقتنون الاماء والعلماء والاغنياء ربما اتبعو

الشهوات في التمتع باربع زوجات و لكنهم لا يسلمون من لوم العقلاء و عذ لهم على اسرافهم و اتباع الشهوات .

اما ذو و الاحلام من الرجال فيعدون تعدد الزوجات سبباً لزوال الراحه واللذة لاوسيلة للتمتع بها لان كل رجل مسلم يحب ان يعدل و يساوى بين النساء ثم ان الشريعة الاسلاميه تامر باتخاذ الراحـة للزوجة بمقدار مايجب لها من الحقوق والشئون فكل امرأة تعامل بما يليق بها ولا يبخس حقها ولا تظلم اوتحرم اوينقص ممايلزم لكرامتها وراحتها في كل امر فتلك امور تثقل على الرجال وتصعب ولا يمكن لاحد ان يخلص منها

اما ماقيل عن زوال الحب في اتخاذ اكثر من امرأه فلانقبله فلو اننا جربنا ذلك في بلادنا وانفقنا على النساء و فضلنا بعضهن على بعض او قدمنا الزوجة الاولى التي باكرنا الحب بها وقسنا الاولى بالاخرى لعلمنا ان الحب يزول بتعدد الزوجات اويزداد بالحسد والرقابة او بالطبع

اما الرسوم و العادات التافهة البارده عندنا كتقديم المال للاوهام مثلا: اجرة المركبه والمشط فهي تزرى بالحب الحقيقي وتبدل العشق بالتجاره والنساء عندنا بماهن عليه من التجمل واتخاذ الثياب المختلفه في كل حين بشكل جديد تبعاً (للمودة) هن اقرب للمتاع التجارى منهن الى حب الزوج فالبيع والشراء والتجارة عندنا بالنساء اشهر من العالم الاسلام

ومع مانحن عليه من التجمل و التكلف و التانق نعتقد ان تعدد الزوجات يزيل الحب و يبيد العشق ولا نرى مافي انفسنا مما اعتدنـا عليـه .

ان هذا الاعتقاد في الحياة الاجتماعيه عندنا لايقل عما نعتقد به

من السياسة فاننا نرى ان الحياة السياسية الكاملة والنظام والحريه كلها منحصرة في انكلترة وقس على هذا !

فلو ان تعدد الزوجات هو العيب الوحيد في العالم الاسلامي و هو الالة لزوال النعمة والراحه والرفاه ونقص اللذت لرأينا الشرق على توحشه فقيراً من النعمه واللذة والغرب على تمدنه و حصره النساء بواحده غنيا باللذة والهناء او سالماً من عاهات الفحشاء و الخيانة الزوجيه متمتعاً بالحب والسعاده ضامناً لأهله راحة الوجدان وسلامة الجنان .

تم الفصل الثالث من كتاب الاعتذار

ربيع الثاني سنه ١٣٧٦ هجريه طهران - ابان ماه ١٣٣٥

عباس الخليلي

انتهى